لجنة التأليف والترجمة والنشر

خريدة القصر وجريدة العصر

قسم
شعراء مصر

تأليف

العماد الأصفهاني الكاتب

نشره

أحمد أمين　　　　شوقي ضيف

إحسان عباس

الجزء الأول

لجنة التأليف والترجمة والنشر

خريدة القصر وجريدة العصر

قسم
شعراء مصر

تأليف

العماد الأصفهاني الكاتب

نشره

أحمد أمين شوقي ضيف

إحسان عباس

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

للأستاذ أحمد أمين بك

الحق أنى أعجبت بالعماد الأصفهانى حينما قرأت كتاب الخريدة إعجابا لا حد له من حيث استقصاؤه شعراء مصر ، وعرضه نماذجَ من شعرهم ، فوقفنا بذلك على أشياء كثيرة قيمة كانت مجهولة مما يفيد الباحث .

ولكن لم أعجب به من حيث التعريفُ بالشعراء وتحليل فنهم ، فهو يلتزم السجع غالباً ، ويعرض الشاعر فى شكل قد يصحُّ أن ينطبق على كل شاعر ، وهو رأسُ مدرسة تَبِعه تلاميذها فى منهجه من حيث السجع والتحليل . وكان يكون أفْيَدَ لو تحرر من السجع وتعمق فى تحليل الشاعر وقيمة فنه ، فهو — فى نظرى — يُعْنَى بالتزويق أكثر مما يعنى بالمعانى . ولست ممن يذهبون هذا المذهب ، فإنى أفضل العناية بالمعنى على العناية بالتزويق ؛ ولهذا أفضل طريقة ابن خلدون ومدرسته على العماد ومدرسته ، كابن فضل الله العمرى والشهاب الخفاجى وأمثالها .

وربما كان عُنْوَان طريقة العماد تسمية أحد كتبه « بالفيح القُسّى فى الفتح القدسى » وهى طريقة تعتمد على التجميل اللفظى ، ربما دعته إليها طبقته الأرستقراطية التى كان يعيش فيها ، وهى طبقة الخلفاء والوزراء وأضرابهم . ونحن لا نحب هذه الطريقة الأرستقراطية ، بل نفضل عليها الطريقة الديمقراطية التى

تعنى بالوضوح والقوة أكثر مما تعنى بالجمال والتزويق ، ولكلٍّ وجهةٌ هو موليها . ولو وَجَّه كلٌّ مجهوده الذى بذله فى البحث عن سجعة يلائم بينها و بين أختها إلى إجادة المعنى ودقته لكان أحسن .

و بعد استعراضى لما ذكره فى ترجمة شعراء مصر لا زلت على رأيى فى أن شخصية مصر غير واضحة فى شعرها إلا ما كان حَتْماً من تأثير البيئة المصرية واختلافها عن البيئة العراقية والشامية . أما طابع الشعر ومعانيه وأساليبه فيشبه شعر باقى الأقطار ، لا يختلف عنه من حيث التقيد ببحور الشعر والقافية ، أو من حيث الموضوعات التى يتعرض لها الشاعر من مديح وغزل ورثاء ونحو ذلك . أما شخصيةٌ تختار موضوعات جديدة فى أسلوب جديد ونظم جديد وقواف جديدة فلم نلمسها فى كل ما قرأنا من شعر مصر . ولعل المستقبل ونَشْرَ كتب النصوص يعدّلان من رأيى .

وكان من حُسْن الحظ أن قام المجمع العلمى ببغداد بنشر القسم الخاص بالعراق ، وقد اطلعت منه على ثمانى ملازم . ولعل مصر أو العراق أو غيرها يعنى بالقسم الأندلسى أو بقسم آخر من الخريدة . وبذلك يكمل نشر الكتاب . والله الموفق .؟

القاهرة فى ٢٨ من يوليه سنة ١٩٥١　　　　أحمد أمين

مدخل

للدكتور شوقى ضيف

١

خطوات العمل فى هذا القسم المصرى من الخريدة

حين كان أستاذنا الجليل أحمد أمين بك أستاذا للأدب المصرى فى كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول بين سنتى ١٩٣٩ ، ١٩٤٦ م كان يعمل مع طلابه وزملائه جاهداً للتحقق من شخصية مصر الأدبية فى العصور الوسطى ، وبيان صفات هذه الشخصية وخصائصها . ودخل هذه الدراسة بطبيعة العالم الذى لايثبت صفة ولا خاصة دون أن يَشْفَع ذلك بكل ما يمكن من وثائق ومستندات .

ولذلك رأيناه يتشكك كثيراً ولا يترك أحدا يرى رأيا دون أن يشتقه اشتقاقا من نص . ولم يكن حينئذ محابيا لوطنه ولا متحزبا له أو متعصبا ، بل كان — كعادته — يتحرّى أن يكون منصفا فى أحكامه عليه . ومن استمعوا إلى محاضراته واتصلوا بأبحاثه حينئذ يعرفون أنه كان قليل الاعتراف بحظ هذا الوطن فى الشعر والشعراء ، فمصر لم تُخْرِج شاعراً كبيراً مثل البحترى وأبى تمام والمتنبى وابن الرومى وأبى العلاء . وأذاع ذلك فى مجلة الثقافة وفى بعض كتاباته . وأذكر أننى حاورته فيه واعتمدت فى حِوَارى على أن نصوص الشعر العربى فى مصر لما تُنْشَر ، وأن نشرها قد يُعدِّل فى أحكامنا الأدبية على شخصيتها وطبيعتها الفنية .

وامتد هذا الحِوَار فى نفسى ، ورجوت لو أننا نشرنا أكثر ما يمكن من شعرنا المصرى ، حتى نُصدر عليه أحكامنا وهو فى أيدى الباحثين وتحت أعْيُنِهم . وفى أثناء لقاء لأستاذى عرضت عليه أن ننشر معا القسم المصرى من كتاب

« خريدة القصر وجريدة العصر » للعماد الأصفهانى فرحب بالفكرة وتقبلها قبولا حسنا . فرجعت إلى بروكلمان فى « تاريخ الأدب العربى» فوجدته يشير إلى نسخ مختلفة تناثرت من الكتاب فى مكاتب العالم الغربية والشرقية . واتفق أنى اطلعت على النسخة المصوَّرَة بدار الكتب المصرية من نسخة المكتبة الأهلية بباريس ، ورأيتها صالحة لأن تكون أصلا يُنْشَر منه القسم المصرى . غير أنى سرعان ماعرفت أنها تنقص كثيراً من أولها ، وأيضا فإن أوراقها ضُمَّ بعضها إلى بعض فى غير نَسَقٍ ولا نظام .

وانصرفت عن هذا العمل إلى حين ، ظلَّ فيه الأمل يُراودنى ، وظللت أتعقب النسخ المختلفة للكتاب . حتى إذا قامت الجامعة العربية وأسَّسَ أستاذنا أحمد أمين بك مدير إدارة الثقافة بها معهد المخطوطات العربية يريد أن يجمع عن طريقه هذه المخطوطات من أنحاء المعمورة على أشرطة صغيرة تكبَّرُ فى المستقبل كان كتابُ الخريدة أحدَ الكتب المهمة التى عُنِىَ بها ، فكلف البعثة التى أرسلها إلى الآستانة فى صيف سنة ١٩٤٩ أن تجدَّ فى الحصول على نسخه المختلفة هناك .

وحينئذ أمكن لهذا الأمل ، أمل نشر القسم المصرى من الخريدة أن يتحقق ، فقد ظفرت البعثة بقطعة من القسم عثرت عليها فى مكتبة « نور عثمانية » وهى تحتوى على مجموعة كبيرة من التراجم الأولى منه .

وصَوَّرْتُ هذه القطعة وضممت إليها مُصَوَّرَةَ دار الكتب المصرية وبدأت أحاول إعداد القسم للنشر . وكان أول ما صنعت أنى وضعت مختصر الخريدة لعلى رضائى المسمى « عود الشباب » رَصَدًا على المصوَّرَتين أريد أن أتبين منه صحة ترتيب التراجم فى النص وما يمكن أن يكون قد سقط منه . فرأيت أن مُصَوَّرَةَ «نور عثمانية» لا تلتحم مع مصورة دار الكتب المصرية ، إذ بينهما ثغرة سقطت فيها تراجم الأمير أبى المهند حُسَام بن مبارك بن قَضة العقيلى ، وهبة الله

ابن كامل ، وابن الذِّرْوى ، ثم فاتحة ترجمة القاضى الجليس ، فمن بقية هذه الترجمة تبدأ مصورة الدار .

وقد نقلت الترجمة الأولى من مختصر الخريدة ، إذ لم أجدها فى سواه . أما الترجمة الثانية فقد وجدت كتاب « الرَّوْضَتين » لأبى شامة المقدسى يحتفظ بها نقلا عن الخريدة ، فآثرت أخذها منه ، لأنها فيه أتمّ وأكمل . وكذلك الشأن فى الترجمة الثالثة ، فقد نقلتها عن « المُغرِب » لابن سعيد ، لأنه لايوجز التراجم التى ينقلها عن العماد فى كتابه إيجازاً شديداً على نحو ما يصنع على رضائى فى المختصر . أما فاتحة ترجمة القاضى الجليس فقد رجعت فيها إلى الكتب الثلاثة جميعا ، لأن كلا منها احتفظ بها أو بأكثرها .

وبذلك التأم هذا القسم المصرى الذى ننشره من الخريدة ، ولم ننتظر حتى نجد نسخة كاملة منه ، لأننا يائسون من ذلك الآن ، وإذا أتاح لنا البحث نُسَخاً أخرى رجعنا إليها فى الطبعة الآتية إن شاء الله .

على أنه ينبغى أن أشير إشارة خاصة إلى ما ذكرته آنفا من أن مصوَّرة دار الكتب المصرية ورقٌ متناثر جُمِع بعضه إلى بعض فى اضطراب واختلاط شديدين ، وقد استطعت أن أعيد هذه الأوراق إلى مواضعها الأصلية من اتصال الكلام عن طريق المختصر من جهة وكتاب المغرب من جهة ثانية ، إذ احتفظ ابن سعيد فى الكتاب الأخير (جزأى الفسطاط والقاهرة) بأكثر مَنْ ترجم لهم العماد من المصريين فى الخريدة . وكنا إلى وقت قريب نظن أن ما فُقِد من كتاب المغرب لا أمل فى العثور عليه ، ولكن معهد المخطوطات عثر فى سوهاج على قطعة جديدة ، فيها بقية كتاب القاهرة . وسيرى القارئ فى تعليقاتنا على التراجم والأشعار أننا رجعنا كثيراً إلى هذه القطعة .

وعلى نحو ما نظَّمتُ أوراقَ مصوَّرةِ دارِ الكتب معتمداً على المختصر

والمغرب أكملت ما سقط منها مستمدا منهما ومن الكتب الأخرى التى احتفظت ببعض التراجم نقلا عن العماد ، كما يرى القارئ فى ترجمة الموفق بن الخلال إذ نقلت فاتحتها الساقطة من ترجمة ابن خلكان له فى كتابه «وفيات الأعيان» .

ولما تماثل النص بهذه الصورة وأصبح جديراً بالنشر عهدت إلى تلميذى وصديقى الأستاذ إحسان عباس أن ينقله من المصورتين المذكورتين لما أعهده فيه من حس لغوى وذوق أدبى ، فقبل ذلك مخلصا ، وأداه على خير وجه من الصحة والضبط والدقة .

وتناولت منه النص فرممت ثغراته ، كما بينت ، وعرضته على كتب اللغة وعلى كل ما أمكننى من كتب مخطوطة ومطبوعة ، وخاصة تلك التى استمدت منه مثل المغرب . ورجعت إلى مجموعة من المخطوطات المصورة فى دار الكتب المصرية ، وعلى رأسها « معجم » السِّلَفى و « المحمَّدون من الشعراء » للقِفْطى و « الوافى بالوفيات » و « أعيان العصر وأعوان النصر » للصَّفَدى و « مسالك الأبصار » لابن فضل الله العُمَرى . وأفدت منها جميعا فوائد جمة فى تحقيق النص . وإذا كان لشاعرٍ ديوانٌ مطبوع أو مخطوط قابلت عليه منتخبات العماد له ، على نحو ما يرى القارئ لهذا الجزء الأول فى ترجمة ابن سناء الملك ، إذ قابلت أشعاره على نسختين من ديوانه ، إحداها مصورة والثانية مخطوطة ، وكذلك قابلت أشعار ابن قلاقس على ديوانه المطبوع .

ورجعت بجانب ذلك إلى كتب التراجم المطبوعة وفى مقدمتها « معجم الأدباء » لياقوت و « وفيات الأعيان » لابن خلكان و « إنباه الرواة بأنباه النحاة » للقفطى (الجزء الأول منه) و « الطالع السعيد » للإدفوى و « فوات الوفيات » لابن شاكر الكتبى و « شذرات الذهب » لابن العماد الحنبلى ، و « حسن المحاضرة » للسيوطى . ورجعت إلى كثير من الكتب التاريخية مثل

« الروضتين » و « النجوم الزاهرة » لابن تَغْرى بَرْدِى ، و « خطط » المقريزى ، و « الكامل » لابن الأثير . ويجد القارئ فى هوامش هذا الجزء الأول أسماء الكتب المختلفة التى رجعت إليها فى تحقيق النص والتعليق عليه .

ولما أكملت هذا العمل قرأه الأستاذ أحمد أمين بك معى ، وراجعه مراجعة شاملة ، استعرض فيها التصحيحات والتعليقات . وبذلك أمكن لهذا العمل أن يخرج إلى الباحثين .

٢

وصف مصوّرتى هذا القسم

أما المصوّرة الأولى فقد أخذت عن مخطوطة محفوظة بمكتبة « نور عثمانية » تحت رقم ٣٧٧٤ . وهى تبدأ بأول النص وتستمر حتى تنتهى بترجمة طلائع ابن رزِّيك ، ونجد فى نهايتها هذه العبارة : « تم الجزء التاسع من كتاب خريدة القصر وجريدة العصر ، ويتلوه فى الجزء العاشر منه إن شاء الله تعالى شعر الأمير أبى المهند حسام بن قضة بن مبارك العقيلى من المصريين » .

ويغلب على الظن أن تكون هذه النسخة كتبت فى القرن التاسع الهجرى ، وهى بخط نسخ صغير ما عدا عُنوَاناتها فقد كتبت بخط ثلث . وإعجامها كامل ، وشكلها كثير ، وليس فيها حِلْيَات مميزة سوى شكل مخروطى ، تختم به أحيانًا بعض التراجم ، أو بعض الأبيات ، وقد يوضع حول العُنْوان .

وعدد أوراق هذه النسخة التى أفدنا منها فى هذا القسم خمس وعشرون ورقة ، وهى تامة ، فليس بها خَرْم أو نقص يتخللها . وعدد سطور الصفحة فيها سبعة وعشرون سطراً وطولها ٢٦٫٥ س . م وعرضها ١٧٫٥ س . م .

وأما مصوّرة دار الكتب المصرية عن نسخة المكتبة الأهلية بباريس فمحفوظة بالدار تحت رقم (٤٢٥٥ أدب) . وهى تبدأ بمقطوعات شعرية نجد فى أثنائها : «وأنشدنى بعض فضلاء مصر لابن الحباب» وفى آخرها : « تمّ التأليف الحاوى لشعراء مصر وأدباء العصر بمنّ الله تعالى بتاريخ العشرين من رجب من سنة اثنتين وأربعين وستمائة ، والحمد لله ، وصلى الله على محمد وآله وأصحابه » . وحول هذه العبارة مطالعات لبعض من نظَر فيه .

فهى نسخة قديمة كُتِبَت فى عصر قريب من عصر العماد ، وربما نُقلت من نفس نسخته . وهى تبدأ ببقية ترجمة القاضى الجليس بن الحباب وتستمر حتى نهاية هذا النص المصرى . وهى ورق مختلط ضُم بعضه إلى بعض على غير نَسَق ، ويستطيع القارئ أن يطلع على ذلك بمقارنة أرقام النسخة على تعاقب النص فى هذا الجزء الأول ، كما فى ترجمة الجليس مثلا ، وابن قادوس ، ومحمد بن هانئ .

وقد كُتِبَت هذه النسخة بخط نسخ حسن ، وكتبت عنواناتها كالنسخة السابقة بخط الثلث ، وإعجامها تام ، وشكلها كامل ودقيق . وقد وضع ناسخها هذه الحلية التى أشرنا إليها فى النسخة السابقة ، فمن حين إلى آخر يقابلنا شكل مخروطى مع بعض العنوانات ، أو فى نهاية بعض المقطوعات .

وعدد أوراق هذه النسخة ٢٠١ غير أنه ينبغى أن نلاحظ أن العماد أضاف إلى مصر ملحقا ذكر فيه شعراء عسقلان وهو يشغل أربع عشرة ورقة . ومعنى ذلك أن الأوراق الخاصة بمصر فى هذه النسخة مائة وسبع وثمانون ورقة . وعلى كل ورقة رقم أفرنجى إلى اليسار لا شك فى أنه من عمل المكتبة الأهلية الباريسية . وعدد سطور الصفحة فى الأكثر سبعة عشر سطراً ، وطولها ٢١ س . م ، وعرضها ١٣ س . م .

٣

العماد الأصفهانى وأسلوب تأليفه لهذا القسم

والعماد مؤلف هـذا القسم المصرى هو محمد[١] بن محمد بن حامد بن محمد ابن عبد الله بن على بن محمود بن هبة الله بن آلُه الـكاتب الأصفهانى المعروف بابن أخى العزيز[٢] . ولد بأصفهان سنة ٥١٩ هـ ، وقدم بغـداد وهو فى سن العشرين ، فانتظم فى سلك المدرسة النظامية ، ودرس على أساتذتها المختلفين الفقهَ والحديثَ والخلاف ، وبرع أثناء ذلك فى نظم الشعر وصوغه ، فحاول الصلة عن طريقه بالخليفة المقتفى لأمر الله (٥٣٠ — ٥٥٥ هـ) فأوصى به وزيره عون الله بن هبيرة (٥٤٤ — ٥٦٠ هـ) فولاه النظر بواسط والبصرة . وقد أرّخ العماد بدء هـذه الصلة فى ترجمة المقتفى بالقسم الأول من الخريدة ، إذ يقول : « وأول من مَدَحْتُه من الخلفاء المقتفى — رضى الله عنه — خدمتُه فى سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة بقصيدة ، ووليت بعد ذلك الأعمال الجليلة ، ووليت بواسط نيابة وزيره عون الله ابن هبيرة » . واستمر يخدم ابن هبيرة على واسط والبصرة حتى توفى سنة ٥٦٠ هـ فاعتُقِل مع من اعتقل من أنصاره ، يقول فى أوائل الخريدة : «ولما توفى الوزير ابن هبيرة اعتقلت فى الديوان ببغداد بسبب مَنَابى عنه فى واسط والبصرة ، فمدحت الخليفة (المستنجد) بقصيدة ، أستعطفه بها فى شعبان سنة ستين منها :

أُعيذكمُ أن تغفلوا لأمورهِ وأن تتركوه نُهْبَةً لمغيرهِ

وما زال يستعطفه حتى فك وثاقه ، فولّى وجهه نحو الشام وألقى عصا التسيار

(١) انظر فى ترجمة العماد معجم ياقوت طبع مصر ١٩/١١ ووفيات الأعيان لابن خلـكان طبع القاهرة سنة ١٢٧٥هـ ج ٢ ص ١٠٨ والوافى بالوفيات الصفدى طبع إستانبول ١٣٢/١ وحسن المحاضرة للسيوطى ٣٢٥/١ وشـذرات الذهب لابن العماد الحنبلى نشر مكتبة القدسى بالقاهرة سنة ١٣٥٠هـ ج ٤ ص ٣٣٢ والجامع المختصر فى عنوان التواريخ وعيون السير لابن الساعى طبع المطبعة السريانية ببغداد ٦١/٩ وطبقات الشافعية للسبكى ٩٧/٤ .

(٢) ولى المناصب العلية للدولة السلجوقية ويقول العماد فى أول الخريدة : إن مدائحه مجلدات ، وإنه ألف الخريدة إحياء لذكرى مادحيه وشكراً على صنيعهم .

بدمشق سنة ٥٦٢ هـ ، واتصل بالقاضى كمال الدين الشهرزورى مدبر دولة نور الدين ، فوصله بنجم الدين أيوب والد صلاح الدين ، وكان يعرف عمه العزيز ، فقرّبه منه ، ولم يلبث أن استخدمه نور الدين فى الإنشاء ، ورتبه فى أشرف الديوان . وكان ينشئ الرسائل الفارسية أيضا فيجد فيها إجادته بالعربية . وفوّض إليه نور الدين شئون المدرسة النورية ، التى سميت فيما بعد — نسبة إليه — بالعمادية .

ولما توفِّى نور الدين وقام ابنه إسماعيل بمقامه قُفِلت الأبواب فى وجه العماد ، فرحل إلى العراق ، حتى إذا بلغه أخْذ صلاح الدين لدمشق رجع إلى الشام وصلاح الدين على حلب سنة ٥٧٠ هـ ، فمدح وزيره القاضى الفاضل ، فأوصله إلى صلاح الدين ، وفخّم شأنه عنده ، وأشار عليه أن يستكتبه ، فلزم حضرته ، وأفاء عليه صلاح الدين من رعايته . وكان القاضى الفاضل يُنيبه عنه فى الكتابة عن صلاح الدين ، حين يضطر إلى الرجوع لمصر لبعض شئون الدولة والسياسة . ولم يزل العماد حَظِيًّا عند صلاح الدين حتى وافاه القدر سنة ٥٨٩ هـ فلزم بيته بدمشق ، كما لزم القاضى الفاضل بيته بالقاهرة ، واشتغل بالتأليف والتصنيف إلى أن توفى فى مستهلّ رمضان سنة ٥٩٧ هـ .

وللعماد مؤلفاتٌ كثيرة لم يُنشَر منها إلا « الفَتْح القُسّى فى الفتح القُدْسى » . وله كتب أخرى فى التاريخ أشار إليها ياقوت وغيره ممن ترجموا له . وأشهَر كتبه وأنفَسُها « خريدة القصر وجريدة العصر » فى شعراء عصره والعصر الأقرب منه ، ونراه يقول فى مقدمتها : « قد ذكرت أهل عصرى وأهل عصر آبائى وأعمامى » . ومن يقرأ فى هذا القسم المصرى الذى ننشره من هذا الكتاب يستطيع أن يلاحظ فى يُسْرٍ أن العماد ذكر فيه الشعراء الذين كانوا بعد المائة الخامسة إلى سنة ٥٧٣ هـ إلا ما ترجم له عفواً مثل الشريف العقيلى الذى كان يعيش فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى ، ولعله لم يعرف عصره .

والخريدة تقع فى عشر مجلدات كبيرة ، وقد قسمها العماد أربعة أقسام ،

خصّ القسم الأول منها بالعراق ، والثانى ببلاد العجم وفارس وخراسان ، والثالث بالجزيرة والموصل والشام والحجاز واليمن . أما الرابع فخصّه بمصر وصقلية والمغرب والأندلس ، وافتتحه بمصر وشعرائها ، وعَلَّلَ ذلك بقوله فى أول هـذا الجزء : « وأنا مبتدئٌ بالديار المصرية لامتزاجى بأهلها ، وابتهاجى بفضلها ، وحصول مَدارى فى فَلَـكها ، ووصول مُرادى إلى ملـكها » .

ويتضح لـكل من يراجع هـذا القسم المصرى أن العماد يُطيل فى التراجم أحياناً ، ويوجز إيجازاً شديداً أحياناً أخرى ، حسب المواد التى تهيأت له ، والتى يصنع منها الترجمة . وقد بدأ بمقدمة طويلة أشاد فيها بصلاح الدين وأنشد طائفة من قصائده التى دبَّجها فيه وفى فتوحاته وانتصاراته . واستهلَّ التراجم بعد ذلك بترجمة القاضى الفاضل وقَصَرَ الترجمة ، أو كاد ، على التنويه به وما صاغه فيه من أشعار ، ثم ترجم بعده لمن كانوا يعاونونه فى دواوينه ، من مثل المؤتمن بن كاسيويه ، وابن رقاعة ، وابن سناء الملك ، والأسعد بن مَمَّاتى . واستطرد إلى بعض شعراء مصر الممتازين فى عصره مثل ابن قلاقس ، وطلائع بن رُزِّيك الوزير الفاطمى المشهور (٤٤٩ — ٥٥٦ هـ) وتلاه بمن كانوا يعاونونه فى دواوينه وممن تخصصوا بمدائحهم مثل القاضى الجليس ، والمهذب بن الزبير ، وابن قادوس ، والموفق بن الخلال . ثم أفاض فى الحديث عن كل مَنْ عُرِف لمصر من شعراء فى القرن السادس سواء فى القاهرة ، أو فى الإسكندرية ، أو فى الصعيد ، أو حتى فى المحلة وسَخَا .

وفى العادة يبدأ الترجمة بقطعة مسجوعة ، أكثرها فى الثناء على الشاعر وشعره ، وقلما احتوت أخباره ووقائع حياته وأحداثها إلا قليلا وفى التراجم المهمة ، وخاصة تلك التى كانت فى عصره أو قريباً منه . وكأنما كانت غايته الأساسية أن يجمع أكثر ما يستطيع من نماذج الشاعر وشعره . فالـكتاب أو هذا النص إلى أن يكون منتخبات شعريةً أقرب منه إلى أن يكون تاريخاً دقيقاً للشعراء ، ومع

ذلك فهو أهم مصـدر تاريخى وأدبى وصل إلينا عن الشعر المصرى حتى القرن السادس الهجرى .

على أنه ينبغى أن أشير إلى أن العماد فى هذه المنتخبات تَحَّى عامداً كثيراً من الأشعار التى صاغها الشعراء فى مديح الخلفاء الفاطميين ، وخاصة تلك التى تبالغ فى مديحهم وتُضْفِى عليهم صفات إلهيـة . وقد ساق فى هذا الجزء عفواً قطعة لأبى الحسن الأخفش فى مديح الحافظ الخليفة الفاطمى ، وعلّق عليها بقوله : « قد أفضى به الغلو إلى الـكفر الصريح » . ولم يلبث بعد إنشاده لبعض أبياتها أن قال : « واقتصرت على هذه أنموذجا لشركه ، وأخرت الباقىَ من سلـكه » . وكنا نأمل أن لا يقتصر ، وأن لا يؤخر ، حتى نعرف مدى تغلغل النحلة الفاطمية فى نفوس الشعراء ، وإلى أى حَدٍّ استجاب لها المصريون . ولعل نزعته السُّنِّيَّة كان لها أثر فى ذلك ، وأيضاً فإن صلاح الدين ، سيده ، قضى على الفاطميين فجرى فى ركابه ، وأجرى معه فى تأليفه إلى نفس الغاية .

وإذا تركنا أسـلوب العماد فى تأليفه لهذا القسم إلى أسلوبه الـكتابى الذى يبدو فى فواتح التراجم لاحظنا أن العماد يلتزم فيه السجع وفنونا مختلفة من البديع ، نوّه بها صراحة فى إحدى رسائله للقاضى الفاضل من هذا الجزء إذ يقول ص ٤٤ : « وهذه الرسالة قد وفَّيتها حقا من التجنيس والتَّطْبيق والتَّرْصيع والمقابلة والموازنة والتوشيع » . وربما كان التجنيس أهمَّ زخرف عُنى بإشاعته فى نثره ، ومن يقرأ فى مستهل هذا الجزء الذى ننشره وفى ترجمة القاضى الفاضل خاصـة يستطيع أن يلاحظ إلى أى حَدٍّ كان العماد يُعَقِّد فى سجعه بواسطة الجناس ، وخاصة حين يعمد إلى رد العجز على الصدر ، كما يقولون ، حتى لتتحوّل بعض عباراته إلى ما يشبه الرُّقَى والتمائم .

٤

مصادر العماد فى هذا القسم

من يقرأ فى هذا القسم المصرى يستطيع أن يلاحظ فى سهولة أن العماد يعتمد فيه على مصدرين أساسيين هما : السماع أو الرواية الشفوية عن الشعراء أنفسهم أو عن راوٍ روى عنهم ، والصحف أو الكتابات التى قرأ فيها أشعارهم وهى إما دواوينهم أو مصنَّفات عُنِيَتْ بهم ، فترجمت لهم .

أما من حيث المصدر الأول ، فإنه يتنوّع نوعين : نوع السماع أو الرواية عن الشعراء أنفسهم على نحو ما نرى فى ترجمة ابن سناء الملك والأسعد بن مماتى وأبيه الخطير . وفى الجزء الثانى من هذا النص طائفة من الشعراء عَنْوَنَ لهم العماد هكذا : « جماعة التقطتهم من الأفواه » وهم خمسة عشر شاعرا أكثرهم لَقِيَه بنفسه ، واستنشده طائفة من شعره .

والنوع الثانى من هذا المصدر الأول هو نوع السماع أو الرواية عن راوٍ واحد بينه وبين الشاعر . وكثيرٌ هم الذين أتحفوه بهذه الدرر، التى سلكها فى هذا القسم المصرى ، وعلى رأسهم القاضى الفاضل ، ونجم الدين بن مَصَال ، والقاضى حمزة بن عثمان ، ونصر الفزارى الإسكندرى ، وأحمد بن حيدرة الحسينى ، والشريف إدريس الإدريسى الحسَنى ، وزين الحاج أبو القاسم ، وأبو الذكاء البعلبكى ، وزين الدين بن نجا الواعظ الدمشقى . فهؤلاء ، وغيرهم كثيرون ، يَرْوِى عنهم فى التراجم المختلفة .

وهذا هو المصدر الأول للعماد فى هذا القسم المصرى يتنوع على هذا النحو نوعين ، وكذلك الشأن فى المصدر الثانى ، فهو إما دواوين الشعراء ، وإما مصنفات ترجمت لهم أو عرّفت بهم . أما الدواوين فإن العماد اطلع على طائفة طريفة منها ، وانتخب لهذا القسم فى خريدته ما أُعجب به فيها من معنى غريب ، أو لفظ رائق ، أو صورة مبتكرة ، أو فكرة مخترعة . وليس من رأى كمن سمع .

ومن الدواوين التى رجع إليهـا فى هذا الجزء الأول ديوان الشريف ابن هبة الله العلوى ، وأبى الفتح بن قادوس ، ومحمد بن هانئ ، وابن الضيف . وسيراه القارئ فى الجزء الثانى يرجع إلى دواوين ابن الكيزانى ، وابن النضر الأديب ، وعلى بن عرّام ، وهبة الله بن عرام . وكل أولئك فُقِدَت دواوينهم ، وهو يُسرف فى الاختيار لهم . ولعل هـذا يكشف — من بعض الوجوه — عن قيمة هذا النص .

ويلحق بهذا النوع من الدواوين كتابُ « الزهر الباسم من أوصاف أبى القاسم » لابن قلاقس ، وهو كتاب ألفه فى أبى القاسم بن حمود زعيم أهل صقلية من المسلمين فى عصره ، وضمنه كثيراً من مدائحه فيه ، وقد استقى منه العماد فى ترجمة ابن قلاقس نحو عشرين صحيفة . والكتاب مفقود الآن . ويمكن أيضاً أن يلحق بهـذا النوع من الدواوين الرُّقَع الكثيرة التى ينوّه بها العماد إذ كثيراً ما يقول : « وقع إلىّ من شعر هذا الشاعر قصيدة بخطه » أو يقول : « أهدانى القاضى الفاضل أو غيره كابن مَمّـاتى مثلا قصيدة من خط فلان » ، أو يقول : « أهدانى فلان قطعة من شعره » ونحو ذلك .

وأما النوع الثانى من هذا المصدر الكتابى ، فهو المصنفات التى رجع فيها إلى التراجم ، وهو أحياناً يكتفى بالنقل عن هذا المصدر ، وأحياناً يُضيف إليه الأنواع المختلفة السابقة . ومن أهم المصنفات التى رجع إليها فى هذا القسم المصرى مُصَنَّفُ القاضى الجليس فى شعراء ابن رُزِّيك الوزير الفاطمى وهو كثيراً ما ينقل منه فى هذا الجزء الأول .

وربمـا كان أهمّ المصنفات المصرية التى رجع إليها فى هذا الجزء وفى بقية النص كتابُ « جِنان الجَنان ورياض الأذهان » للرشيد بن الزبير المتوفى سنة ٥٦٣ ﻫ وقد ألفه ، كما يقول العماد ، سنة ٥٥٨ ﻫ . وهو أهم كتاب ألف عن الشعر

المصرى فى العصر الفاطمى ، ومن يطلع على المغرب لابن سعيد (جزأى الفسطاط والقاهرة) يجده يحتفظ بكثير من تراجمه .

وبجانب الجنان يستعين العماد بكتاب يسمى « المختار فى النظم والنثر لأفاضل أهل العصر » لابن بشرون المهدوى ، وهو عثمان بن عبد الرحيم بن عبد الرزاق بن جعفر بن بشرون بن شبيب الأزدى . وقد صنف هذا الكتاب ، كما يقول العماد فى الجزء الثانى من هذا القسم ، سنة ٥٦١ هـ .

وليس هذان المصنفان كل ما استعان به العماد فى تراجم هذا القسم المصرى ، فقد استعان أيضاً بالرسالة المصرية لأبى الصلت أمية بن عبد العزيز المتوفى سنة ٥٢٨ هـ ، و برسالة ثانية لابن جبر يحيى بن حسن الشاعر ، وهى فى مدائح بنى أسامة سنة ٥٢٥ هـ . وأهمية هاتين الرسالتين أن العماد اطلع منهما على شعراء مصر المهمين فى الربع الأول من القرن السادس . وختَمَ العمادُ هذا النصَّ بجماعة كتبَ شعرَهم قبل نزوله مصر سنة ٥٧٢ هـ . ومن أهم مصادره فيهم مُذَيَّل السمعانى المتوفى سنة ٥٦٢ هـ وهو ذيل على تاريخ بغداد لأبى بكر الخطيب .

ولعل فى هذا ما يدلُّ بعضَ الدلالة على العناية البالغة التى أنفقها العماد راضياً فى تصنيف هذا القسم المصرى . وإنه ليذكِّرنا فى هذا الصنيع بعمل أهل الحديث فإنهم كانوا يَشُقُّون على أنفسهم بالسماع والرواية الشفوية ، فكانوا يطلبون لقاء مَنْ يحملون الحديث ومَن يروونه عنهم ، قبل أن يطلبوا الكتب والمؤلفات التى صُنِّفت فيه ، وكانوا يذهبون بأنفسهم إلى لقائهم فى البلدان والأمصار المختلفة ، وارتحلوا فى سبيل هذا اللقاء رحلاتهم المشهورة . وطَبَّقَ ذلك العماد فى الخريدة وفى هذا القسم المصرى تطبيقا واسعاً ، فكان يلقى الشعراء المصريين ويسألهم عن أخبارهم وأجودِ ما صاغوه من شعرهم ، فإن تعذر عليه لقاؤهم بسبب وفاتهم روى عن لقيهم وتقفّد أخبارهم ، أو عاد إلى دواوينهم والرُّقَع التى خلّفوها بخطهم وأخفتى أشعارهم . فإن لم تكن لهم دواوين ولا حُفِظَتْ بعضُ رُقَع شعرهم وجمع

إلى المصنفات التى رَوَتْ بعضَ أحداثهم ووقائعهم ، وأنشـدت بعضَ قصائدهم ومقطوعاتهم . ويكفى أن يعود القارئُ لترجمة مثل ترجمة المهذب ابن الزبير فسيجد مصادرها تتوالى على هذا النحو :

نجم الدين بن مَصَال — بعض الـكتب — جزء من الأمير عز الدين حسام فيه قصيدة بخط المهذب — الشريف إدريس الحسنى — مُرْهَف بن أسامة — القاضى حمزة بن عثمان — بعض المصريين — كتاب جِنان الجَنَان .

وبهذه الصورة البديعة صاغ العماد هذا النص صياغة دقيقة تُعَدّ مضرب الأمثال فى إحكام التأليف الأدبى وضبطه وإتقانه .

٥

قيم هذا القسم المصرى

يتميز هذا القسم المصرى النفيس بمجموعتين من القِيَم ، أما أولاهما فقيم ذاتية تصوِّرها المنتخبات التى تنخّلها العماد لـكل شاعر وما ادّخرت من جمال فنى ، فقد جَمَعَ بين دفّتى هذا القسم كل ما استطاع من عيون النماذج وفرائدها ، وغرائب الأساليب ونواصعها ، وبدائع الصـور وعجائبها ، ولطائف المعانى ودقائقها . وأما ثانيتهما فقِيَمٌ موضوعية ترجع إلى تمثيل هذا القسم لجوانب الحياتين السياسية والاجتماعية فى مصر أثناء القرن السادس ، وما اضطرب فيه الشعراء من ظروف مادية وروحية .

واللونان من القيم بالغا الخطر فى تاريخنا الأدبى وخاصة إذا عرفنا أن هذا النصَّ أولُ نصٍّ قيِّمٍ يُنْشَر فى تاريخ الشعر المصرى ، وأنه يمثل عصراً زاهيا من عصوره . ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن القرن السادس الهجرى فى مصر هو ربيع الشعر بها ، وحَسْبُ القارئ أن يعرف أنه ظهر فى النصف الأول من هذا القرن ابنُ قلاقس ، بينما ظهر فى النصف الثانى ابنُ سناء الملك ، غير الأزهار الندِيّة

الكثيرة التى يفوح شَذاها فى هذا القسم من مثل ظافر الحداد ، والمهذب بن الزبير ، وطلائع بن رزيك ، والقاضى الجليس ، وابن قادوس ، وابن الكيزانى صوفى العصر الفاطمى .

وأكبر الظن أننى لا أسرف حين أزعم أن هذا القسم المصرى لم يُستَغَلّ استغلالا كاملا فى البحث والدرس حتى الآن . قد تكون مصورة دار الكتب المصرية قُرِئَتْ ، ولكن قلما يتنبه من يقرأ فيها إلى أنه يقرأ نصا مختلطا مضطربا لا نسق فيه ولا نظام ، وأيضا فإنه ينقص كثيراً من أوله كما بَيَّنْت . ومن أجل ذلك كنت أذهب إلى أن هذا القسم من الخريدة يُتَاح للباحثين فى صورة تامة لأول مرة .

ولا ريب فى أن نشر النصوص ودراستها أَوّلُ خطوة ينبغى أن يبدأ بها من يتحدثون عن أدب أمة من الأمم . ولا ريب أيضاً فى أن هذا النص سيُهَيِّئ للباحثين فرصة ذهبية للإجابة على الأسئلة الدائرة فى تاريخنا الأدبى ، وهى : هل وجدت شخصية حقيقية لمصر فى الشعر العربى ؟ وما مدى انطباع الحياة الخارجية فى نماذج شعرائها ؟ وإلى أى حَدٍّ قَلَّدُوا ؟ وإلى أى حَدٍّ جدَّدُوا ؟ وهل غلب عليهم التقليد أو غلب عليهم التجديد ؟ .

والمجال لا يتسع الآن للإجابة على هذه الأسئلة ، وسأحاول ذلك فى بحث مستقل . وأرى من واجبى قبل أن أختم هذا المدخل أن أشكر أستاذى أحمد أمين بك لمراجعته له ، وما تجشّم فى ذلك من عَنَتٍ وعناء ، وكذلك أشكر الأستاذ إحسان عباس لجميل معاونته لى فيه .

وإنى لأعترف بأنى بذلتُ فيه كل ما استطعت غيرَ مُدَّخِرٍ وُسْعًا أو جُهْداً ، ومع ذلك فقد فاتنى بعضُ ما كنت أرجو . والله أسأل أن يرزقنى السداد فى القول والإخلاص فى الفكر والعمل ، وهو حسبى ونعم الوكيل .

القاهرة فى ٢٧ من يوليه سنة ١٩٥١ — شوقى ضيف

فهرس المحتويات

مقدمة العماد الأصفهانى

القسم الرابع

مصـــر

[٣٣ ظ]

بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الرابع

من كتاب خريدة القصر وجريدة العصر فى ذكر محاسن فضلاء مصر وأعمالها وبلاد المغرب وإيراد ما لهم من النظم المطرب والنثر المعجب ، وهو منقسم :

٥

الأول مصر

وأنا مبتدئ بالديار المصرية لامتزاجي بأهلها ، وابتهاجي بفضلها ، وحصول مَدَارِى فى فلكها ، ووصول مُرَادى إلى مَلِكها ، واطلاعى على فضائلها ، واصطلاعى بفَواضلها ، ودخولى إليها فى خِدْمَة سلطانها ، وخروجي منها بشكر إحسانها ، ومُقامى فيها أترفرف على محاسنها ، وأترشَّف من عَذْبها وآسِنِها ، ١٠ وأتحلَّى بعقود جواهرها ، وأتملَّى من سعود زواهرها ، نازلا من المولى الأجل الفاضل فى ظل إفضاله الوافر الوارِف ، واصِلاً من ذُرَى المحل الكامل فى ذيل إقباله الكافى إلى أبهج الزخارف ، حاصلاً من الملك الناصر فى المنى بالمُلْك والنصر ، حاملاً فى سلطانه الباهر على العِدَا بالهُلْك والقهر .

١٥ ومصر مَرْبَع الفضلاء ، ومَرْتَع النبلاء ، ومَطْلَع البدور ، ومَوْضِع الصدور ، وأهلها أذْكياء أزْكياء[1] ، يبعد من أقوالهم وأعمالهم العِىُّ والعَيَاء ، لا سيما فى هذا الزمان المُذَهَّب ، والوقت المهذَّب ، بدولة مولانا الملك الناصر ،

---

(١) أزكياء : جمع زكى وهو طاهر النفس .

جامع كلمة الإيمان ، قامع عَبَدة الصلبان ، صلاح الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، أبى المظفر يوسف بن أيوب محيى دولة أمير المؤمنين[(١)] ، ففى أيامه الزاهرة ، ودولته القاهرة ، أشرقت الأرض بنور ربها ، وهبّت الأرياح من مهبّها ، ورُفِعت معالم العدل والعلم ، وخَضَعَتْ دعائم الجهـل والظلم ، وأُثبِتَت أمالى الآمال فى دفاتر النجاح ، وكُتِبَ أمان الأمانى بمهارق[(٢)] الفلاَح ، واستدرَّ جَوْدُ الجود[(٣)] ، واستقر طَوْدُ الوجود ، وزُفَّ هَدِيُّ[(٤)] الهُدَى على خاطبى النصر ، وحُفَّ نَدِىُّ النَّدَى بطالبى الوفر ، واتضح الحق ، واتضع الباطل ، وعَزَّ العالم وقلّ الجاهل ، وأفاض الأفاضل فى الشكر ، وراضَ الأماثل قُرَّح القرائح فى النظم والنثر ، وعاد الرجاء مفتوح الرِّتاج ، ممنوحَ النتاج ، حالىَ التاج بيواقيت الفوز ، عَلِيَّ السِّرَاج فى مواقيت العز ، أَرِجَ الآفاق بذائع البدائع ، رائجَ الأسواق بضائع[(٥)] البضائع ، بوجود المولى الفاضل ، وجوده للموَلّى[(٦)] إلى الأفاضل ، وكفى مصرَ فخراً سُمُوُّ سناء فضـله فى ذُرَاها ، ودنوّ جَنَى أفضاله لذَرَاها[(٧)] ، فإنه ذو السُّؤْدُد الظاهر ، والمَحْتِد الطاهر ، والسلف الـكريم ، والشرف الصميم ، والعُرْف[(٨)] الزكى ، والعَرْف[(٩)] الذكى ، والفتوة الراجحة ، والمروّة الناجحة ،

(١) يشير إلى ما كان من محو صلاح الدين للدولة الفاطمية وجعل مصر فى ظل الدولة العباسية .

(٢) مهارق : جمع مهرق ، وهى الصحف ، ولا يقال الـكتب مهارق حتى تكون كتب عهود وأمان أو كتب دين (الحيوان للجاحظ طبع الحلبى ١ / ٧٠) وفى الأصل هكذا : بمرابق وهو تحريف .

(٣) استدر جود الجود : سال غيث الـكرم .

(٤) الهدى : العروس .

(٥) الضائع : من ضاع المسك ، أى فاحت رائحته وانتشرت .

(٦) المولى : من أولاه الشىء ، أى أنعم عليه به .

(٧) الجنى : الثمرة ، والذرا : الظل والـكنف .

(٨) العرف الزكى : المعروف أو الإحسان النامى .

(٩) العرف الذكى : أصله الشذى الساطع ويريد به هنا الشهرة الأرجة .

والظنّ المخمَّر[١] بالدين ، واليقين المؤزَّر بالصدق المبين ، والحق المتين ، والبلاغة التى لم يبلغ إلى شأوها قُسٌّ[٢] والرأى الذى لم يهتد إلى سَنَنه قَيْس[٣] ، والبراعة التى نسخت شريعتُها بالإعجاز شرائعَ الفصحاء ، وبَذَخَت[٤] صنعتها بالإحراز لبدائع البلغاء .

وهو الذى رَاشَ نَبْل[٥] نُبْلى ، وأعاشَ شخص فَضْلى ، وأقام جاهَ أملى بعد الخمول ، وأنام عَيْنَ وَجَلى عند النحول ، وثَبَّتَ عَرْشَ حفظى ، ونَبَّتَ غَرْسَ حظى ، ونَشَرنى وقد كاد يُطْوَى اسمى ، وأنْشَرنى[٦] وقد كرب يَبْلَى رسمى ، ورغّبنى فى قصد مصر عنـد توجه مولانا الملك الناصر من دمشق إليها عائداً ، وحقّق عندى أنه يكون لى مُسَاعفاً مساعِداً ، فسرتُ فى أول شهر ربيع الأول من دمشق فى الخدمة الناصرية ، ووصلت آخر الشهر إلى القاهرة الصلاحية ، فقابل وفادتى[٧] بوافر رِفادته[٨] ، وموافاتى بوافى إفادته ، ونوّه بذكرى ، ونبّه على قدرى ، ونظَمَ أمرى ، واغتنم شكرى ، وخَفّفَ ثِقْلى ، ورادف نَهَلِى وعَلّى[٩] . وحين ملـكت مادّة برّه ، سلـكت جادّة شـكره ، وصار حمدى الحرّ له مُسْتَرَقًّا ، ونفسى المُسْتَعْبَدَة لآمالها بنُجْح آماله قد صادفت عِتْقاً .

(١) المخمر : المستور .
(٢) يريد قس بن ساعدة الإيادى خطيب عكاظ فى الجاهلية ، وهو يشتهر بالحكمة والبلاغة .
(٣) يريد أبا على قيس بن عاصم المنقرى التميمى ، وكان سيداً فى قبيلته ، ولحق الإسلام وصحب الرسول فى حياته وعاش بعده زمانا ، وكان يشتهر بالخطابة وحصافة الرأى ، ويروى عن الأحنف زعيم تميم فى البصرة أثناء العصر الأموى أنه قال : ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم .
(٤) بذخت : سمت وشرفت ومنه بناء باذخ أى عال مغرق فى العلو .
(٥) راش النبل : ألصق به الريش ليدفعه فى الحرب .
(٦) أنشرنى : أحيانى . (٧) وفادتى : قدوى وورودى .
(٨) رفادته : أصل الرفادة أموال كانت تجمعها قريش فى الجاهلية تشترى بها للحجاج طعاما ، ويريد هنا العماد استكمال صورة الرفد القاضى الفاضل ، وأنه خصص أموالا رفادة للأدباء من مثله .
(٩) النهل : الشرب الأول ، والعل بتشديد اللام : الشرب الثانى أو الشرب بعد الشرب .

ومما نظمته فى طريق مصر قصيدةٌ ذكرت فيها المنازل على ترتيبها / ، [٣٤ و] والشوقَ إلى دمشق وطيبها ، ووصلتُها بمدح الملك الناصر ، وتولّى للمولى الفاضل نَعْشَ جَدِّها العاثر ، وترويج حظِّها الكاسد ، وسعرِها القاصرِ ، أولها :

هجرتكمُ لا عن مَلَالٍ ولا غَدْرِ ولكن لمقدورٍ أُتيحَ من الأمْرِ

٥ وما كنتُ أدرى أن يُتَاحَ فراقكمْ ومن يعلمُ الأمرَ المقدَّرَ أو يدرى ؟

وأعلمُ أنى مخطئٌ فى فراقكمْ وعذرىَ فى ذنبى وذنبىَ فى عذرِى

أرى نُوَباً للدهر تُحْصَى وما أرى أشدَّ من الهجران فى نُوَبِ الدهر

بعينى إلى لُقْيا سواكمْ غشاوةٌ وسمعى إلى[1] نجوى سواكمْ لَذُو وَقْرٍ[2]

وقلبى وصدرى فارقانى لِبُعْدكمْ فلا صدرَ فى قلبى ولا قلبَ فى صدرى

١٠ وإنى على العهدِ الذى تعهدونَهُ وسرى لكم سرى ، وجهرى لكم جهرِى

تجرعتُ صِرْفَ الهمِّ من كأسِ شوقكمْ فما أنا فى صَحْوى نزيفٌ من السكر

وإنَّ زماناً ليس يَعْمُرُ موطنِى بسكناكمُ فيه فليس من العمر

وأُقسِمُ لو لم يَقْسِمِ البينُ بيننا جوى الهمِّ ما أمسيتُ مُنْقَسِمَ الفكر

أسيرُ إلى مصرٍ وقلبى أسيرُكُمْ ومن عجبٍ أَسْرِى وقلبىَ فى أَسْرِ

١٥ أخلاَّىَ قد شَطَّ المزارُ فأرْسِلُوا الخيالَ وزوروا فى الكرى وأَرْبَحُوا أَجْرِى

تذكرتُ أحبابى بجِلَّقَ بعدما ترحلتُ والمشتاقَ يأْنَسُ بالذكر

أخلاىَ فقرِى فى التنائى إليكمُ بحقِّ غِنَاكُمْ بالتدانى ارْحَمُوا فقرى

---

(١) رواية كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين لأبى شامة طبع مطبعة وادى النيل بمصر سنة ١٢٨٧ هـ ١ / ٢٦٥ : عن .

(٢) الوقر : الثقل فى الأذن أو الصمم .

ومنها فى وصف المنازل :

ولما قصدنا من دمشقَ غباغباً[1] وبتنا من الشوق المُمضِّ على الجمر
نزلنا بصحراء القَفِيع[2] وغُودِرَتْ فواقعُ من فيضِ للدامع فى الغُـدْرِ
ونهنهتُ بالقُوّارِ[3] فَوْرَ مدامعى فقاضتْ وباحتْ بالمُـكَتَّم من سِرِّى
سرينا إلى الزرقاء[4] منها ومن يُصِبْ أُواماً[5] يَسِرْ حتى يرى الوِرْدَ أوْ يَسْرِ ١٥
أعادَتْكِ يا زرقاء حمراء أدْمُعِى فقـد مَزَجَتْ زُرْقَ للوارد بالخمر
وَسُودُ هُمُومٍ سَوَّدَتْ بيضَ أَزْمُنِى فيومى بلا نُورٍ وليـلى بلا فجر
أيا ليلُ زِدْ ماشئتَ طُولاً وظُلْمَةً فقد أذْهَبَتْ منك السنا ظلمةُ الهَجْرِ
تذكرتُ حَمّامَ القُصَيْرِ[6] وأهلَهُ وقد جُزْتُ بالحَمّام فى البلدِ القَفْرِ

١٠ ومنها :

وردنا من الزيتون[7] حِسْمَى[8] وأَيْلَةً[9] ولم نَسْتَرِحْ حتى صَدَرْنا إلى صَدْرٍ[10]
غَشِينا الغَوَاشِى[11] وهى يابسةُ الثَّرَى بعيدةُ عَهْدِ القَطْرِ بالعَهْدِ والقَطْرِ
وضَنَّ علينا بالندى ثَمَدٌ[12] الحصى ومن يرتجى رِيّاً من الثَّمَدِ النَّزْرِ

(١) غباغب : قرية فى نواحى دمشق بينهما ستة فراسخ .
(٢) لم نجد لهذه الصحراء ذكراً فيما بين أيدينا من معاجم وواضح من الشعر أنها فى الطريق إلى شرق الأردن .
(٣) القوار : اسم ماء .
(٤) الزرقاء : نهر بشرق الأردن . (٥) الأوام : العطش .
(٦) حمام القصير : القصير غيضة بالقرب من دمشق .
(٧) الزيتون : جبل بالقدس .
(٨) حسمى : موضع بين منازل عذرة والعقبة .
(٩) أيلة : العقبة الآن .
(١٠) صدر : قلعة فى الطريق من العقبة إلى مصر .
(١١) الغواشى : بعض منازل لعذرة .
(١٢) الثمد : أرض قريبة من مدائن صالح .

فقلت اشرحى بالخِمْسِ صدراً مطيتى	بصَدْرٍ وإلا جادكِ النيلُ للعشْر
رأينا بها عينَ للواســـاة أَنَّنَا	إلى عين موسى[1] نبذلُ الزادَ للسَّفْر
وما جسرتْ عينى على فيضِ عبرةٍ	أُكَفْــكِفُهَا حتى عبَرْنَا على الجسر[2]
وملتُ إلى أرضِ السَّديرِ[3] وجَنَّةٍ	هنالك من طلحٍ نضيدٍ ومن سِدْر[4]
٥ وجُبْنَا الفَلاَ حتى أَتَينا[5] مباركاً	على بركة[6] الجبِّ المُبَشِّرِ بالقصرِ[7]
ولما بدا الفسطاطُ بَشَّرْتُ ناقتى[8]	بمن يَتَلَقَّى الوفدَ بالوَفْرِ والبِشْر
ولم أَنْسَ يومَ البينِ بالمَرْجِ[9] نَشْرَنَا	مطاوِىَ سِرٍّ فى الهوى أَرِجِ النَّشْرِ
وقد أَقبلتْ نُعْمٌ وأترابُهَا كما	تَطَلَّعَ بَدْرُ التمِّ فى الأنجمِ الزُّهْر
وقَعْنــــا وحادينا يحثُّ وناقتى	تَزُمُّ[10] ولاَحِينَا لِمُغْرَمِنـا مُغْرِ
١٠ وكلُّ بنانٍ فوق ســـنٍّ لنادمٍ	وكلُّ يدٍ فوق الترِيبةِ والنحر
وبيعَ فؤادى فى مناداةِ شــوقهم	فسُمْتُهُمُ أَنْ يأخذوا الرُّوحَ بالسِّعْر
بكت أمُّ عمرٍو من وشيكِ تَرَحُّلِى	فيا خجلتا من أمِّ عمرٍو ومن عمرو
تقولُ إلى مصرٍ تســيرُ! تعجباً	وما الذى تَبْغِى ومَنْ لَكَ فى مصر؟
تُبَدِّدُ فى سَهْلٍ من العيش شَمْلَنَا	وتنظمُ سِلْكَ العيشِ فى المَسْلَكِ الوَعْرِ؟
١٥ فقل أيمــا عُرْفٍ حَدَاكَ على النوى؟	ومن ضَلَّةٍ أَنْ تطلب العُرْفَ بالنُّكْرِ

(١) عين موسى: عين بواد كثير الزيتون بالقرب من بتراء.
(٢) الجسر: مدينة القلزم وكانت تقع بالقرب من السويس الآن.
(٣) السدير: أول ما يلقى القادم من الشام إلى مصر من جنات وزروع.
(٤) الطلح: شجر اللوز. والسدر: شجر النبق.
(٥) رواية الروضتين: أصبنا.
(٦) بركة الجب: هى الآن قرية فى مديرية القليوبية تسمى البركة، وهى شرقى المرج.
(٧) القصر: قصر السلطان صلاح الدين وكان قصر الفاطميين قبله.
(٨) رواية الروضتين: رفقتى.
(٩) المرج: يريد أحد مروج دمشق وهى القياس حولها.
(١٠) تزم: ترفع رأسها لتهم بالسير.

ومن فارقَ الأحبابَ مستبدلاً بهم سواهمْ فقد باعَ الرابحَ بالخُسْرِ
فقلتُ ملاذى الناصرُ الملكُ الذى حصلتُ بجدواه على المُلْكِ والنَّصر
فقالت أَقِمْ لا تَعْدَمِ الخير عندنا فقلت وهل تُغْنِى السواقى عن البحر
فقالتْ صلاحُ الدين ؟ قلت هو الذى به صارَ فضلى عالىَ الخطِّ والقَدْر
ثِقِى برجوعٍ يَضْمَنُ اللهُ نُجْحَهُ ولا تَقْنَطِى أن تُبدِلَ العُسْرَ باليُسْرِ ٥
وإنَّ صَلاحَ الدينِ إنْ راحَ مُعْدِمٌ إلهه غَدا من فَيْضِ نائِلِهِ مُثْرِى
نَعِزُّ بأفضالِ العزيزِ وفَضْلِهِ وتَحْسِبُ نفعاً كلَّ ما مَسَّ من ضُرّ
عطيته قد ضاعَفَتْ مُنَّةَ الرَّجا ومِنَّتُهُ(١) قد أَضْعَفَتْ مُنَّةَ الشكر
[وماذا يجد للمدح منه(٢)] فإنما مناقِبُهُ جَلَّتْ عن الحدِّ والحصْرِ

ولى فى الملك الناصر بعد مملكته مصر قصائد موسومة على اسمه ونعته ، ١٠
فمن جملة الموسومات على اسمه قصيدة نظمتها(٣) فى سنة خمس / وستين أنفذتها إليه [٣٤ ظ]
بمصر ، وهى هذه :

يَرُوقُنِى فى المَها(٤) مُهَفْهَفُهَا ومن قُدُودِ الحِسانِ أَهْيَفُهَا
ومن عيونِ الظباءِ أَفْتَرُهَا ومن خُصورِ المِلاحِ أنْحَفُهَا
ما سَقَمِى غيرُ سُقْمِ أعْيُنِهَا ثُمَّ شِفائى الشفاهُ أَرْشُفُهَا ١٥
يُسْكِرُنى قَرْقَفٌ(٥) يُشَعْشِعُهَا لحظُ الطَّلَا لا الطِّلا(٦) وقرقفها
يا ضَعْفَ قلبى من أعْيُنٍ نُجُلٍ أَقْتَلُهَا بالقلوبِ أضْعَفُهَا

(١) المنة بضم الميم : القوة . والمنة بكسر الميم : النعمة ، ورواية الروضتين : ونعمته .
(٢) فى الأصل بياض ، وأكملنا الشطر بما يلائم السياق .
(٣) فى الأصل : أولها .
(٤) المها : البقر الوحشى ، ويريد النساء على سبيل الاستعارة .
(٥) القرقف : الخمر .
(٦) الطلا : بكسر الطاء الخمر ، وبفتحها ولد الظبية .

ومن عِذَارٍ كأنَّهُ حَــلَقٌ أحْكَمَ فى سَرْدِهِ[1] مُضَعَّفُهَا
ومن خدودٍ حُمْـــرٍ مُوَرَّدَةٍ أَدْوَمُهَا للحيــــاء أظْرَفُهَا
فى سَلْبِ لُبِّى تَلَطَّفَتْ فأنى نحوى بِخَطِّ الصِّبَا[2] مُلَطِّفُهَا
يا مُنْكِراً مِنْ هَوًى بُلِيتُ به علاقةً ما يكادُ يَعْرِفُهـــا
٥٠ دَعْ سِرَّ وجدى فما أَبوحُ به وخلِّ حالى فلستُ أكشفها
واصرف كؤوسَ اللام عن فئةٍ عن شرعةِ الحب لستَ تصرفها
مِنْ شَرَفِ[3] الحب حلَّ فى مُهَجٍ أقبلُهَا للغـــرام أشْرَفُهَا
لا يستطيبُ الســـلوَّ مُغْرَمُهَا ولا يَلَذُّ الشـــفاء مُدْنَفُهَا
فالقلبُ فى لوعةٍ أعالجُهَـــا والعينُ فى عَبْرَةٍ أُكَفْكِفُهَا
٥٥ كأنَّ قلبى وَحُبَّ مَالِكِهُ مِصْرٌ وفيها المليكُ يُوسُفُهَا
هــــذا بسَلْبِ الفؤاد يظلمنى وهو بقتل الأعداء يُنْصِفُهَا
الملكُ النــــاصرُ الذى أبدًا بعزِّ ســـلطانه يُشَرِّفُهَا
بعـــدله والصَّلاحِ يَعْمُرُهَا وبالنـــدى والجميلِ يكنفُهَا
وإنَّ مصراً بِمُلْكِ يوســفها جنـــةُ خُلْدٍ يَرُوقُ زُخْرُفُهَا
٦٠ وإنَّهُ فى السَّماح حاتمُهَا[4] وإنَّهُ فى الوقارِ أحْنَفُهَـــا[5]
كم آملٍ بالنـــدى يُحَقِّقُهُ ومُنْيَةٍ بالنجاح يُسْــعِفُهَا
وليس يُوليك وَعْدَ عارفةٍ[6] إلاَّ وعنـــدَ النجازِ يُضْعِفُهَا

(١) السرد : الخرز فى الأديم وهو هنا يشبه العذار بحلق الدرع أحكم خرزها .
(٢) الصبا : الصبوة إلى الحبيب والغرام .
(٣) شرف البناء : أعاليه . وقد عاد يتحدث عن هواه .
(٤) حاتمها : إشارة إلى حاتم طيء جواد العرب المشهور .
(٥) أحنفها : هو الأحنف بن قيس زعيم تميم فى الإسلام وأحلمها وأحكمها .
(٦) العارفة : الصنيعة والمعروف .

حَكَمٌ فى مالِهِ العُفاةُ[1] فما ... يَنْفُذُ فيه إلا تَصَرُّفُها
وإن شَمْلَ اللُّهَا[2] يُفَرِّقُهُ ... لِمَكْرُمَاتٍ له يُؤَلِّفُهَا
ذو شرفٍ مكرماتُهُ سَرَفٌ ... ويستحقُّ الثناءَ مُسْرِفُها
وعزمةٍ بالمدى تَكَفَّلُهَا ... وهمةٍ للعُلَى تَكَلَّفُهَا
يوسفُ مصرَ التى مَلاحِمُها ... جاءتْ بأوصافهِ تعرّفُهَا
كُتْبُ التواريخِ لا يُزَيِّنُهَا ... إلَّا بأوْصَافِهِ[3] مُصَنِّفُهَا
ومن يَمِيرُ[4] العفاةَ فى سَنَةٍ ... أَمْحَنُهَا الجدُوبِ أَعْجَفُهَا
آياتُ دِينِ الإلهِ ظاهرةٌ ... فيكَ ويُثْنِي عليكَ مُصْحَفُهَا

ومنها أصف اجتهاده وجهاده للفرنج عند نزولهم على دمياط :

كم جحفلٍ بالعراء ذى لَجَبٍ ... بالصفّ منه يضيق صَفْصَفُهَا[5]
كالبحر طامِي العُبَابِ لاعبةٌ ... بموجه الرياح أَعْصَفُهَا
كتيبة مُنْتَضَى مُهَنَّدُهَا ... إلى الردى مُشْرَعٌ مُثَقَّفُهَا
غَادَرْتَهَا للنسورِ مَأْكَلَةً ... حيث بأشلائها تُضَيِّفُهَا
منتصفاً من رءوسِ طاغيةٍ ... بياتراتِ الظُّبَا تُنَصِّفُهَا
وحُطْتَ دمياطَ[6] إذ أحاطَ بها ... مَنْ بِرُجُومِ البلاءِ يَقْذِفُهَا
لاقَتْ غواةُ الفرنجِ خَيْبَتَهَا ... فزادَ مِنْ حسرةٍ تَأَسُّفُهَا

(١) العفاة : طلاب النوال وهى جمع عاف .
(٢) اللها : جمع لهوة وهى العطية .
(٣) رواية الروضتين ١/١٨٢ : بأيامه .
(٤) يمير : يأتى بالميرة وهى الطعام .
(٥) الصفصف : المستوى من الأرض .
(٦) يشير الى نزول الفرنج دمياط سنة خمس وستين وخمسمائة ومقاومة صلاح الدين لهم حتى رحلوا عنها بعد خمسين يوما ، انظر الروضتين ١/١٨٠ .

فرّ فريريُّها وأزعجها نداه داويُّها تلهُّفها[1]
يُمطِرُ مُطرَانُها العذابَ كما يُردَى بهدِّ السقوفِ أُسقُفُها
تَكسِرُ صُلبانَها وتنكِسُها لقصمِ أصلابها وتقصِفُها
أوردتَ[2] قُلبَ القلوب أرشيةً من القنا للدماء تنزِفُها
٥ ولَّيتها سَفكَهَا فعاملُها عامِلُها[3] والسِّنانُ مُشرِفُها[4]
تعسّفتْ نحوكَ الطريقَ فما أجدى سوى هُلكِها تعسُّفُها
وحسبها فى العمى تهافُتُها بل لسهامِ الرّدَى تهدُّفُها
يُمضى لك اللهُ فى قمامِهمُ عزيمةً للجهادِ تُرهِفُها
إنْ أظلمتْ سُدْفةٌ[5] أنرتَ لها أبهَى ليالى البدورِ مُسْدَفُها
١٠ بشائرُ الدينِ فى إزالته مواعد الله ليسَ يُخلِفُها

ومنها :

أدركتَ ما أعجزَ الملوكَ وقد بات إلى بعضِهِ تَشوُّفُها[6]
جاوزتَ غاياتِ كلِّ منقبةٍ يعز إلاَّ عليك مَوقِفُها
وإنَّ طُرقَ العلاء واضحةٌ آمِنُها فى السلوكِ أخوَفُها

(١) الداوية : فرقة من فرسان الصليبيين ، وتسمي أيضاً باسم الهيكليين templars وهى جمعية تأسست سنة ١١١٨ م من بضعة أشراف من الفرنسيين الذين صحبوا جودفرى إلى القدس ، وكانت جمعية أخوية رهبانية عسكرية . وكذلك الفريرية جمعية أخوية رهبانية من جمعيات الصليبيين ، وهى تطلق على فرق كثيرة .

(٢) القلب : جمع قليب ، وهو البئر . والأرشية : الحبال ، جمع رشاء .

(٣) عامل الرمح : صدره ، والعامل : الوالى .

(٤) مشرف الشيء : الذى يعلوه . والمشرف أيضاً : القائم على الأمر .

(٥) السدفة : الظلمة .

(٦) التشوف : التطاول والتطلع .

صلاحَ دينِ الهدى لقد سَعِدَتْ   مملكةٌ بالصلاحِ تُتحِفُها

عندى بشكر النُّعمَى ثمارُ يدٍ   زاكيةُ الغرسِ أنت تقطفها

فاقبلْ نقوداً من الفضائلِ لا   يُصَابُ إلا لديكَ مَصْرَفُها

أصدافُ دُرِّى إليكَ أحملها   وعن جميع الملوك أصْدِفُها(١)

إن لم تُصِخْ لى فهذه دُرَرِى   لأىِّ مَلْكٍ سِواكَ أَرْصُفُها

وهل لآمالنا سوى مَلِكٍ   يَنْقُدُها بِرُّهُ ويُسْلِفُها(٢)

دنيا من الفضلِ قد خلَتْ وبدا   النقصُ فى أهله تَعيَّفُها(٣)

وكلُّ سوقٍ للفضلِ كاسدةٍ   بانَ لأعدائه تَحَيُّفُها(٤)

وهل يروج الرجاء فى نفرٍ   كلُّهمُ فى العُلا مُزَيِّفُها

قد عَطَفَتْ لى فضائلى وَوَفَتْ   لكنْ حظوظى أعيا تَعَطُّفُها

وفضلىَ الشمسُ فى مطالعها   لكنَّ جهلَ الزمانِ يَكْسِفُها

قد أعْرَبَتْ(٥) فيكَ بالثنا كَلِمِى   وحاسدى ضَلَّةً(٦) يُحَرِّفُها

أسْدَى لنا شِيرَكُوه(٧) عارفةً   يوسفُ من بعدها سيخلفها

أنت قمينٌ بكلِّ تالدةٍ   إنَّكَ يا ابنَ الكرامِ تُطْرِفُها

---

(١) أصدفها : أصرفها ، يريد أنه يخص صلاح الدين بها .

(٢) يسلفها : يعطيها سلفاً وهى عكس ينقدها أى يعطيها نواً .

(٣) تعيفها : من عافت الإبل الماء أى لم تشربه .

(٤) تحيفها : تنقصها من حِيَفها أى نواحيها .

(٥) أعربت : أفصحت .

(٦) ضلة : من ضل عن الطريق وعن القصد .

(٧) هو أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين الذى أرسله نورالدين صاحب الشام إلى مصر حين استنجد به شاور سنة تسع وخمسين وكذلك سنة اثنتين وستين . ولما استغاث العاضد آخر الخلفاء الفاطميين بنور الدين ضد الصليبيين أرسله إليه واستمر بمصر وقتل شاور وولى الوزارة للعاضد من بعده سنة أربع وستين ولم تطل مدته فقد توفى بعد شهرين ، وخلفه ابن أخيه صلاح الدين ولم يلبث أن أزال الخلافة الفاطمية .

/ومنها قصيدة أخرى موسومة باسمه أنفذتها إليه من دمشق إلى مصرَ في [٣٥و] شهر صفر سنة سبع وستين ، أوّلها :

مُتَثَنِّى العِطْفِ أهيفُــهُ كيفَ لا يُرْجَى تَعَطُّفُهُ

زادَ فى قَتْــلى تَسَرُّعُهُ ثم فى وصــلى تَوَقُّفُه

٥ يا ضنى جسمى لقد خطفَ الــقلبَ مُضْنَى الخصرِ مُخْطَفُهُ(١)

وبنفسى من أراقَ دمى منه جَفْنٌ سُــلَّ مُرْهَفُه

وبلائى من مُقَبَّــلِهِ وشفائى حين أَرْشُفُهُ

ولقــلبى مالكٌ أبداً يتــلافاهُ ويُتْلفــه

منْ لمهجورٍ يدومُ على وصــلِ من يهوى تأسُّفُهُ

١٠ ومن البــاوى تَلَهُّبُهُ ومن الشــكوى تَلَهُّفُه

وسقيمُ الطرف يُسْقِمه ونحيفُ الخصرِ يُنْحِفُه

يتنــاهى فى تَظَلُّمِهِ من حَبيبٍ ليسَ يُنْصِفُه

حبّذا ليلُ الشــبابِ وقد طاب للسُّمَّارِ مُسْــدَفُهُ(٢)

وزمانٌ بالعــراقِ لنا رقَّ لما راقَ زُخْرُفُهُ

١٥ حين يُصبينى مُقَرْطَقُه(٣) ويُصَــافينى مُهَفْهَفُهُ

ويُنَــاجينى مُقَرَّطُهُ(٤) ويُنَــاغينى مُشَــنَّفُهُ(٥)

ويعـــاطينى المُدَامَ وقد(٦) لانَ عند الوصــل مَعْطَفُهُ

(١) مخطف الخصر : ضامره .

(٢) مسدفه : مظلمه .

(٣) المقرطق : من يلبس القرطق ، وهو قباء ذو طاق واحد .

(٤) المقرط : من يتخذ القرط أو ذو القرط .

(٥) المشنف : ذو الشنف وهو القرط .

(٦) فى الأصل : « ويعاطينى المدام به » ، وهو تحريف .

كاد يُرْدينى[١] تَشَدُّدُه ثم أحيانى تَلَطُّفُه
ونجىٍّ باتَ يُتْحِفُنى بشكاويه وأتحفُه
قال إنَّ الدهرَ ليس على وفقِ ما نهوى تَصَرُّفُه
وكسادُ الفضلِ فى زمنٍ رائجٍ فيه مُزَيَّفُه
أترى فى الناسِ كلِّهمُ من لمعروفٍ تَشَوُّفُهُ ؟ ٥
قلتُ ما فى الدهرِ غيرُ فتًى كلُّ ما قد فاتَ يُخْلِفُه
إنْ يَسُدْ فى الدهرِ ذو كرمٍ فصلاحُ الدينِ يُوسُفُه

ومنها قصيدة مدحته بها فى سنة اثنتين وسبعين بمصر وأنا فى خدمته ، أوّلها :

فديتكَ من ظالمٍ مُنْصِفِ وناهيكَ من باخلٍ مُسْعِفِ[٢]
بلقياكَ يُشْفَى سقامى المضنُّ ولكن بسفكِ دمى تَشْتَفِى ١٠
وتُخْلِفُ وعدكَ لى بالوصالِ حنانيكَ من واعدٍ مُخْلِفِ
وتستحسنُ الغدر طبعًا ومَنْ وَفَى مِنْ ذوى الحسنِ حتى تَفِى !
أمثلكَ كلُّ حبيبٍ جفَا ومثلِىَ كلُّ حبيبٍ جُفِى
أيا لَيِّنَ العطفِ قاسى الفؤادِ بعيشكَ [بالله[٣]] لِنْ وأعْطِفِ
فما تركَ الوجدُ لى مُسْكَةً[٤] ولا مُنَّةً لىَ لَمَّ تَضْعُفِ ١٥
تلافَ فصدُّكَ لى مُتْلِفٌ فؤادِى من الأسفِ المُتْلِفِ
وإن كنتَ لا بدَّ لى قاتلاً بما صنعَ الوجدُ بى فاكْتَفِ
تناهيتَ فى قَتْلَتِى عامداً فحيثُ انتهيتَ بقتلى قِفِ

---

(١) يردينى : من الردى وهو الهلاك .
(٢) فى الروضتين ١/٢٦٩ : مسرف .
(٣) فى الأصل : بعيشك لن واعطف ، والشطر بهذا تنقصه كلمة ، وقد وضعناها بين حاصرتين للدلالة على أنها مزيدة .
(٤) المسكة : ما يتمسك به .

ثناياكَ بُرْئِيَ في رَشْـــفِها وقد طالَ سُقْمِي ولم أَرْشُفِ
أأنجو ومن قدِّك السمهريُّ(١) لِحَيْنِي وفي جَفْنِكَ المَشْرَفي(٢)
أيا مُسْرِفاً في عذابي اقتصدْ أُعيـذكَ من شَطَطِ المُسْرِفِ
نُحُولِيَ من خصرِكَ الناحلِ السَّـــقيمِ، كعاشـقِكَ المُدْنَفِ(٣)
٥ ومن سُقْمِ لحظكَ ذاكَ المريضِ شفائي وأُشْفِي(٤) أنا لو شُفِي
على خَطْفِ قلبي يحل الشباكَ عقدُ وشاحك(٥) في مُخْطَفِ(٦)
أنا المستهامُ بذاك القوامِ وذاك المُوَشَّحِ والمِعْطَفِ
وذاك المقبّـلِ والمبسمِ الــمفدّى المُفَدَّمِ(٧) والقَرْقَفِ
بخدِّكَ من وَهَجٍ شُـــعلةٌ أحاطتْ بقلبي فما تَنْطَفِي
١٠ فإن تُخْفِ ألحاظُكَ القاتلاتُ دمي فبخـديك ما يَخْتَفِي
غدا عاذلي عاذراً مُذْ رأى عِذارَكَ كالقمرِ الأَكْلَفِ
وقال: أرى خدَّه مُرْهَفاً ولا عيبَ في خَصْرِه المُرْهَفِ
أَقاحٍ وآسٌ ووَرْدٌ لما اجتماعٌ على غُصُنٍ أَهْيَفِ
تَرَفَّقْ رفيقي فليتَ الذى يُعَنِّفُ في الحب لم يَعْنُفِ
١٥ غرامٌ عَرَا وزمانٌ عَدَا فهلْ ظالمٌ منهما مُنْصِفِي
زمانٌ خلا من جميلٍ فليسَ لغير ذوي نَقْصِه يَصْطَفي

(١) السمهرى : الرمح الصلب منسوب الى سمهر زوج ردينة ، وكانا مثقفين للرماح ، ويقال بل سمهر بلدة بالحبشة .

(٢) المشرفى : السيف ينسب الى مشارف الشام وهى القرى الواقعة على حدود الصحراء هناك .

(٣) المدنف : السقيم من الحب .

(٤) أشفى : من أشفى على الهلاك إذا أشرف عليه .

(٥) الوشاح : أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وخصرها .

(٦) مخطف : صفة لموصوف أى خصر مخطف وهو الخصر الضامر .

(٧) المفدم : الأحمر المشبع حمرة .

جَنَى ظُلْمَةَ الفضلِ حظى للنيرُ ولولا سنا الشمسِ لم تُكْسَفِ
ويا ليت دهرى إذا لم يكن بسُؤلىَ يُسْعِفُ لم يَعْسِفِ[1]
أيبلغُ دهرىَ قصدى وقد قصدتُ بمصرَ ذُرَى[2] يوسُفِ

وهى قصيدة طويلة تبلغ مائة بيت[3] ، والموسومات بنعته كثيرة ، فمنها قصيدة أوّلها :

لو أن عُذرِىَ لكَ يا لاحِ لاحْ ما كنتُ عن سكرىَ ياصاحِ صاحْ

ومنها قصيدة فى التهنئة ، بكسر عسكر حلب والموصل ، بتل[4] السلطان يوم الخميس عاشر شوّال سنة إحدى وسبعين ، أوّلها :

يومٌ أهبَّ صَبَا[5] الهِبَاتِ صَبَاحُهُ وروى حديثَ النصر عنكَ رَواحُهُ[6]
فالسَّعْدُ مُشْرِقَةٌ لنا آفاقُهُ والنصرُ باديةٌ لنا أَوْضَاحُهُ[7]
أوفى على عُودِ الثناء خطيبُهُ وشَدَا على غُصْنِ المُنَى صَدَّاحُهُ[8]
فالشامُ مُبْتَلُّ الثَّرَى ميمونُهُ والعامُ مُنْهَلُّ الحَيَا[9] سَحَّاحُه

(١) يعسف : يظلم .
(٢) يقال أنا في ذرى فلان أي في ظله وفى نعمه .
(٣) احتفظ كتاب الروضتين بثلاثة أبيات بعد البيت الأخير من هذه الأبيات وهى :
فسر وافتح القدس واسفك به دماء متى تجرها تنطف
وأهد إلى الإسبتار البتار وهد السقوف على الأسقف
وخلص من الكفر تلك البلاد يخلصك الله فى الموقف
وتنطف فى البيت الأول : تسيل ، والبتار فى البيت الثانى ، كغراب ، هو السيف القاطع مثل البتار بتشديد التاء والباتر .
(٤) تل السلطان : من أعمال حلب وبينهما خمسة فراسخ .
(٥) الصبا : ريح لينة يذكرها المحبون كثيراً .
(٦) الرواح : العشى أو من الزوال إلى الليل .
(٧) الأوضاح : جمع وضح وهو بياض الصبح .
(٨) الصداح : المغنى .
(٩) الحيا : الغيث .

والمحلُ[1] زالَ كبارقٍ مُتهلّلٍ لمَّ الشعوبَ بومَضِهِ لمّاحُه[2]

فالحمدُ لله الذى إفضــالُه حُلْوُ الجنا عالِى[3] السَّنا وَضّاحُه

عاد العدوُّ بظُلمَةٍ من ظُلمِهِ / فى ليلِ ويلٍ قد خبَا مِصْباحُه [٣٥ظ]

رَكَدتْ قبولُ[4] قبُولِهِ من بعْدِ أنْ هبّتْ غُروراً بالرياء رِياحُه

١٥ ومنها :

أوفى يريدُ له بحـرٌ جُنودِهِ ربحًا فجـرّتْ خسْرَةً أرْباحُه

حملَ السلاحَ إلى القتالِ وما درى أنّ الذى يَجْنِى عليـه سِلاحُه

ولّى بكسرٍ لا يُرَجّى جبْرُه وبقَرْحِ قلْبٍ لا تبِلُّ[5] جِراحُه

ونجا إلى حلبٍ[6] ومِنْ حَلَبِ[7] الردى درٌّ وفيـــه نجاتُه وفلاحُه

٢٠ ومنها :

إن أفسَدَ الدينَ العصاةُ[8] بحِنْثِهِمْ فالناصرُ المَلِكُ الصلاحُ صَلاحُه

ومنها :

فرِحَ العــدوُّ بجمعه وبَقيّتهُ فتحوّلتْ أحــزانَهُ أفراحُه

صَحّتْ على ضربِ الكُماةِ[9] كُسُورُهُ وتـكسّرتْ عند الطّعانِ صِحَاحُه

---

(١) المحل : الجدب.

(٢) لماحه : لامعه : من لمح النجم إذا لمع .

(٣) هكذا فى الروضتين ١/٢٠٥ وفى الأصل : على وهو خطأ .

(٤) القبول : بفتح القاف ريح الصبا ، وهى تقابل الدبور يريد العماد أن ريح إقبال العدو ركدت .

(٥) تبل : من البل بكسر الباء وتشديد اللام وهو الشفاء .

(٦) حلب : مدينة مشهورة فى شمال الشام على حدود تركيا .

(٧) الحلب : استخراج ما فى الضرع من اللبن والدر .

(٨) فى الروضتين : الغلاة .

(٩) الكمى : الشجاع وشاكى السلاح .

وافى بسَرْحٍ للنِّقَادِ[1] فكانَ فى   لُقيا الأُسودِ الضارياتِ سَرَاحُهُ

مَجْرٍ[2] كبحرٍ دارعُو فرسانِهِ   حيتانُهُ وزعيمُهُمْ تِمساحُهُ

شَحَنَاوُهُ شَحَنَتْ جوارىَ فُلْكِهِ   جَوْرًا ومالَ بِهُلْكِهِ مَلاَّحُهُ

عَدِمُوا الفلاحَ من الرجالِ فجاءهم   من كلِّ صوبٍ مُكْرَهًا فَلاَّحُهُ

فهمُ لحرثٍ لا لحـــربٍ حِزْبُهُمْ   أيُثِيرُ قُرْحًا من يثارُ قَرَاحُهُ[3]؟

قد فاظَ[4] لما فاضَ جيشُكَ جأشُهُ   غيظًا وغاضَ لبحركمْ ضَحْضَاحُهُ

كمْ سابِقٍ يرْدَاه يُرْدَى سابحٍ   فى بَحْرِ هُلْكٍ ما نجا سَبَّاحُهُ

ومنها :

كم عَيْنِ عَيْنٍ غَوَّرَتْ غُوَّارُهُ[5]   وقليبِ قَلْبٍ عَوَّرَتْ مُتَّاحُهُ[6]

إن آذَنَتْ بالنتن ريحُ قتيلهم   فالنصرُ نفَّاحُ الشَّذَا فَوَّاحُهُ

كم مارقٍ من مأزقٍ دَمُهُ على   مَسْحِ[7] الحسام مُرَاقُهُ[8] مسَّاحُهُ

يُصْبِيكَ نَهْدٌ إن سباهُ نَاهِدٌ[9]   ولديك جِدٌّ إن أباهُ مزاحُهُ

ولكَ الكُعُوبُ[10] مُقَوَّمَاتٌ للردى   وله الغَدَاةَ كَعَابُهُ ورَدَاحُهُ[11]

---

(١) السرح : المال المسرح أو المرسل من غنم ونحوه ، والنقاد : جمع نَقَّاد وهو راعى جنس من الغنم قبيح الشكل ، والاستعارة واضحة .

(٢) المجر : الجيش العظيم .

(٣) القرح : الطعن بالسلاح ، والقراح : الأرض المخلصة للزرع والغرس .

(٤) فاظ : هلك .

(٥) العين الأولى بمعنى الينبوع والثانية الباصرة ، وغورت : من غار يغور أى ذهبوا بها ، والغوار من الإغارة فى الحرب .

(٦) القليب : البئر ، وعورت : من العوار وهو العيب والخرق فى الثوب . والمتاح : جمع ماتح ، وهو الذى يستقى من القليب .

(٧) مسح : مساحة .

(٨) مراقه مساحه : يريد سائله يمسح السيف وينزعه ، أو لعله يريد أنه يسيل عليه ويلطخه .

(٩) النهد : النهوض للعدو والصمود له ، يقول إنك تصمد للعدو على حين تسبيه المرأة الناهد أو الكاعب .

(١٠) يريد كعوب السيف ، ومقومات : مشهرات .

(١١) المرأة الرداح : السمينة .

راحُ التجيعِ[١] بها سحافُ صِفَاحِكُمْ ... مَلأَى وتَمْلأُ كلَّ كاس رَاحهُ
وتجولُ فى صَهَوَاتِها فُرْسَانُكُمْ ... وتدورُ فى خَلَوَاتِهِ أقداحهُ
ويروقُهُ الحرُ الحرامُ وعندَكُمْ ... مما يُرَاقُ من الدماء مُباحهُ
ضَرْبُ الطُّلَى[٢] بالمشرفِىِّ طِلابُكُمْ ... وبراحِ مَنْ شَرِبَ الطِّلا طُلاَّحهُ[٣]
٥ حمرُ خدٍّ صقيلةٍ[٤] تفاحكمْ ... وأسيلُ خدٍّ عقيلةٍ تفاحهُ

ومنها :

لِلهِ جيشٌ بالمُرُوجِ عَرَضْتَهُ ... أشدُ العرينِ رجالُه ورماحهُ
ومن الحديدِ سوابغاً أبدانُهُ ... ومن الضـاء عزائماً أرواحه
وله فوارسُ بالنفوسِ سماحُها ... أتُعادُ بالعِرْضِ المصونِ شحاحهُ
١٠ روضٌ من الصُّفْرِ البنودُ[٥] وحُمْرِها ... والبيضِ ، يُرْعَى وردُهُ وأقاحهُ
من كل ماضى الحدِّ طَلْقٍ غِمْدَهُ ... فتكاً لأغمادِ الرقابِ نكاحهُ
قد كان عزمُكَ لِلّهِ مُصَمِّماً ... فيهمْ فلاحَ كما رأيتَ فلاحهُ

ومنها :

وكأننى بالساحلِ الأقصى وقد ... ساخَتْ ببحرٍ[٦] دمِ الفرنجةِ ساحهُ
١٥ فاعْبُرْ إلى القومِ الفراتَ ليشربوا الـ ... ـموتَ الأُجاجَ[٧] فقد طَمَا طفّاحهُ
لِتَفُكَّ من أيديهمُ رَهْنَ الرُّها[٨] ... عجلاً ويدركَ ليلَها إصباحهُ

(١) التجيع : الدم .
(٢) الطلى : جمع طلية وهى أصل العنق .
(٣) الطلاح : ضد الصلاح .
(٤) يريد السيوف والرماح .
(٥) البنود : الأعلام .
(٦) رواية الروضتين : بنحر .
(٧) الأجاج : الملح .
(٨) الرها : مدينة بالجزيرة كانت أحد مواطن الثقافة الهيلينية قبل الإسلام . وإليها يرجع فضل كبير فى نشر هذه الثقافة ببلاد الفرس قديماً ثم بين المسلمين حين امتلكوا الجزيرة .

وابغوا الحرّانَ[١] الخلاصَ فكم بها حرّانُ قلبٍ نحوكم مُلْتاحهُ[٢]
نجّوا البلادَ من البلاء بِعَدْ لكم فالظلمُ بادٍ فى الجميع صُراحهُ[٣]
وَاسْتَفْتِحُوا ما كانَ من مُسْتَغْلِقٍ فيها فربُّكمُ لكمْ فتّاحهُ
قُولوا لأهلِ الدينِ قرُّوا أعينا فلقدْ أقام عَمُودَهُ سفّاحهُ[٤]
بشراىَ فالإسلامُ من سلطانِهِ جَذِلُ الفؤادِ بنصره مُرْتاحهُ
مَلِكٌ لِيُمْنِ للمعتفينَ[٥] يمينُهُ ولراحةِ الرّاجينَ تُبْسَطُ راحهُ
لما اجتداهُ[٦] من الرّجاء رجالُهُ أوْفَى على قَطْرِ السّماء سَماحهُ
فاقصدْ بِبَرْحِ[٧] الفقرِ رَحْبَ جَنابِهِ فبراحِهِ يومَ النّوالِ بَرَاحهُ[٨]
مَلِكٌ تَمَلّكَ[٩] جَدُّهُ من جِدِّهِ فالجدُّ مَجْدٌ والمَرَاحُ مِرَاحهُ[١٠]
ملكٌ يُحِبُّ الصفحَ عن أعدائِهِ فلذاكَ تَصْفَحُ عن عِداهُ صِفَاحهُ ١٠

ومنها :

لك بيتُ مجدٍ ليس يُدْرِكُ حَدَّهُ يعيا بذرعِ عُرُوضِهِ مَسّاحهُ
لِلْمُلْكُ غابٌ أنتمُ أشبالُهُ والدين رُوحٌ أنتمُ أشباحهُ
ما شَرْحُ صَدْرِ الشَّرْعِ إلا مِنكُمُ ولذاكَ مِنكُمْ للهدى إيضاحهُ .

---

(١) حران : هى المدينة الثانية فى الجزيرة التى انتشرت منها الثقافة الهيلينية ، إذ كانت هى وأختها الرها مركزين مهمين للسريان . وكانت تغلب المسيحية على الرها بينما تغلب الوثنية على حران وأهلها المعروفين باسم الصابئة .

(٢) ملتاحه : من لاحه العطش : غيره .

(٣) الصراح : الخالص من كل شىء .

(٤) السفاح : السفاك للدماء .

(٥) المعتفون : طلاب النوال .

(٦) اجتدى : طلب الجدوى وهى العطاء .

(٧) برح الفقر : شدته .

(٨) البراح : المتسع من الأرض .

(٩) الجد : الحظ .

(١٠) المراح الأولى : مكان الرواح وزمانه ، والثانية : من المرح .

فخراً بنى أيوبَ إنَّ محلَّكمْ ضاقتْ على كلِّ الملوكِ فِساحهُ
لولا اتساعُ جَنابكم لعددْتهُ حَصْراً، وفودُ المُعْتفِينَ وِشاحهُ
أنتمْ ملوكُ زمانِنا وسَرَاتُه[1] وكِرامُهُ وعِظامُهُ وفِصاحهُ
/عظماؤُهُ كبراؤهُ فضلاؤهُ ورِزَانُهُ[2] ورِصَانُهُ وصِباحهُ [٣٦ و]
٥ أقمارُهُ وشموسُهُ ونجومُه وبحارُه وجبالُه وبطاحهُ[3]
أنتمْ رجالُ الدهرِ بل فرسانُه ولدى الحلومِ الطائشاتِ رِجاحهُ
فُتّاكُهُ نُسّاكُهُ ضُرّارُهُ نُفّاعُهُ مُنّاعُهُ مُنّاحهُ
وأبو المظفرِ يوسفٌ مِطْعامُهُ مِطعانُهُ مِقْدامُه جَحْجَاحهُ[4]
وإذا انتدى فى مَحْفِلٍ فَحَيِيُّهُ وإذا غدا فى جَحْفلٍ فَوَقَاحهُ[5]
١٠ أسْجَحْتَ[6] حين ملكتَ عفواً عنهمُ إنَّ الكريمَ مُؤَمَّلٌ إسْجَاحهُ

ومنها قصيدة أخرى أنفذتها إليه من دمشق إلى مصر قبل مملكة الشام، أولها:

سكرانُ باللحظِ صاحِ نشوانُ من غيرِ راحِ
بوجنةِ الوردِ يَفْتَرُّ عن ثنايا الأقاحِ
١٥ وقامةِ الغصنِ يهتزُّ فى مَرَاحِ المِرَاحِ[7]
وعارضٍ[8] المسك مثل الـمساء فوق الصباحِ
تَمَّ العذارُ عليهِ فتمَّ فيه افتضاحى

(١) السراة: جمع سرى وهو الرئيس، وهو جمع نادر لأن فعيلا لا يجمع على فعلة.
(٢) رزان: جمع رزين، ومثلها رصان: جمع رصين.
(٣) البطاح: جمع أبطح، وهو كل مكان متسع.
(٤) الجحجاح: السيد.
(٥) الوقاح: الجرىء.
(٦) فى الأصل: أسمحت، والإسجاح: حسن العفو.
(٧) مراح المراح: مكان السرور.
(٨) العارض: صفحة الخد.

ورِدُ الحياء جَنِيٌّ[1] في ذلك التفّـــاح
والريقُ كالراح شُجّتْ بعـذبِ ماء قَرَاح[2]
من كأسِ فيه اغتباقي مُنَعَّمًا واصـــطباحي[3]
وفي الأمورِ اختتامي على اسمه وافتتاحي
أهوى طلوعَ صَبَاحي على وُجُوهِ صِبَاح
ولَمَى أحورَ أحوَى[4] وضمّ رُودٍ[5] رَدَاح
وريّ قلبي الصدى من عناقِ ظامى[6] الوشاح
وفتنتي من عيونٍ حورٍ مِرَاضٍ صحاح
يا صاحِ إني نزيفٌ سُكْراً وإنك صاحِ
وبرحُ وجدي مقيمٌ فما لَهُ من بَرَاح
دَعني فما أنتَ يومًا مؤاخـــذٌ بجُنَاح
وما أطعتُ غرامي حتى عصيتُ اللَّوَاحي[7]
وفَى الحبيب وتَمّتْ بوصـــلهِ أفراحي
وزادَ قِدْحِي[8] ودارت بمُنْيَـــتِي أقداحي
أعطى الكؤوسَ مِلاءً على أكفّ الملاح
ورضتُ بالصبر دهري وكان صعبَ الجماح
قد استقرّت أموري فيه بحَسْبِ اقتراحي

(١) الجنى: على وزن فعيل الناضج.
(٢) الماء القراح: الماء الصافي الخالي من كل شائبة.
(٣) الاغتباق: الشرب بالعشى. والاصطباح: الشرب في الصباح.
(٤) الأحوى: ذو الشفة الحمراء إلى السواد، والأحوى أيضا: الأسود.
(٥) الرود: الشابة الحسنة.
(٦) ظامى الوشاح: ناحل الوشاح.
(٧) اللواحي: جمع لاحٍ وهو اللائم.
(٨) القدح: السهم.

كما استقرَّ صلاحُ الدنـــيا بملكِ الصَّـلاحِ
تنيرُ شمسُ مساعيـــه من سماء الصَّبَاحِ[(١)]
وأمرهُ مســتقادٌ من القضاء للتَاحِ
ذو المفخرِ المتعالى والنائلِ المُسْتَمَاحِ[(٢)]
٥ وللحقيقـــةِ حامٍ وللدنيـــةِ ماحِ
غيثُ السماحة طَوْدُ الــوقار لَيْثُ الكفاحِ
صدرٌ بجدواه صَدْرى مُذْ لم يزل فى انشراحِ
من قَدْحِ زندِ الأمانى به وُقُودُ القــداحِ
أَمَّلْتُـــهُ لِمُلِمِّى فلاحَ وجهُ فلاحى
١٠ آمالُنا بلُهَاهُ[(٣)] الـ أجسامُ بالأرواحِ
نَدَى كريمٍ حيىٍّ وبأسُ ذِمْرٍ[(٤)] وَقَاحِ
يَفْديكَ أهلُ اجتراه على رُكوبِ اجْتِرَاحِ[(٥)]
بالمالِ غيرُ كرامٍ بالعِرْضِ غيرُ شِحَاحِ
رأيتَ صونَ المعالى فى بذلِ مالٍ مباحِ
١٥ إن طالَ ليلُ مُلِمٍّ وافيتَ بالإصْبَاحِ

(١) رواية هذا البيت فى الروضتين ١/١٨٢ هكذا :

تنير شمس أياديه فى سماء السماح

ويلاحظ أن كتاب الروضتين ينقل هذا الشعر من كتاب البرق الشامى للعماد ، وهو مما ألفه فى أخريات حياته . فيمكن أن يكون قد أصلح هو نفسه هذا البيت حين رواه فى البرق كما أصلح غيره مما سبق .

(٢) المستماح : من استمحته إذا سألته العطاء .

(٣) اللهى : جمع لهوة وهى العطاء .

(٤) الذمر : الشجاع .

(٥) الاجتراح : الاكتساب .

ومنها :

مُلِّيتَ[1] يوسفُ مِصْرًا[2] جِدًّا بغـــير مزاح
مُلْكاً بغـــير انتزاعٍ عزًّا بغـــير انتزاح
يا من أياديه تُبْـدى بالحَصْر عِىَّ الفِصَاحِ
ومَنْ مُرَجِّى نَدَاهُ مُبَشَّرٌ بالنجـــاحِ
غدوه فى اتِّضَـــاعٍ ومَجْدُه فى اتِّضَـــاح

ومنها :

صريحُ مدحى لعَلْيَـا كَ عن وَلاَه صُرَاح
بقَيْدِ شُكْرى عطـايا كَ مُطْلَقَاتُ السَّرَاحِ

ولى فيه قصيدة طائية عند وصـوله إلى الشام واتصالى بخدمته[3] أحببت إثباتها فى الخريدة ، وإيداعَها فى الجريدةِ ، لأجلِ ذكرِ أخَوَاتها من نظم شعراء العصر فى الأقاليم[4] ، وهى هذه :

عَفَاَ اللهُ عنكم مالكم أيها الرهطُ قسطتم[5] ومن قلب المحبِّ لكم قِسْطُ
شَرَطْتُمْ له حفظَ الوداد وخُنْتُمُ حنانيكمُ[6] ما هكذا الوُدُّ والشَّرْطُ

(١) مليت : متعت .

(٢) فى الأصل : مصر .

(٣) نقل صاحب كتاب الروضتين عن البرق الشامى أن العماد قال : إنه نظم هذه القصيدة بتاريخ السلاخ شعبان سنة سبعين وخمسمائة وصلاح الدين على بعلبك يحاول فتحها . انظر الروضتين ٢٤٧/١ .

(٤) ذكر صاحب الروضتين ما يفسر هذه الجملة إذ يروى عن العماد فى برقه الشامى أنه كان ملازما حينئذ لصلاح الدين . وكان مع صلاح الدين ديوان أسامة بن منقذ لايفارقه ، وكان معجبا غاية بقصيدة طائية له من هـذا الوزن والروى . ويقول العماد إن كثيرا من الشعراء المحدثين نظموا على هذا المثال منهم المعرى وابن أبى حصينة والأرجانى وطلائع بن رزيك ثم يقول : وقد أوردت جميعها فى كتاب الخريدة . ومعنى هذا معنى قوله هنا إنه أودع قصيدته فى الجريدة لأجل ذكر أخواتها . والصلة واضحة بين طائيته وطائية المعرى فى سقطه .

(٥) قسطتم : ظلمتم .

(٦) فى الروضتين : خيانتكم .

جعلتمْ فؤادَ المستهامِ بكم لكمْ … مَحطًّا فعنه ثِقْلَ هَمِّكُمُ حُطُّوا
إذا كنتمُ فى القلبِ والدارُ قد نأتْ … فسيّانِ مِنْ أحبابه القربُ والشَّحْطُ
ثوى هَمُّهُ لما ثَوَى الوجدُ عنده … مقيماً وشطَّ الصبرُ فى جيرةٍ شَطُّوا
وأرّقَهُ طيفٌ طَوَى[١] نحوه الدُّجى … وقد كاد[٢] جيبُ الليل بالصبح يَنْعَطُّ[٣]
تشاغلتمُ عنه وثوقاً بوده … كأنَّ رضاكم عن محبكمُ سُخْطُ
جزعت غداةَ الجِزْعِ[٤] لما رحلتمُ … وأسقطنى من بينكمْ ذلك السِّقْطُ[٥]
ملكتمْ فأنكرتمْ قديمَ مودّتى … كأنْ لم يكن فى البين معرفةٌ قطُّ
فَدَتْ مهجتى مَنْ لا يذمُّ لمهجتى … إذا حاكمتُهُ وهو فى الحُكمِ مُشْتَطُّ
يريكَ ابتساماً عن شتيتٍ[٦] مُقَبَّلٍ … كأنَّ نظيمَ الدرِّ ألّفَهُ السِّمْطُ
وما كنت أدرى قبل سطوةِ طرفه … بأنَّ ضعيفاً فاتراً مِثْلَهُ يَسْطو
/ وهبْ أن بالقُرْطَيْنِ منه مُعلَّقٌ … لذنبِ الهوى قلبى فلِمْ عُلِّقَ القُرْطُ [٣٦ ظ]
وأهيفَ للإشفاقِ من ضعفِ خصره … محلٌّ نطاقٍ[٧] للقلوب به رَبْطُ
على قُرْبِهِ فى الحالتين مُحَسَّدٌ … من الثَّغرِ والشَّعرِ الأراكةُ والمشط
بوجنتِهِ نورُ المُدامةِ مُشرقٌ … ومقلته نَشْوَى وفى فيه إسفِنْطُ[٨]
تزينُ عِذارَيْهِ كتابةُ حُسْنِهِ … ومِنْ خالِهِ فى وجنتيه لها نَقْطُ
فؤادكَ خالٍ يا خليلى فلا تَلُمْ … فؤادًا سباه الخالُ والخدُّ والخطُّ
يلازمُ قلبى فى الهوى القبضُ مثلما … يلازم كفَّ الناصرِ الملكِ البسطُ
مليكٌ حوى الملكَ العقيمَ[٩] بضبطه … كريمٌ وما للمالِ فى يده ضَبْطُ

(١) فى الأصل : قرى .
(٢) فى الأصل : كان .
(٣) ينعط : ينشق .
(٤) الجزع . منعطف الوادى .
(٥) السقط : حيث ينقطع معظم الرمل .
(٦) شتيت مقبل : الثغر المفلج .
(٧) رواية الروضتين : يحل نطاقا .
(٨) الإسفنط : اسم من أسماء الخمر .
(٩) الملك العقيم : الملك الفذ الذى ليس له مثال .

ومولىً سريرُ الملكِ حفَّ بشخصه ... كما حفَّ بالإنسان من ناظرٍ وَسْط

مليكٌ لنجم النجح من أُفْقِ عِزِّهِ ... سَنًا ولطيرِ السَّعْدِ[1] فى وكره قَمْطُ[2]

إذا لُثِمَتْ أيدى الملوك فعنـــــده ... مدى الدهرِ إجلالاً له تُلْثَمُ البُسْط

لنـــــوم الرعايا وادعين سهادُهُ ... إذا وَادِعُوا الأَملاكَ فى نومهم غَطُّوا[3]

أكفُّ ملوكِ العصر لا وَكْفَ[4] عندها ... وكفُّ المليك الناصرِ البحرُ لا الوَقْطُ[5] ٥

عطايا نقودٌ لا نَسَايا[6] فكلُّها[7] ... تُعَجَّلُ لا وعدٌ هناك ولا قَسْطُ[8]

أغرُّ لكفِّ الكفرِ كفٌّ ببأسِهِ ... كما لفقارِ[9] الفقرِ من جُوده وَهْطُ[10]

أياديه غرٌّ وهى غيرَ مُغِبَّــــةٍ ... وإحسانه غَمْرٌ وليس له غَمْطُ

يحبُّ ضجيجَ الشاكرين إذا دَعَوْا ... ويهوى سؤالَ المعتفين إذا أَطُّوا[11]

ويَعْبَقُ عَرْفُ العُرْفِ والقِسْطِ[12] عنده ... وندُّ[13] النَّدَى لا البانُ[14] والرَّندُ[15] والقُسْطُ[16] ١٠

إلى طَوْلِهِ[17] المعروف طُولُ يدِ الرجا ... وفى بحر جدواه لأمالنـــا غَطُّ

صنائعُهُ رُبْطُ[18] الكرامِ وإنها ... لوفد أياديه المصانعُ والرُّبْطُ[19]

---

(١) فى الأصل : من .

(٢) القمط : ما يشد به وكر الطائر من أعشاب وما يلف حول الطفل من ثياب ، وسيأتى فى هذه القصيدة .

(٣) غط فى النوم : غلب عليه وأغرق فيه .

(٤) الوكف : الغيث والمطر .

(٥) الوقط : الحفرة فى الجبال أو فى الصخر تجتمع فيها المياه .

(٦) نسايا : جمع نسيئة وهى البيع المؤجل .

(٧) فى الأصل : وكلها .

(٨) القسط : الظلم .

(٩) الفقار : جمع فقرة وهى ما انتضد من عظام الظهر .

(١٠) الوهط : الكسر والوطء .

(١١) أط : صاح .

(١٢) القسط هنا : الرزق والنصيب .

(١٣) ند الندى : مسك ، أو طيب ، الكرم .

(١٤) البان : شجر .

(١٥) فى الأصل : الرنط وهو خطأ ، والرند : شجر طيب الرائحة .

(١٦) القسط : عود هندى .

(١٧) الطول : الفضل .

(١٨) ربط : جمع رباط وهو ما يربط به .

(١٩) المصانع : المبانى من الحصون ، والربط هنا : جمع رباط وهو الثغر الذى يرابط فيه الجيش .

يَمُرُّ ويحلو حالةَ السخط والرضا ... فنعمته دأْبٌ ونقمته فَرْطٌ[1]

من القوم تلقاهم عن النكر إن دُعُوا ... بطاء وإن يُدْعَوْا إلى العُرْفِ لا يُبْطوا

همُ رَضَعُوا درَّ الحجى فى مُهودِهمْ ... أماجدُ وانضمتْ على السؤددِ القُمْطُ

يصيبونَ فيما يقصدون فكم رَمَوْا ... بسهم الثراء المملقين فلم يُخْطوا

٥ متى يَقْدِروا يَعْفوا وإن يَعِدُوا يَفُوا ... وإن يبذُلوا يُغْنُوا وإن يَسْأَلُوا يُعْطُوا

يصيبُ الذى يصبو[2] إلى قصدِ بابهم ... وفى غيرِ هذا القصدِ يُخْطِى الذى يَخْطُو

وما أسْعَدَ المَلْكَ الذى نَحْوَ بابه ... مطايا بأبناء الرجاء غدت تَمْطُو[3]

وماروضـــةٌ غنّاء حُسْنًا كأنّما ... لوارِفِهَا[4] من نَسْجِ نُوّارِها مِرْطُ[5]

إذا قابلَى للنرجس النضرِ ناظرٌ ... تلاه عـــذارٌ للبنفسج مُخْتَطٌ

١٠ وللوردِ خـــدٌّ للحياء مُوَرَّدٌ ... وللبانِ قَدٌّ جيـــدُهُ أبدًا يَعْطُو[6]

تلوحُ به الأشجارُ صَفًّا كأنّها ... سطورُ كتابٍ والغديرُ لها كَشْطُ

تُغَنِّى على أعوادها الوُرْقُ مِثْلَمَا ... يرتِّل للتوراةِ ألحانَها سِبْطُ[7]

كأنَّ سقيطَ[8] الطلِّ عبرةُ مُغْرَمٍ ... وبارِقَهُ من نارِ لوعته سِقْطُ[9]

ترى لِمُحَيَّا الشمسِ من هامرِ الحيا ... لثامَ حيـــاء دونه ليسَ يَنْحَطُّ

١٥ بأزكى وأذكى منك حُسْنًا وإنما ... بحسناكَ لا بالروضِ العائذِ الغَبْطُ

لك الصدرُ والباعُ الرحيبان فى العلا ... وذاك الحيا الطلقُ والأنملُ السُّبْطُ[10]

---

(١) فرط : إفراط . (٢) يصبو : يميل .

(٣) تمطو : من المطو وهو المد فى السير .

(٤) فى الأصل : نوازلها .

(٥) المرط : إزار من خز خاص بالنساء .

(٦) يعطو : يريد أنه قريب يتناول (٧) السبط : القبيلة من اليهود .

(٨) السقيط . الساقط .

(٩) السقط : الشرار الذى يسقط من الزندين عند إيرائهما .

(١٠) السبط : ضد الجعد ، والأنمل السبط كناية عن السخاء .

لراجيكمُ ماء البشاشة والنَّـدَى جميعاً وحظُّ الحاسد النارُ والنَّفْط
عَنَا لَكَ طوعًا نيلُ مصرٍ ودجلةُ الـعراق ودان العُرْبُ والعُجْمُ والقِبْطُ
وللنيـل شطٌّ ينتهى سيبُهُ به ونَيلُكَ(١) للراجِينَ نِيلٌ ولا شَطُّ
وعفوكَ وَرْدٌ والجنـاةُ جُنَاتُهُ وبيضُكَ(٢) شوكٌ فى العداةِ لها خَرْطُ(٣)
فِداؤك ممتدٌّ لِلمطـالِ مُحَجَّبٌ وحاجِبُهُ الـكبرِ والعُجبِ مُمْتَطُّ(٤) ٥
فداؤكَ قومٌ فى الندىِّ وفى النَّدَى وجوهُهُمُ سُهُمٌ(٥) وأسهُمُهُمْ مُرْطُ(٦)
لتبكِ دمًا عين العدو قـد جرى على الأرضِ من أوْداجِهِ دَمُهُ العَبْطُ(٧)

ومنها :

منعتَ حمى الإسلام للنصر معطياً غداةَ عوت من دونه الأذْؤبُ المُعْطُ(٨)
وصُلْتَ وكم فَرَّجْتَ عَنَّا مُلِمَّةً بسهم الرزايا فى الـكرامِ لها لَهْطُ(٩) ١٠
بعَوْدِكَ عادَ الحقُّ واتَّضَحَ الهـدى وهبَّ نسيمُ النصر وانفرجَ الضَّغْط
وأنت أجَرْتَ الشامَ من شُؤْمِ جاره ولم يكفِ رهطُ الـكفرِ حتى بغى رهطُ(١٠)
أجَرْتَ وقد جارُوا ودِنْتَ وقد عَدَوا(١١) وصُلْتَ وقد خارُوا ولِنْتَ وقد لَطُّوا(١٢)
فلا يسلِ المولى بمن مِلْءُ جأشِهِ هَوًى وبقومٍ حَشْوُ جيشِهِمُ زُطُّ(١٣)
كثيرٌ تعدِّيهمْ قليـلٌ غَنَاؤُهُمْ وهمْ ـلا أصابوا رشدهم ـ همَلٌ رَهْطُ ١٥

---

(١) النيل : العطاء . (٢) البيض : السيوف .
(٣) خرط : نزع وضرب . (٤) ممتط . ممتد .
(٥) سهم : عابسة . (٦) المرط من السهام : ما لا ريش له .
(٧) الدم العبط : الذى لا يزال سائلا .
(٨) المعط : الجرد التى لا شعر لها . (٩) لهط : رمى وضرب .
(١٠) يريد الخارجين على صلاح الدين فى الشام وبلاد الموصل والجزيرة .
(١١) عدوا : من العدوان وفى الأصل عدا . (١٢) لطوا . جحدوا .
(١٣) الزط : قبيل من الهند .

عَدَلْتَ فلا ظلمٌ وطُلْتَ[1] فلا مَدَى[2] وقُلْتَ فلا مَيْنٌ وجُدْتَ فلا قَحْطُ

فميِّزْ مكانَ المخلصين فإنّما الـ نأعادى أناسٌ فى رءوسهمُ خَلْط

وَقَرِّبْ وَلِيًّا صحَّ فيـــك ضميرُهُ ولا يأمنِ التمساحَ مَنْ دَأْبُهُ السَّرْطُ[3]

/ نَبَا بِى مقـامُ الجاهلينَ فمِقْتُهُ وقدنَضْنَضَتْ[4] للنهشِ حَيّاتُهُ الرُّقْطُ [٣٧و]

٥ هُمُ مَنَعُوا رِفْدَىْ قبـــولٍ ونائلٍ وذا وَشَلٌ بَرْضٌ[5] وذا أُكُلٌ خَمْطُ[6]

وكم مُطْمِعٍ فى خيره بِشْرُ وجهه ومشتملٍ منـــه على شرِّه الإبْط[7]

لأبدى بلا عذر حظوظَ فضائلى نفارُ العَذَارى من عِذارٍ به وَخْط[8]

وجئتكَ ألقى العزَّ عنـــدك مُلْقياً قلائدَ للأسماعِ من دُرِّها لَقْط

أعِزْنى جميلاً واصْطَنِعْنى وأَصْفِ لِى جميلَكَ حتى يشمتَ الحاسدُ اللِّطُّ[9]

١٠ أعِنّى فعين[10] الفضلِ عانٍ[11] مُقَيَّدٌ بعُقْلةِ حرمانٍ نَدَاكَ لها نَشْط

وأَوْعِزْ بتشريفى ورسمى فإنَّهُ لجدى جزاءٌ قد تقدَّمَهُ الشَّرْطْ

إلامَ زمانى لايزال مُسَـــلَّطاً على نابِهٍ من أهْـــله نابُهُ السَّلْط[12]

سَعَتْ نحوكم مِنِّى مَطَايا مطالبٍ لأَنْسُعِهَا[13] فى النجح عندكم مَغْط[14]

---

(١) طلت : تفضلت وأنعمت .

(٢) يريد أنه ليس له مدى فى تفضله يقف عنده ، وربما كانت محرفة عن كلمة أذى .

(٣) السرط : البلع .

(٤) نضنضت الحيات : حركت ألسنتها .

(٥) الوشل البرض : الماء القليل .

(٦) الأكل الخمط : الذى فيه طعم من مرارة .

(٧) الإبط : باطن المنكب ، يريد العماد أنه يبطن الشر ، وقد استخدم هذه الكناية من قصة تأبط شرا الشاعر الجاهلى ، وهى قصة مشهورة .

(٨) الوخط : الشيب . (٩) اللط : الخبيث .

(١٠) عين : ذات . (١١) عان : أسير .

(١٢) السلط : الشديد .

(١٣) الأنسع : جمع نسع وهو سير عريض تشد به الرحال .

(١٤) المغط : الإغراق والجرى والامتداد أيضا .

فدُمْ ظافراً أبا المظفر بالعِـــدَى حليفَ قبولٍ لا يكون لها حَبْط[1]
بقيتَ ولا زالتْ عداكَ مُقيـــدَةً سعودًا ولا تُخْسِنْ صعودًا ولا هبط
ولو كنتَ جارًا للمعرىِّ لم يَقُـــلْ لمن جيرةٌ سيموا النوالَ فلم يُنْطُوا[2]

ومدائحه كثيرة ، ومنائحه[3] غزيرة ، وليس شرطُ هذا الـكتاب ، بسطَ هذا الباب ؛ فاقتصرت على ما أوردته ، وحصرت ما أفردته ؛ فإنْ مللته أو اُسْتَطَلْتَهُ ، فاستملِ ما استطبتَه ، واستحلِ ما أحببتَه ؛ واستجلِ سناه ، وتَخلَّ عما سواه ؛ فلعـل غيركَ يَسْتَمْرِئْ ما تستمرُّه ، ويعرف بفهمه الثاقب وفكره الصائب ما تنكره ؛ فقف حيث ينتهى إليه فكرك ، وطُفْ حول ما يشتمل عليه رَ كَنُكَ[4] ، نَبَهُ ذكرك وَوَجُهَ قَدْرُكَ .

وأنا الآن موفٍّ حق هذا القسم الرابع ، بذكر ما أثبته من البدائع ، ومورد كلِّ ما يهتز له عِطْف السامع ، ويتنزه فيه طَرْف الراتع . فانظم من دُرٍّ ما شيت ولا تُلِمَّ ببحره إن خشيت ؛ فإن دُرَّ البحر يجلبه من يلازم الغَوصَ ، ودَرَّ الفكر يجلبه من يداومُ الفَحْصَ .

(١) الحبط : الإحباط والإبطال .
(٢) يشير هنا إلى قصيدة المعرى الطائية التى عارضها ، وقد استشهد بأول شطر فيها ، فختم به طائيته . والمعرى فى شطره يستفهم عن قوم طلب إليهم النوال والعطاء فلم ينطوا ، والإنطاء : العطاء بلغة أهل اليمن .
(٣) المنائح : جمع منيحة وهى المنحة أو العطية .
(٤) الزكن : الفهم وفى الأصل : ذكرك . .

شعراء مصر

[شـــعراء مصر]

وقبل شروعى فى ذكر أعيانِ مصر وأحاسنها ، ومزايا فضائلها ومزاينها ، أُقَدِّمُ ذكرَ مَنْ جميعُ أفاضلِ الدهر ، وأماثل العصر ، كالقطرة [فى[1]] تيار بحره ، بل كالذَّرَّةِ فى أنوار فجره ، وهو :

١ — المولى الأجل القاضى الفاضل (*) الأسعد ٥

أبو على عبد الرحيم بن القاضى الأشرف أبى المجد على بن الحسن بن الحسن بن أحمد بن البيسانى

صاحب القران ، العديم الأقران ، وواحد الزمان ، العظيم الشان ، رب القلم والبيان ، واللَّسَنِ واللسان ، والقريحة الوقادة ، والبصيرة النقادة ، والبديهة المعجزة ، والبديعة المطرَّزة ، والفضل الذى ما سُمِعَ فى الأوائل بمن لو عاش فى زمانه ١٠

---

(١) ساقطة من الأصل .

(*) أشهر كتاب مصر فى العصور الوسطى . ولد فى عسقلان وكان أبوه يلى قضاء بيسان فى فلسطين فنسب إليها ، وقد أرسله إلى ديوان الإنشاء فى القاهرة أواخر العصر الفاطمى ، فتخرج فيه لعهد الحافظ (٥٢٤ — ٥٤٤ هـ) وكانت رئاسته حينئذ إلى الموفق بن الخلال وابن قادوس . ولما ظهر نبوغه اتخذه ابن حديد قاضى الإسكندرية كاتبا له ، ثم تركه إلى ديوان مصر فى عهد الظافر (٥٤٤ — ٥٤٩) فما زال يعمل به حتى وفد إلى مصر أسد الدين شيركوه ، فاختاره كاتبا له ، ولما توفى لحق بصلاح الدين وأصبح وزيره ومستشاره ، وما زال يرعاه صلاح الدين حتى آخر حياته ، وقد لزم بعده بيته وتوفى سنة ٥٩٦ هـ . وله ديوان رسائل كبير وديوان شعر لما يطبعا . انظر ترجمته فى ابن خلكان طبعة دیسلان ١/٣٩٧ وشذرات الذهب ٤/٣٢٥ ومسالك الأبصار (مصورة دار الكتب المصرية) المجلد الثانى من الجزء السابع الورقة ٢٧٨ وطبقات الشافعية للسبكى ٤/٢٥٣ والوشى المرقوم فى حل المنظوم لابن الأثير طبع مطبعة الفنون ص ٩ .

لتعلق بغباره ، أو جرى فى مضماره . فهو كالشريعة المحمدية التى نسخت الشرائع ورسخت بها الصنائع ، يخترع الأفكار ، ويفترع الأبكار ، ويُطْلِعُ الأنوار ، ويبدع الأزهار . وهو ضابط الملك بآرائه ، ورابط السلك بآلائه ، إن شاء أنشأ فى يوم واحدٍ بل فى ساعةٍ واحدة مالو دُوِّنَ لكان لأَهْلِ الصناعة خيرَ بضاعة .

٥ أين قسٌ عند فصاحته وأين قيسٌ فى مقام حصافته ، ومن حاتمٌ وعمرو فى سماحته وحماسته . فضله بالإفضال حالٍ[1] ، ونجم قَبُوله فى أُفُقِ الإقبال عالٍ ، لا مَنَّ فى فعله ، ولا مَيْنَ فى قوله ، ولا خُلْفَ فى وعده ولا بُطْءَ[2] فى رِفْده . الصادق الشِّيَم ، السابق بالكرم ، ذو الوفاء والمروّة ، والصفاء والفتوّة ، والتقى والصلاح والنّدَى والسماح . مُنْشِرُ[3] رُفَات العلم وناشرُ راياته ، وجالى غَيَابات[4]

١٠ الفضل وتالى آياته . وهو من أولياء الله الذين خُصُّوا بكرامته ، وأخلصوا لولايته ، قد وفقه الله للخير كله . وفضّل هذا العصر على الأعصار السالفة بفضله ونبله ؛ فهو مع مايتولاه من أشغال المملكة الشاغلة ، ومهامه المستغرقة فى العاجلة ، لايغفل عن الآجلة ، ولا يفتر عن المواظبة على نوافل صلاته ، وحفظ أوراده ووظائفه ، وبثّ أصفاده[5] وعوارفه ، ويختم كلّ يوم ختمةً من القرآن المجيد ، ويضيف

١٥ إليه ماشاء من المزيد . / وأنا أوثر أن أُفْرِدَ[6] بنظمه ونثره كتاباً فإننى أغار [٣٧ ظ] من ذكره مع الذين هم كالسُّها[7] فى فلك شمسه وذُكائه ، وكالثرى عند ثُرَيَّا علمه وذَكائه ؛ فإنما تبدو النجوم إذا لم تُبْدِ الشمسُ حاجبها ، ولا حَجَب نورُ الغزالة عند إشراقها كواكبها ؛ ولأنه لا يُؤْثِرُ أيضاً إثبات ذلك ، فأنا متمثلٌ لأمره المطاع ملتزم له قانون الاتباع ؛ واضعٌ أُذْنى لإذْنِهِ ، قابضٌ يمينى على

(١) حال : من الحلى وهو ما تتزين به المرأة .

(٢) فى الأصل : بطو . (٣) منشر : محي وباعث .

(٤) غيابات كل شيء : ماستر ك منه . (٥) الأصفاد : جمع صفد وهو العطاء .

(٦) فى الأصل : أفرط . (٧) السها : نجم خفى من بنات نعش الصغرى .

يُمْنه ، راكنٌ بأملى إلى ركنه ، قاطنٌ برجائى فى ظلِّ مَنِّهِ[1] ، أقترِضُ رضاه ، ولا أحكم على ما يحكم به ويراه ، ولا أقومُ إلا حيث يُقيمنى ، ولا أسوم[2] إلا ما يَسُومنى ، ولا أعرف يداً ملكتنى غيرَ يده ، ولا أتصدَّى إلا ما جعلنى بصَدَدِهِ ، وأسألُ اللهَ التوفيقَ للثبات على هذا السَّنَنِ وابتهاجِ جَدَدِهِ .

وهو أحق ممدوحٍ بمدحى ، وأقضاهم لحقه ، وأسماهم فى أفقه ، وأولاهم بصدقه ، وأهداهم إلى طُرُقه ، ولى فيه مدائحُ منظومةٌ ومنثورة ، ومقاصدُ معاهدها بفضله معمورة ، وقصائد قلائدها على مجده موفورة . فمن ذلك من قصيدة كتبتُ بها إليه عند وصوله إلى الشام فى الخدمة الملكية الناصرية سنة سبعين واتصالى به :

قد أهْدِىَ الإثراء فى الإيفاضِ[3] لى	مذ فاضَ لى بالرَّحْب[4] بحرُ الفاضل
قد غاضَ لى مَلْقَاهُ من فقرى غنًى	ما زالَ صَرْفُ الدهر منه غاضِلى[5]
كم من مُنًى ضَلَّتْ وعاودتِ الهدى	بلقائه حتى غَلَبْتُ مناضلى
عاينتُ طَوْدَ سكينةٍ ورأيتُ شمسَ فضيلةٍ	ووردت بَحْرَ فواضل
ولقيتُ[6] سَحْبانَ[7] البلاغةِ ساحبًا	ببيانه ثوبَ الفخارِ لوائل
أبصرتُ قُسًّا فى الفصاحةِ معجزًا	فعرفتُ أنى فى فهاهةِ باقل[8]
حلفُ الفصاحةِ والحصافةِ والسما	حةِ والحماسةِ والتقى والنائل

(١) المن هنا : من من عليه إذا أنعم .

(٢) أسوم : أصلها من المساومة فى البيع ، وهو يريد أنه لا يمضى إلا عن إرادته .

(٣) الإيفاض : من أوفض له : بسط له بساطا وأكرمه .

(٤) بالرحب : يريد بالترحيب . (٥) غاضلى : ما نمى .

(٦) رواية الروضتين ١/٢٠١ : ورأيت .

(٧) سحبان : بليغ عربى من وائل يضرب به المثل .

(٨) باقل : رجل يضرب به المثل فى العى .

بحرٌ من الفضلِ الغزيرِ خِضَمَّهُ طامى العُبابِ وما لهُ من ساحلِ

ومنهـا :

فى كفهِ قلمٌ يُعجِّـلُ جَرْيُهُ ما كانَ من أجلٍ ورزقٍ آجل

يجرى ولاجَرْىَ الحسامِ إذا مَضَى[1] حَدَّاه بل جَرْىَ القضـاءِ النازل

نابتْ كتابتُـهُ مَنابَ كتيبةٍ كُفِلَت بهزمِ كتائبٍ وجحافل

كم جادَ إسـعافاً لمـا فيهِ وكم أمْلَى النجـاحَ على رجاءِ الآمل

بيراعـهِ أبداً يُرَاعى عالِمٌ فى سِرْبه ويُرَاعُ سِربُ الجاهل

فعَــدُوُّهُ فى عَدْوِهِ ، وَوَلِيُّهُ فى عَدْلِهِ ، يا حُسْنَ عادٍ عادل

ريّانُ من ماء التقى ، صادٍ إلى كَسْبِ الحامدِ ، وهْى[2] خيرُ مناهل

غَطَّتْ فضـيلتُهُ نقيصةَ دهرِنا عَنَّـا وأذهبَ حَقُّهُ بالباطل

كفلتْ كفايتُه بكلِّ فضـيلةٍ أكْرِمْ بكافٍ للفضـائلِ كافل

أكْرِمْ به من خِدْنِ إفضالٍ وذى فَضْلٍ لأهل الشـام شافٍ شامل

ما حلَّ فى بلدٍ فكان مَحَلُّهُ إلا محلَّ حَيًا بروضٍ[3] ماحل

فقداه حزمِكَ كلُّ غاشٍ[4] غاشمٍ وفداه فضلَكَ كلُّ غافٍ غافلِ

يا أوحدَ العصرِ الذى بَزَّ[5] الورى فضلاً بغير مُشَا كهٍ[6] ومُشَا كلِ

يا أفضلَ الفصحاء بل يا أفصحَ الــبلغاء منفرداً بغـيرِ مُسَاجل

يا حالياً بالفضــل حَلِّ تفضلاً منى بجَدِّكَ جيـدَ حظٍّ عاطل

---

(١) فى الروضتين : جرى .

(٢) هكذا فى الروضتين ، وفى الأصل : هو .

(٣) فى الأصل : بروض .

(٤) الناشى : من غشيه إذا أتاه أو ورد عليه .

(٥) هكذا فى الروضتين ، وفى الأصل : مد ، وهو تحريف .

(٦) فى الروضتين : مشابه ، والمعنى واحد .

كم ناقصٍ إدبارُه قد ردّنى لكنّما إقبالُ فضلِكَ قابلى
قد كان هـذا الشامُ لولا أنتمُ روعَ المقيم به ورِوحَ الراحـل
كيف السبيلُ إلى نجاح مقاصدى ومحاسنى — وهى العيوبُ — وسائلى
مالى وجاهَ الجاهلين فأغنِنى عنهم كُفيتَهمُ وجُدْ بالجاهِ لى
جُدْ لى بمِنّتِكَ الضعيفةُ مُنّتى عنها وأَثقِلْ من جيلك كاهلى ٥
أرجوكَ معتنياً لدى السلطانِ بى كَرَمًا فمثلُكَ يعتنِى بأماثِلِي
تُوفِى وليّكَ دَيْنَ مجـدٍ عاقَهُ لَىُّ الوعودِ من الزمانِ الماطل
قَرِّرْ لىَ الشغلَ المُخَلَّ مُخَلِّيًا بالى من الهمِّ المقيمِ الشاغل
لا زلتَ غيثَ مكارمٍ وبقيتَ غَوْ ثَ أكارمٍ وسلمتَ كهفَ أفاضل

ومدحته بمصر وذلك فى شهر رمضان من سنة اثنتين وسبعين ١٠
بقصيدة أولها :

بحياتِكمْ ما عنـدكمْ بعدى فسِوى الأسَى ما بعدَكُمْ عندى
جُودُوا بِرِفْدٍ من خيالكُمُ فخيالكمْ لى غايةُ الرفـد
أسْدُوا إلىَّ يداً لأشكُرَها فالشكرُ لا يعدو يدَ المُسْدِى
[٣٨ و] / مالِى مجـيرٌ غيرُ طَيفِكمُ يُهدِى إلىَّ القـربَ فى البعد ١٥
والعينُ قد دَمِيَتْ وليس لها إلا مَعـينُ الدمعِ مِنْ وِرْد
والسمعُ فى وَقْرٍ لعـاذلِهِ فيكمْ ونارُ الشوقِ فى وَقْد
مَنْ غيرُكم للوصلِ أسْـتَدْعِى أو مَنْ على الهِجْرانِ أسْتَعْدِى
ما كنتُ أعلمُ قبـلَ فرقتنا أنّ الهوى يومَ النوى يُرْدِى
سَقَمِى شفائى فى مودّتكمْ وضلالتى فى حُبّكُمْ رُشْدِى ٢٠
بالروح يفـديكم مُحِبُّكُمُ والروحُ أكرمُ ما به يَفْدِى

يا مالكى رِقِّى أَمَا لكُمُ ... من رِقَّةٍ يا حافظى وُدِّى
يا جاحدى حقَّ الودادِ وهل ... حقُّ الودادِ يضيعُ بالجحْدِ
يا دمعُ لا تتركْ مساعدتى ... فقد استقالَ الصبرُ من وجْدِى
طلبَ التصبرَ جاهداً فأبى ... قلبٌ من الأشواقِ فى جَهْدِ
٥ وتكحَّلَتْ ليلاً بإثْمِدِهِ[١] ... عينٌ لهُ مَرِهَتْ[٢] من السُّهْدِ
مُتَفَرِّدٌ بِتَجَرُّعِ الأَسفِ الـ ... ـمُظْمِى لشوقِ الأجرعِ[٣] الفَرْدِ
شَهِدَ الوداعَ فزاده أَلَماً ... لَمَّا أصابَ الصابَ[٤] فى الشَّهْدِ
إنْ أنتَ لم تَهْدِ الشفاءَ له ... وهواكَ مُمْرِضُهُ فمن يَهْدِى
أمَّلْتُ نُجحكَ لا تُخَيِّبْ أَمَلِى ... وقصدتُ حِفْظَكَ لا تُضِعْ قَصْدِى
١٠ رَحَلُوا وقلبى فى رحالِهِمُ ... يشكو صدىً ويُشَاكُ[٥] من صَدِّ
أَلقيتُ عند مَثَارِ عِيسِهِمُ ... نفسى ، وقلتُ خِدِى[٦] على خَدِّى
ناديتُ حاديهمْ بعيشكَ قِفْ ... البين من حَذْوِ[٧] على حَدِّ
رفقاً بعيشهمُ أما لَهُمُ ... مِمَّا بدَا البينِ من بُدِّ
فاهدأْ هُدِيتَ فمذ حدوتَ رَمَوْا ... جَلَدِى الضعيفَ الأسَّ بالهَدِّ
١٥ وَجْدِى بمصرَ يَهِيجُ ساكِنَهُ ... شَغَفِى بذكرى ساكنى نجد
والوجدُ فى الأحزان كامنةٌ ... عندى خلافُ النارِ فى الزَّنْدِ
ما للأحبَّةِ — لا عَدِمْتُهُمُ — ... رَغِبُوا عن الإسعادِ[٨] فى الزُّهْدِ

(١) الإثمد : حجر الكحل .
(٢) مرهت العين : خلت من الكحل أو تقرحت بسبب تركه .
(٣) الأجرع : الكثيب . (٤) الصاب : المر .
(٥) يشاك : دخلته الشوكة .
(٦) خدى : من الوخد ، وهو ضرب من السير للإبل .
(٧) الحذو : الحذاء .
(٨) الإسعاد : المشاركة فى الدموع .

أَوَليسَ أحبـــابى بنو زمنى لا غَرْوَ إنْ لم يحفظوا عهدى
إنْ لم يَفُوا فلقـــد وفى كرماً عبدُ الرحيم بذمَّةِ المجـــد
الفاضلُ المفضالُ والنَّدِسُ[١] الـــمُسْدِى الندى والماجدُ المُجْدِى
ما إنْ يضلُّ بقاصــــدٍ أَمَلٌ إلا ويضمنُ أنه يَهْدى
يُسْدِى إلىَّ منـــيرَ أَنْعُمِهِ وأُنير[٢] مِدْحَتَهُ كما أُسْـــدِى[٣] ٥
العُرْفُ معتــــادٌ له خلقٌ وبه تراه غيرَ مُعْتَبِـــدٌ
بجنـــابه يدنو جَنَى أملى الـــنـــائى وراحةُ حظِّىَ المُكْدى[٤]
أبداً تَوَالَى مِنْ عوارفِهِ طُرفٌ تضافُ لنا إلى تُلْدِ
ويرى رجائى من مكارمه فى النجح طَرْفٌ غيرُ مُرْتَدِّ[٥]
زاكى النِّجَارِ أخُو الفخارِ وذو الـــمجد الأثيرِ الطاهرِ البُرْد ١٠
ذو الرتبــــةِ الشمَّاء والشرفِ الـــعالى السَّنَا والسؤدُدِ العِـــدِّ[٦]
النـــاسُ كلهمُ له تَبَعٌ فى فضــــلِهِ والدهرُ كالعَبْد
والبحرُ ذو جَزْرٍ[٧] وراحتُـــهُ بحرٌ — مدى الأيام — فى مَدِّ

ومنها فى وصف القلم :

وله اليَرَاعُ وَلِيُّــهُ أبداً يُرْعَى به ويُرَاعُ ذو الحِقْــدِ ١٥
كم غاصَ بحرُ بنَانِهِ فغــدا دُرُّ البيانِ يُســاق فى العِقْد

(١) الندس : الفطن الذكى .
(٢) أنير : من أنار إذا غرز الإبرة فعناها أخيط .
(٣) يسدى : هنا من السدى وهو ما مد من الثوب .
(٤) المكدى : السيء أو البائس من أكدى إذا قل خيره أو قل عطاؤه .
(٥) يشير إلى الآية الكريمة فى قصة سليمان وهى قوله تعالى « أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك » يريد أن نجح رجائه سريع فهو يتحقق قبل أن يرتد إليه طرفه .
(٦) العد : الكثير ، وأصله الماء الجارى الذى له مادة لا تنقطع .
(٧) فى الأصل : زجر ، وهو تحريف واضح .

إن سوّد البيضاء[1] بيّضَ مِنْ ... ثوبِ الليالى كلَّ مُسْوَدِّ
قَلَمٌ أقاليمُ البـلادِ به ... وثغورُها فى الضَّبْطِ والشَّدِّ
بِهُزَالِهِ يَمَنُ العُلاَ وكذا ... فى الهَزْلِ منه حقيقةُ الجِدِّ
لِلِسانِهِ حُجَجٌ يَرُدُّ بها ... جزمًا قضايا الألْسُنِ اللُّدِّ[2]
٥ ظمآنُ يُرْوِى كلَّ ذى ظمإٍ ... فاعجبْ لذى وِرْدٍ بلا وِرْدِ
مَلِكٌ كتيبتُهُ كتابتُهُ ... فَرْدٌ بجيشِ النصرِ فى جُنْدِ
الأسمرُ[3] الخَطِّىُّ تابعُهُ ... فى حُكْمِهِ والأبيضُ الهندى[4]
والنائباتُ بحدِّهِ أبدًا ... مثلومةٌ مفلولةُ الحَدِّ
كم مأزقٍ تَقَّى الغِرارُ[5] به ... للرعبِ من جَفْنٍ ومن غِمْدِ
١٠ نَفَذَتْ به اللاماتُ طاعنةً ... ألفاتِ خِرْصانِ[6] القنا المُلْدِ[7]
والسُّمْرُ داميةٌ مطاعنُها ... كمراودٍ فى أعينٍ رُمْدِ
فرَّجتَهُ بِشَبًا[8] مُلَطَّفَةٍ ... وَرَدَتْ بقَسْرِ القَسْوَرِ الوَرْدِ[9]
بلطيفِ تدبيرٍ يَرِقُّ له ... لصفاتِه قلبُ الصَّفَا الصَّلْدِ
عُرْفٌ يُبَدِّلُ بالرجاء لنا ... فى الأزْمِ[10] نُكْرَ الأَزْمُنِ النُّكْدِ
١٥ ناديكَ من نَدٍّ النَّدَى عَطِرٌ ... يا مَنْ يَجِلُّ نَدَاهُ عن نِدِّ
من سَيْبِ سَيْبِكَ[11] كلُّ مَحْمَدَةٍ ... فَلأَنْتَ حقًّا مالكُ الحمدِ

(١) يريد الصحيفة.
(٢) اللد : جمع ألد وهو الشديد الجدال الذى لا يرتد إلى الحق.
(٣) الأسمر الخطى : الرمح ، ينسب إلى مرفأ سفن بالبحرين يسمى الخط.
(٤) الأبيض الهندى : السيف. (٥) الغرار : حد القلم.
(٦) الخرصان : جمع خرص ، وهو القناة والسنان.
(٧) الملد : جمع أملد ، وهو الناعم اللين ، ويؤثر ذلك فى القنا.
(٨) الشبا : الحد. (٩) قسر القسور الورد : قهر البطل الشجاع.
(١٠) الأزم : الأزمة والشدة. (١١) السيب : العطاء.

وتُعيدُ ما تُبدى وتُضْمِرُهُ   ومَنِ المعيدُ سواكَ والمُبْدى ؟
يا مَنْ وجدتُ بلاغتى حَصَرًا   فى حَصْرِ ما يُوليهِ والعَدِّ
من كلِّ مَنْ عقدَ النوائبَ عن   حَظِّى عُرًى مُوثَقَةَ الشَّدِّ
فرَّقْتَ أعدائى غداةَ هُمُ   للشرِّ فى حَشْرٍ وفى حَشْدِ
ورفعتَنى فوقَ اليَفَاعِ ولو   لم تُسْمِنِى[1] لمكثْتُ فى الوَهْدِ ٥
فَضْلِى ، طِرادُ[2] الدهرِ غادره   وحظوظُه كَلَّتْ من الطَّرْدِ
غدرَ الزمانُ بكلِّ ذى حَسَبٍ   يأبى الوفاء بعيشِهِ الرَّغْدِ

ومنها :

زِدْ غَرْسَ رِيِّكِ[3] رِيَّةً فلقد   أضحى بعيدَ العَهْدِ بالعَهْدِ[4]
عَدْوُ العدوِّ يهونُ أصعَبُهُ   مادمتَ دمتَ عليه لى مُعْدِى[5] ١٠
والشوكُ لا يشكو جنايَتَهُ   من كانَ مطلبُهُ جَنَى الوردِ
أَخْنَى بنو زمنى محاسنَهُ   وعتابُ أيامى معى وَحْدِى

ومنها :

هذا أوانُ نجازِ وعدِكَ لى   إنَّ الكريمَ لَمُنْجِزُ الوعدِ
[٣٨ ظ] / من شدَّ ظهرَ رجائِهِ بِكَ هل   يبقى بأسرِ غيرِ مشتدِّ ؟ ١٥
أيكونُ زبدةُ ما أُؤَمِّلُهُ   عدمَ التَّمَخُّضِ[6] فيه عن زُبْدِ
أَرْغِمْ بفضلك ضِدَّ مَنْقَبَتى   لا زالَ فَضْلُكَ مُرْغِمَ الضِّدِّ
ساعِدْ بجِدِّكَ لِى بقيتَ على   رغمِ الأعادى ساعدَ الجَدِّ

(١) أسماه : سما به .   (٢) طراد الدهر : مطاردته له .
(٣) الرى : الارتواء .   (٤) العهد الثانية : المطر .
(٥) معدى : من أعداه عليه ، إذا استعداه ونصره .
(٦) التمخض : استخراج الزبد من اللبن .

والقصيدةُ أكثرُ مما أوردته . وحيث أوردت من نظمى فى مِدَحِه ، وحققت به عجزى عن شكر مِنَحه ، فلا بدَّ من إيراد بعض رسائِلِى التى خدمتُهُ بها ، وتعلقت عنده بسببها .

وأنا موردٌ رسالةً جامعةً مانعةً[1] ناصعةً ، كتبتها فى جواب مكاتبة له إلىَّ وقد أهدى لى تسع مجلدات من الـكتب النفيسة ، تشتمل على أشعار أهل العصر المغربيين وآدابهم وهو يُثْنِى فيها على إعرابهم ، عن المعانى المبتكرة وإغرابهم فيها وإيجازهم وإعجابهم ، فـكتبت جواباً . وهذه الرسالةُ قد وفَّيتُها حقَّها من التجنيسِ والتطبيق والترصيع ، والمقابلةِ والموازنةِ والتوشيع[2] ، وقد ذكرتُ الجماعةَ الذين أَهْدَى إلىَّ من شعرهم ومصنفاتهم ، وهى :

ما ظَفَرُ مُدَجَّجِ[3] الإظلامِ بالسَّنا ، ومُحْوَجِ الإعدامِ بالغنى ، ومُزْعَجِ الغرامِ من وصل حبيبه المفارقِ بنُجْحِ المنى ، ومُحْرَجِ السَّقامِ من وصف طبيبه الحاذق بِبُرْء الضَّنا ، والمعوزِ المعْوِرِ[4] بِتِبْرِ الجِدَه[5] بعد الإملاقِ ، والمُنْهَجِ[6] المُبْهَجِ[7] بعزِّ الجِدَّةِ غِبَّ الإخلاق ، بل ما فوزُ الآملِ المشفِى على مَرَضِ اليأسِ بالشفاء

---

(١) فى الأصل : صائنة .

(٢) هذه ألوان بديع ، وقد دل بها العماد هنا صراحة على ما يستخدمه فى أدبه : شعره ونثره من هـذه الفنون . أما الجناس فهو المجانسة والمماثلة بين الـكلمات فى حروفها بواسطة الاشتقاق وما يندرج فيه من مثل صائنه وناصعه وما إلى ذلك . وأما الطباق أو التطبيق فهو الجمع بين الضدين . وأما المقابلة فالجمع بين مجموعة من الأضداد . والترصيع هو المقابلة بين ألفاظ الشطر الأول والثانى ، أو السجعة الأولى والثانية فى الوزن والروى . والموازنة هى نوع من ذلك أيضاً . أما التوشيع فهو أن يأتى الأديب باسم مثنى ثم يشرحه بلفظتين تاليين مثل : « السمدان : الصبر والجلد » .

(٣) المدجج : شديد الإظلام ، وفى الأصل : مدبج .

(٤) المعور : الذى يحتاج ولا تقضى حاجته .

(٥) الجده : المال ، وفى الأصل : الجلد .

(٦) المنهج : الثوب الخلق . (٧) فى الأصل : المزعج .

فى النجاح ، والخاملِ المستغنى من مَضَضِ الإفلاس بالإثراء والفلاح ، والماحلِ الثَّرَى بما حلَّ فى رَبْعِ تُربه من ثَرَّةِ الحيا الربعى[1] فأحياه ، والناحلِ المُضْنَى بما نُحِلَ من صُنْعِ ربه فى الإبلال من الجوى الذى أبلاه ، والناهلِ المُظْمَى فى عذابِ الهاجرة الخشناء بعِذاب المناهل من مجاورة[2] مَوْردِ السَّلْسَال ، والذاهل المعنَّى فى عذاب الهاجرة الحسناء برحاب المنازل من نجازِ موعد الوصال ، كَظَفَرِ الخادم وفوزه ، بشرفه وعزه ، وسعادة جَدِّه وجِدِّ سَعْده ، وحياة رُوحِه ، ورَوْحِ حياته ، وحُسْنَى حالِه ، وحليةِ حسناته ، ونور حدقة فخره الناظرة ، ونَوْر[3] حديقةِ ذُخْره الناضرة ، وسنا سنائه المشرق فى أرجاء رجائه من سماء السَّماح السامية ، ولألاء آلائهِ المتألقِ بَرْقُ وَدْقِهِ[4] لإرواء الأرواح الظامية ، عند إسفار صُبْحِ أملِه ، وسفورِ وَجْهِ جَذَلِه ، واجتلاء أنوار جلالة الكمال ، واجتناء ثمار دلالة الإقبال ، بورود المثالِ المُمَثَّلِ ، المَقبِلِ المُقبَّلِ ، المُفضِلِ المفضَّل ، عن المجلس العالى ، الأَجَلِّىِّ ، الفاضلىِّ الأَسْعَدِىِّ الأَشْرَفِىِّ ، لازال شمسُ جلاله ، وبدر فضله وإفضاله ، فى أوجِ السعادة ، وبُرْجِ الزيادة ، من مَشْرِقَى الشرفِ والسيادةِ مُشْرِقَيْن ، وعَلَمُ العِلْمِ بكتائبِ كُتْبِه ومَقَانِبِ[5] مناقبِه وقلبُ الشانى[6] بعلوِّ شانِه وسموِّ سلطانه فى الخافقَيْن[7] خافقَيْنِ ، ولا فَتِئَ حُكْمُ الشرع فى شِرْعَةِ الحكم بفُتْياه فَتِيًّا ، وروضُ الولىِّ بولىِّ رضاهُ وجوده مجُودًا مَوْلِيًّا[8] ، وفضاء الفضائل بأنوار جَدْوَاهُ وأضواء عَلْياهُ مُسْتَهِلاً مُتَهَلِّلاً ، ووجاه الجاهل بتأرُّجِ نبإ نباهته الفائحِ النشرِ وتبلجُّ وجهِ وجاهته اللائحِ البِشْرِ مُتَبَطِّلاً مُتَعَطِّلاً ، ولا بَرِحَ

(١) الثرة من العيون : الغزيرة ، والحيا : المطر ، والربعى : نسبة إلى الربيع .
(٢) فى الأصل : مجاور . (٣) النور : الزهر .
(٤) الودق : المطر .
(٥) مقانب : جماعة الخيالة فى الجيش . (٦) الشانئ : الحاسد المبغض .
(٧) الخافقان : المشرق والمغرب .
(٨) مجوداً : من الجود وهو المطر . ومولياً من الولىّ ، وهو المطر أيضاً .

كاشِحهُ يَطْوِى الـكَشْحَ [و][1] بَرْحُ جوى جَوُّه بالغَمِّ مُغيم ، ومُناصحه تحوى المنى صحةُ عقيدته وَعَقْدُ صِحّته مُبْرَمٌ قويم ؛ مارنٌ مارنُ[2] لُلْعَادِى العادِى بِنَغْمِ الرَّغَم[3] ، وطنٌ وَطَنُ للْوَالى الوالِى بنعَمِ النَّعَم[4] ، وسارَ ظَعْنُ أولى الضِّغْنِ إلى لَقَمِ[5] النِّقَم ، وحارَ رَكْبُ الْمُضِلِّ الضالِّ من ليلِ الويل فى ظُلَلِ الظُّلَمِ . فإنَّ الخادمَ ما اكتحلَ بالتشريفِ حتى احتل ذُرى السَّعدِ الْمُنيفِ ، وحلَّ حِبَى الْحُبِّ لاجتباءِ حِبائِه[6] ، وأحلَّهُ من العَيْن فى سَوادِهِ ومن القلبِ فى سُوَيْدائِه ، وشَرَعَ من مَشْرَعِهِ فى تَرَشُّفِ شفاهِ التشرفِ بسقائه[7] ، وأطفأَ أُوارَ أُوَامِهِ[8] بامتثالِ مَراسِمِهِ ، واستشرفَ فى مَرَادِ[9] الْمُرادِ معالمَ معاليه من مغانى مغانمِهِ ، وخَتَمَ بالشكرِ عليه وشكر على خَاتمِهِ ، لمَّا أَمِنَ حوادثَ المكارِهِ ببواعثِ مكارِمِهِ ، ١٠ واستملى مِنْ أمالِى آمالِهِ سُورَةَ النجاح بمطالع بيانه ، واستجلى من حوالى أحواله[10] صورةَ / الصلاح بطلعة إحسانه ، وقام إجلالًا بعظمته ، وسجدَ إقبالا [٣٩ و] على قِبْلَتِهِ ، ومَرَى[11] ضِرْعَ الضَّراعَةِ لمرْآهُ ، وجلا مُحَيَّا الْمُحَيَّا لمُجْتَلاهُ ، وعلا أُفُقَ التوفيقِ لدنياهُ ودينه ، وتلا (فأمَّا من أُوتِىَ كتابَهُ بيمينه) وفازَ من حبل العصمة بمتينِهِ ، ومن دُرِّ الحكمَة بثمينه ، وفاءَ إلى تأمُّلِ ضَمِنَه فألفى بتأميلِ ١٥ آلاء مَنِّه وَفاءَ ضمينه ، ورأى نفسَهُ بمنزلة الذرَّةِ ذَرَّتْ[12] عليها الشمسُ من أعلى

---

(١) زيادة يقتضيها السياق . (٢) المارن : الرمح الصلب .
(٣) الرغم : من الرغام وهو التراب . والراغم : الذليل .
(٤) النم : المال الراعى . (٥) لقم : معظم الطريق أو وسطه .
(٦) الحِبى : بكسر الحاء جمع حبوة من الاحتباء ، وهو جمع الظهر والساقين بثوب ، والحباء : العطاء .
(٧) السقاء : ما يسق فيه ، وفى الأصل : بشفائه .
(٨) أوار الأوام : شدة العطش .
(٩) المراد : بفتح الميم الطلب ومكان الارتياد التى فيه الكلأ وما يشبهه .
(١٠) فى الأصل : أحوالى . (١١) مرى الضرع : مسح عليه ليدر .
(١٢) ذرت : طلعت .

مكان . وما قدر خامةٍ[١] لخامل أو باقةِ لباقلٍ ، فى مساحب ذيولِ سيولِ سحبان ؟ وما قيمةُ قطرةٍ عند الديمة المدرارِ ؟ وهل يبدو سُهَا[٢] السُّهى ، لدى قمر النهى[٣] للبصير[٤] ذى الأبصار ؟ وما أثر مَدَرَةِ الفلاة فى مَدَارِ الفَلَكِ الأثيرِ ؟ وما خَطَرُ خَطَلِ أَلْكَنِ العَجَمِ لخاطرِ خطيبِ العَرَبِ الأَلْسَنِ الخطير ؟ وهل يَسَعُ ذا حَصَرٍ قياسُ أيادٍ يضيقُ عن حَصْرِ حَصْرِهَا نطاقُ نُطْقِ قسِّ إياد ؟ وهل يَسْعَى ذو قِصَرٍ ٥٠ لمطاولةِ الأطوادِ ؟ ولا غَرْوَ أَنْ غاضَ وَشَلُ الناقصِ إذا فاضَ بحرُ الفاضل ! وأين الثريا من يد المتناول ؟ وكيف بلاغُ حَمْدِ العبدِ إلى بلاغةِ عبد الحميد عبدِ حَمْدِهَا ، والصابئان[٥] صاديان إلى وِرْدِها ، والطائيَّان[٦] مطأطئان خَجَلاً بل وَجَلاً من نَقْدِهَا ورَدِّهَا ، وهل هُمْ إلَّا نجومُ ذَكَاء غَيَّبَها طلوعُ ذُكائه ، ورسومُ مَضَاء غَيَّرَهَا سطوعُ ضيائه ، وجداولُ جَدَلٍ غَيَّضَهَا عُبَابُ فُيوضِه ، ونوافلُ عَمَلٍ ٩٠ أَغْمَضَهَا لُبابُ فُروضِه .

ما أَقبلَ الخادمَ وهو مخدومُ الإقبالِ ، بإقبالِ المولى الفاضل عليه لخلوصِ موالاته بخصوص موالاة[٧] الإفضال ! وما أحرى العبدَ بمباهاةِ الأحرارِ وأبرَّه بمضاهاةِ الأبرار ! . لقد أَرْبَى بفواضلِ مولاه على أربابِ الفضائل ، ورَبَا[٨] بفوائد جَدْواه قدُّ قَدْرِه المتضائل ، ورقَع حظوظَه من حضيض الخمول والخمودِ ، ٩٥

(١) الخامة : ما ينبت على ساق ، والطاقة الغضة منه مثل طاقة الريحان .

(٢) السها : نجم صغير ، والسهى الثانية جمع سهوة ، وهى الساعة من الليل .

(٣) قمر النهى : يريد القمر فى غايته .

(٤) فى الأصل : والبصير لقوى الإبصار .

(٥) الصابئان : هما أبو إسحق الصابئ الكاتب المشهور وحفيده هلال بن المحسن ، وكلاهما اشتهر بالبلاغة والبراعة ، وفى الأصل : والصادان ، وهو تحريف .

(٦) الطائيان : أبو تمام والبحترى .

(٨) الموالاة : الأولى من الولاء ، والثانية من التوالى أى التتابع .

(٨) ربا : نما .

إلى يَفَاع الارتفاع بالسُّعود والصُّعُود ، وَأَوْضَعَ[(١)] به إذ[(٢)] وَضَعَ له ميزانَ مُزَايَنَةٍ فى جَدَدِ الجدُودِ . وما أشكرَهُ للمجلسِ العالى الصدرىِّ وقد صدَّرَهَ فى مجالسِ العَلاء كاتبًا ، ولِمَعَاطِسِ[(٣)] الأعداء كَابِتًا ! وأقْدَرَهُ بمنائحه ، وأعجزَهُ عن مدائحه ! فأصبحَ ناطقًا صامتًا قانطًا[(٤)] قانتًا ، قائلاً ساكتًا . إن قال ، فلأنَّ حُجَّةَ الحمد أنطقَتْهُ ، [وإن[(٥)]] استقال ، فلأنَّ لُجَّةَ الرِّفْدِ أغرقتِه — وقد خاف الغرقَ مَنْ أَمَّهُ[(٦)] السيلُ ، وضافَ الفَرَقَ[(٧)] من ضَمَّهُ الليلُ — فإنْ عَجزَ بياناً ، فلإعجازه بإيراء[(٨)] ذلك البيان ؛ وإن أحْرَزَ رِهَاناً ، فلإعزازه بالإجراء فى هذا الميدان .

ووصلتِ الكتُب ، كأنها الشُّهُبُ ، يُهديها شمسُ نهارِ الفضلِ إلى سارى ليلِ طَلَبِه ، ليَهديَهُ بنورها فى غَيهبه ، ويُقيمَه بسَناها على سَنَنِ مَذهَبه . وهى تسعُ مجلَّدات ، بل تسعُ آياتٍ بيِّنات ، آتاها عبدَه كليمُ الفصاحة المتوحِّدُ باختراع الكلامِ الحرِّ ، وكريمُ السماحةِ المتفردُ باختراعِ الإنعام البِكْر ، وطِرْفُ[(٩)] الفصاحةِ المزيَّنُ عِلمَه بالحِلْمِ ، وإلفُ الحماسةِ المبيِّنُ عَزْمَه بالحزم . وكيف يُوصَلُ بوسائط المُرَكَّباتِ الأربعِ[(١٠)] من العناصرِ إلى البسائطِ التسع ؟! وهل يُقْطَعُ إلى النجم الطارقِ الطريقُ الشاسعُ بطِراقِ[(١١)] الشِّسع ؟! ولكنها صُحُفُ الفُصُحِ الأُوَلِينَ[(١٢)] الأوَّلين ، وكرامُ الكُتُبِ الكرامِ الكاتبين ، وخرائدُ فوائدِ

---

(١) أوضع : أسرع .
(٢) فى الأصل : إذا .
(٣) المعاطس : الأنوف
(٤) القانط : اليائس .
(٥) زيادة يقتضيها السياق .
(٦) أمه : قصده .
(٧) الفرق . الخوف .
(٨) الإيراء : إخراج النار من الزند ، وفى الأصل : بإقراء وهو تحريف .
(٩) الطرف : هنا معناها الأصيل الذى ليس له مثيل .
(١٠) هى : الماء والهواء والنار والتراب .
(١١) طراق الشسع : جلد النعل .
(١٢) الأولين : جمع أولى وهو الفضل .

المحدثين المُحْدَثين(١) وأبكارُ أفكارِ القدماء المُقَدَّمين . بَيْدَ أنَّ منزلتها من الألفاظِ الفاضليَّةِ منزلةُ الكتب المُنزَّله من الذِّكْرِ المُبين . وكم بينها وبين الفرقان من فُرْقان ، وما هي وإن جَلَتْ وجَلَتْ للقرآن بأقران . كذلك ما لغرائب المُغْرِبيِّين(٢) ، وأحاديث المُحْدَثين طلاوةٌ ، ولا حلاوةٌ ، ولا إطراءٌ ولا طراوةٌ ، ولا رونق ولا رُوَاء ، ولا بهجة ولا بهاء ، مع فيض شروق صنائعه البديعة ، ٥
وومض بروق بدائعه الصنيعة . ومَن ابنُ رشيقٍ(٣) عند رَشْقِ سهامه ومَشْقِه أقلامه ؟ / ولو امتدَّ عمره إلى مُدَّتِه ، لعَمَدَ إلى إخفاء عُمْدَته(٤) ، وكان خاملاً [٣٩ ظ]
في حاشيته ، حاملاً لغاشيته(٥) . وإنّ أبا الصلتِ(٦) لو رأى راية رَوِيَّةِ لأبي صَلْتَ(٧) صارمِ صرامته ، غاضًّا حدقةَ حديقته(٨) ، عاضًّا على إبهامه لما أُبْهِمَ عليه من حقِّه وحقيقته . وَدَعْ وَدْعَ(٩) قياسِ القيسي(١٠) يَعْرِثُه(١١) الطفلُ ، ١٠
وقُلْبَ(١٢) القولِ القَسِيِّ(١٣) يَفْرِثُه(١٤) الحَفْل ، فقد قَلَى(١٥) يدَ الإحسان ، وفقدَ

(١) المحدثين بكسر الدال : المخترعين ، وبفتحها المستجدون أو المعاصرون .
(٢) في الأصل : الغربيين ، ويتبين مما يأتي أنه سيعرض لأصحاب الكتب التسع وكلهم من المغرب .
(٣) هو أبو علي الحسن بن رشيق أديب القيروان المشهور في عهد ملكها المعزّ بن باديس ، توفي سنة ٤٥٦ هـ .
(٤) يريد كتابه العمدة المعروف في صناعة الشعر ونقده ، وهو من أهم كتب النقد العربي.
(٥) الغاشية : الغطاء . والكلام كناية عن أن ابن رشيق كان يتوارى خجلا .
(٦) هو أبو الصلت أمية بن عبد العزيز عاش ستين سنة : عشرين في إشبيلية بلده وعشرين في المهدية بالمغرب وعشرين في مصر . توفي سنة ٥٢٨ هـ . وسينقل العماد في هذا القسم المصري من خريدته عن رسالة مشهورة له باسم الرسالة المصرية .
(٧) الصلت : الإشهار ، ومنه سيف مصلت .
(٨) الحديقة : كتاب مشهور لأبي الصلت على غرار يتيمة الدهر .
(٩) الودع : خرز بيض .
(١٠) يريد الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان القيسي الأندلسي المتوفى سنة ٥٣٥ هـ ، وينقل العماد عنه كثيرا في حديثه عن شعراء الأندلس .
(١١) يعرثه : يعضه . (١٢) القلب : السوار .
(١٣) القسي : القاسي الشديد . (١٤) يفرثه : ينثره ويعرف ما فيه .
(١٥) قلا : أبغض .

قلائدَ العقيان[1] . وهل ابنُ خيران[2] إلا حيران فى ميـدانِ هذا البيان ؟ ولقد شَخَبَ وريدُ ابن أبى الشخباء[3] ورُدَّ إلى خباء الاحتباء . ولو حَيِيَ ابنُ خفاجة[4] لجاء حييًا إلى جهةِ الاختفاء . فهؤلاء الذين خصَّ المولى عَبْدَهُ بخصائصهم ، وأَخلَصَهُ للاطِّلاع على عِلْمِ مَطَالِعِهم ومَخالِصِهم . وإنْ صاغتْ خواطِرُهُمْ من إبريزِ التبريز تيجانًا مرصعةً مَرْجانًا ، وصَغَتْ زواهرهم[5] للمغاربِ بنواصعِ الدُّرَرِ ولوامعِ الغُرَرِ شُهبانًا[6] متجمعةً وَوِحْدَانا ، وكانوا عيونَ الناس الأعيانِ ، وأناسيَّ عيونِ الزمانِ ، متسمين بحسن الخواتم حسنَ الفواتحِ ، مُحْكِينَ سُودَ الصحائف فى بيضِ الصفائح ، فإنهم ناقصون إقصارًا لـكماله ، شاخصون إبصارًا لجلاله ، لم يكتحلوا بتراب قدمه ، ولم يَدْخلوا من باب حَرَمه ، وكلُّ الصيدِ فى جوف الفَرَا[7] ، ومن قال غيرَ هذا قيلَ له أطْرِقْ كَرَا[8] .

فهذه الـكتب المُهداة ، والسُّحُبُ المُنْشَاةُ ، فروعها المصنَّفَةُ سـتَّةُ أصنافٍ وأصْلُهَا كتابةُ الـكريم ، وأجزاؤُهَا المُؤلَّفَةُ تِسْعَةُ أصدافٍ وكلُّها دُرُّه اليتيم . تلك عَشَرَةٌ كاملةٌ فى المشايعة ، أذْعنت عُونُهَا[9] لفضيلة بِـكْرِها كعشيرةِ الصحابةِ فى المبايعة ، أغْضيتْ عُيونُها لفضلِ أبى بَـكْرِهَا[10] ، فهل كانت عُدَّةُ أتمها بعشرٍ لإكْمَالِهـا ، أو حَسَنَةٌ جزاؤُهَا بِعَشْرَةِ أمثالها ؟

(١) كتاب له مشهور فى شعراء بلاده وهو مطبوع .
(٢) من أكبر كتاب الدواوين فى مصر أثناء القرن الخامس ، توفى سنة ٤٣٢ هـ .
(٣) مثل سابقه ، كان من رؤساء الـكتاب فى الدواوين المصرية أثناء القرن الخامس توفى سنة ٤٨٢ هـ .
(٤) شاعر أندلسى مشهور توفى سنة ٥٣٣ هـ .
(٥) صغت زواهرهم : مالت نجومهم . (٦) فى الأصل عرايا .
(٧) مثل يضرب لمن يتفوق على أقرانه ، والفرا : حمار الوحش .
(٨) مثل يضرب لمن يخدع بكلام يلطف له ويراد به الغائلة .
(٩) العون : التى أنتجت ، فهى ضد البكر ، ومفردها عوان .
(١٠) يشير الى مبايعة أبى بكر الصديق .

ولما زفَّ المولى هَدِيَّ[١] هَدَاياهُ إلى كُفوْهَا الكافى عنده صفَّ إماءها[٢] أمامها على مثالها ، فيا له عرسًا ما تمَّ به إلا للمتحرِّش الحاسدِ مَأْتَمٌ ، وأُنسًا ما تمَّ منه إلا للمستوحشِ الجاحدِ مَأْثَمٌ . وقد غَنِيَ بالغانيةِ عن وصفِ وصائفها ولهًا ولهَا[٣] ، وغُنِي بمعانيها الرائقةِ الرائعةِ ولم ينظرْ لنُضارها شَبَهًا شَبَهًا ، وإذ[٤] أفرَدَهَا فضلُها على فرائدِ فضلاء المَشْرِقَين والمَغْرِبَيْن أبصر[٥] وسمِعَ لِسانَيْ[٦] العَرَبِ والعجمِ بتفضيلِ جميلها ٥
على تفصيلِ جملتهما مُعْجِمَيْنِ مُعْرِبَيْن . وأمّا المغاربةُ فعلى مشارعِ المشارقةِ مُغَارُ[٧] حَبْلِها ، ومِنْ مشاربها مُعارُ خَيْلها ، ومن مَغَانمها مغارمُها ، ومن صرائمها[٨] صوارمُها ، وحَسْبها أنَّ الغزالةَ الراتعةَ فى رياضِ الفَلَكَ ، الكارعةَ فى حياضِ المَلَكَ ، إذا وصلتْ إلى وِردها تورَّدَتْ بالشَّفَقِ ، واصفرَّتْ للفراقِ من الفَرَقِ ،
وأصابت عَيْنَها عَيْنُ العَيْنِ الحاميةِ[٩] ، وعانَقَتْهَا يد العنقاء المُغْرِبِ[١٠] العادية ، ١٠
ووقعتْ فى قبضةِ طِفْلِ الطَّفَلِ[١١] كالعصفور ، وقضتْ هنالكَ نَحْبَها ومَعادُهَا من المشرقِ غداة يومِ النُّشور . إنَّ الله يأتى بالشمس من المشرق حُجَّةً بالغةً وَمَحَجَّةً واضحةً للمُحِقِّ المُحَقِّقِ ، فإن تعلَّقَ المغربيون بأذيالِ أسمالِ[١٢] الأنوارِ آخرًا ، فالمشرقيون اجتابوا حُلَلَها القُشْبَ أولاً ، وإن تسلقوا على أسوار أسآرها[١٣]

(١) الهدى : العروس .
(٢) فى الأصل : آماما .
(٣) الوله : الغرام ، ولها من اللهو .
(٤) فى الأصل : وإذا .
(٥) فى الأصل : وأبصر .
(٦) لسانى العرب والعجم : لغتهما .
(٧) مغار الحبل : وثيقه ومحكمه .
(٨) الصرائم : جمع صريمة وهى العزيمة .
(٩) يشير إلى قوله عز وجل فى القرآن الكريم أثناء الحديث عن ذى القرنين « حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة » .
(١٠) العنقاء المغرب أو عنقاء مغرب : طائر عظيم الجسم يرد ذكره فى القصص العربى ، وهو طائر خرافى يقولون إنه يعدو ، ويغرق فى العدو .
(١١) الطفل : آخر وقت العشى عند الغروب .
(١٢) الأسمال : الثياب البالية .
(١٣) الأسآر : جمع سؤر ، وهو البقية من الماء وغيره .

فالعراقيون فتحوها مَعْقِلاً مَعْقِلاً ، ولا لوم على العَرّاق[١] العِرَاقيّ إذا استلأم[٢] ليحمى بحميَّتِه حِماه ، ويَغار حين يُغارُ على علاه . أما مصرُ فهى الآن عراقيةُ الدولة ، عباسيةُ الدعوةِ ، يوسفيةُ العزة ، فاضليةُ الحوزةِ ، ناصريةُ النصْرَة ، عادلية الحُظْوَةِ ، صلاحية السيرة ، سيفية العزة . فالفضل لها فى عصرنا لا قبْلَهُ ، وفخرها

٥ فاضلها الذى ما رأى الزمان مثله ، وهو مُعْتِقُ عبدِه ، ومسترقُّ حمدِه ، وناعشه[٣] من عثار الجدِّ ، ورائشه بدثار[٤] المجد ، فالخادمُ عراقى المنشأ والمربى ، مصرى المنحى والملتجا ، ناصريّ[٥] العلاء فاضليُّ الولاء . وأما الشام فلا يُذْكَرُ ولا يُشْكَرُ ، وكيف يُعْرَفُ ولا يُنْكَر ، ومعروفُ حَلْبَةِ حَلَبِهِ ذاتُ المنكر . وقد دلَّ نصُّ الكتابِ الكريم الواصلِ من المولى على أن سيآتها كثيرة ،

١٠ ولكنها لحسنات سلطانها مغفورة / : [٤٠ و]

قد طال دَنِّى[٦] لكم فطولْ ... طَوْلاً بجاهى العريضِ كُمّى

أصبحتُ فى مصرَ ذا رجاء ... إلى النَّدَى الجمَّ منك جَمِّ

أصابَ قَصْدِى وتمَّ أمْرِى ... وبانَ نُجْحِى وفازَ أَمّى

وإننى قد وجدتُ وَجْدِى ... منك كما قد عَدِمْتُ عُدْمِى

١٥ نعشتنى من عثارِ دهرى ... فخِرْتَ[٧] حَمْدِى وحازَ ذَمِّى

ومنها :

نتيجةُ النجح منك تقضى ... أنَّ للواعيدَ غيرُ عُقْمِ

---

(١) العراق : من أعرق فيه أهله وعرّقوا .

(٢) استلأم : لبس اللأمة وهى الدرع .

(٣) ناعش : من نعشه من العثار أى رفعه منه وجبره .

(٤) راشه : من الرياش وهو اللباس الفاخر ، والدثار : الثوب .

(٥) فى الأصل : ناصر .

(٦) الدن : من دن ودندن إذا طن ونغم ، وفى الأصل : دينى وبعدها كلمة كشطت واخترنا أن تكون (لكم) .

(٧) خرت : من خار ، أى انتقى واستخلص .

ومنها :

قضاء دَيْنِي ونيلُ سُولِى وحفظُ جاهى وجرىُ رسمى
وضَيْعَةٌ لا يضيع فيها عَزْمى كما لا يفوتُ غُنْمى
وحرمـــةٌ تستنيرُ منها سعودُ قدرى فى أفْقِ عُظْمِ
يممتُ يَمًّا ولستُ أرضى تيممًا فى جنَـابِ يَمِّ
لِمْ أملى لمْ يُزَنْ بنجح لِمْ شَعَثِي لمْ يُعَنْ بِلَمِّ
رُمْ(١) رَمَّ أمرى وحلَّ حالى ما كَرَّمَ فى الورى كَرَمّى
رُثَّ(٢) رجائى بكل طرز وعُثَّ(٣) جاهى بغـــير سُخْمِ
مضارعُ الفعل حظُّ فضلى وعائقُ الصرفِ حرفُ جَزْمِ
ناهيكَ من مُخْولٍ مُعِمّ يحنو على المُخول المُعِم ١٠
كل عدوٍ شَنَاكَ(٤) يَلْقَى فى الناسِ طَمْسَ اسمه كَطَسْمِ
شَمْلُ العِدَا(٥) والعروضُ(٦) منهم ما بين شتٍّ وبين شَتْمِ
ونلتَ عزًّا بغير صَرْفٍ ووصلَ مُلْكٍ بغير صَرْمِ
تَمَلَّهَا فهى بكرُ فكرى شبيةٌ من نتاجِ شَهْمِ
حدوت عِيسِى(٧) بها فجاءتْ شقشقةً من هديرِ قَرْمِ(٨) ١٥

ومنها :

لى خاطرٌ مُجْبِلٌ(٩) ، لهمِّى ، فتحته من صفاً أصمِّ
أقْدَمَ رَغْبًا فجابَ رُغْبًا(١٠) لقــدرِ فخرٍ لديك فَخْمِ

(١) رم : أصلح ، والرم : البالى والفاسد .
(٢) رث : من رث أى نهض ، وفى الأصل : رث رثائى .
(٣) عث : من عث أى نهض أيضاً . (٤) فى الأصل : يشناك .
(٥) فى الأصل : الأعادى . (٦) العروض : جمع عرض وهو الجيش .
(٧) العيس : الإبل . (٨) القرم : الفحل والسيد .
(٩) مجبل : من أجبل الشاعر إذا أفحم .
(١٠) جاب رغباً : جاب أى قطع ورغباً أى أرضاً فلاة ، كناية عن الطرق التى قطعها إليه .

إليكَ يا كعبةَ المعالى حَجَّ حجاهُ بلُطْفِ حَجْمِ
أَجْرِ على الوهمِ عُظْمَ شانى واجبرْ على الوَهْنِ عظمَ نَظْمى
بصفحةِ الصفحِ منكَ يبدو جزمُ قصورى بغير جُرْمِ
باسمكَ للشكر باسماتٌ مِنّى مُنًى سُقْتُهنَّ باسمى
٥ أَقبلْ وأفضِلْ علىَّ وأقبلْ عُرْبَ معانٍ لديك عُجْمْ
ما دمتَ عونى فليس يَغْدُو جميلُ وسمى قبيحَ رَسْمِ

٢ — القاضى المؤتمن* ابن كاسيبويه الكاتب

من صدور كُتّاب مصر الذين يُثْنَى عليهم الخنصر ، ويقوى باعتدال طبائع خواطرهم من البراعة[١] العنصر . ولم يزل فى الدولة المصرية مُقَدَّمًا مُصَدَّرًا ،
١٠ وبِكْرُ فضله خلف حجاب الصدور مُخَدَّرًا . ما أحسن أثرَ براعته خطاً ، وما أمكنَ خاطرَه المنيرَ فى سماء النظم لفلك المعالى[٢] قُطْبًا . ولما زال عن مصر بِشر الدولة العباسية عبوسُها ، وبدا كلَّ يوم يَحُلُّ خِمارُها ويُقْلِعُ بُوسُها ، حار ابن كاسيبويه ، وكاد يخفى ولو أنه فى العلم سيبويه ، فآواه القاضى الفاضل وغمرته منه الفَواضل ، وناضلَ عنه حين دون المنى ضلَّ المُناضل ، وصيَّره الملك
١٥ عز الدين[٣] فَرُّخْشاه بن شاهِنْشاه بن أيوب وزيره ، وأسمعه من غَناء الغِنى بجاه

(*) ترجم له ابن سعيد فى المغرب . انظر القطعة المصورة بمعهد المخطوطات فى الجامعة العربية ، الورقة ١١٥ ونقل فى ترجمته عن الخريدة ، ثم ذكر أن العماد نوه به فى ذيل الخريدة ، وروى عنه قطعة وجهها المؤتمن إلى القاضى الفاضل يصور فيها ما كابده فى الشام من مصاعب ومتاعب أثناء مقامه به مع فرخشاه . وانظر ابن ميسر ص ٩٥ حيث يذكره مع الشعراء الذين وفدوا على الصالح بن رزيك لتهنئته حين ولى الوزارة سنة ٥٤٩ هـ .

(١) فى الأصل : الجراعة . (٢) فى الأصل : العالى .

(٣) هو ابن أخى صلاح الدين ، استنابه عنه بالشام ، وكان متواضعاً سخياً شجاعاً مقداماً وكان فصيحاً شاعراً ، توفى بدمشق سنة ٥٧٨ هـ .

خدمته بَمّه وزِيرَه(1) . وهو الآن ذُو جاهٍ عريض ، وروض قشيب أريض ، سهل العبارة سلسها ، مبتدع الاستعارة مُختَلِسها ، كتابته حُلْوَة معسولة ، من تكلف الصنعة مَغسولة .

وله نظم يناسب نثره سَلاسَةً ونَهْجًا ، ويلائم وَشْيَ رسائله سلامة ونَسْجًا ؛ فمن ذلك أنى ملت لحضرة الملك عز الدين فرُّخشاه فى داره بالقاهرة ليلة الثانى من رجب سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ، والمؤتمن بن كاسبويه حاضر ، وقد كتب له من شعره فى مدحه ورقة قد أودعت من لطائفه ، فأخذتها ناظراً فى ناضر زهرها ، ومنها قوله :

[وسَمَتْ محاسنَك الزمانُ فلم تَدَعْ   وَقْتًا من الأوقات إلا مَوْسِما
أَزْرَتْ خلالُكَ بالحسام إذا مَضَى   عند الضَّريبةِ والغمامِ إذا هَمَى
لا غرو أن جَرَّ الجيوش مُقَدَّمًا   من كان مذ شَهِدَ الوقائع مُقْدِما(2)]
[٤٠ ظ] / قسما لقد هجر الكرَى جَفْنى فلا   يعتاده حتى يَعُودَ مسلِّما

وله ، صدر كتاب :

لازلت منصور اللواء مظفرًا   والسَّعْدُ يرحلُ إن رحلتَ وينزلُ
والنجح مقرونٌ بقصدك دائمًا   والدهر يتبعُ ما تقولُ وتفعل
وإذا قَفَلْتَ(3) فَوَاجَهَتْكَ مَيَامِنٌ   تبدو بشائرها وجَدٌّ مقبل
أنت الذى جاهدتَ عن دين الهدى   فأعزَّ نصرَكَ ناصرٌ لا يُخْذَل
وأَزَرْتَ أرضَ الشركِ أطرافَ القَنَا   حتى غَدَتْ من خيفةٍ تتزلزل
وبألسُنِ الأغمادِ خاطبتَ العدا   فأجابها فتحٌ أغرُّ محجَّل

(1) البم والزير : وتران من أوتار العود .
(2) نقلنا هذه الأبيات عن قطعة التترب السابقة لأن الأصل مطموس فيها ، وقد نقل ابن سعيد الأبيات عن الخريدة نفسها .
(3) قفلت : رجعت .

تُزجي[1] الجيادَ إلى الجهاد جحافلاً تَغْشَى البلادَ وأنت وحدك جحفل
فَلْيَهْنِكَ[2] الفتح الذى سَبَقَتْ به الـ ـبُشْرَى وأشرقَ بِشْرُهُ المتهلل[3]
يامن يُجَلِّى كلَّ خطبٍ مُعْضِلٍ قولٌ له فَصْلٌ وسيف فَيْصَلُ
عَقَدَ الوقارُ عليك تاجَ سكينةٍ بالنور لا دُرٌّ العقود يُكَلِّلُ
٥ أحرزتَ من فضل الكمال خصائصًا عنها أحاديثُ المكارم تُنْقَل
فاسلَمْ لمُلْكٍ قد حفظتَ نظامَه وسما بعزمك مجدُهُ المتأثِّلُ
يحوى مقاليدَ البلادِ فسابقٌ أعطى القيادَ ولاحقٌ مُتَمَهِّلُ

عدة فى الديوان الفاضلى

٣ — السديد علم الرؤساء أبو القاسم

١٠ عبد الرحمن * بن هبة الله بن حسن بن رفاعة

من أهل مصر ، المعروف بنائب الأمير ناصر الدولة

دخلت على القاضى الأجل الفاضل مستهلّ المحرم سنة إحدى وسبعين فى المخيّم[4] بمرج الصُّفّر[5] أهنّيه بجديد العام السامّ الجدْوَى ، وأستهديه الفوائد التى بها أحيا وأقوى ، فوجدت بيده كتابا لأبى القاسم المذكور إليه ، والقاضى ١٥ الفاضل يقضى بفضله ويثنى عليه ، فوقفت على رسالته وطالبته بكلمته ، فأرانى قصيدته ، وأقرانى فقرته ، وقال إنه أفضل من بمصر نظمًا ونثرًا . هذا وقد جمع من رسائله عشر مجلدات . فأما الرسالة فهى :

قد جعل الله المجلس العالى الفاضلىّ الأسعدىّ — زاده الله من اصطفائه أبكارَ

---

(١) تزجى : تدفع . (٢) فى الأصل : بالفتح .
(٣) المتهلل : المتلألئ ، وفى الأصل : المتجلل .
(*) ترجم له ابن سعيد فى المغرب ، القطعة السابقة الورقة ١١٧ ، وقال إنه توفى سنة ٥٩٣ هـ
(٤) المخيم : المعسكر . (٥) مرج الصفر : على مقربة من دمشق ، والمرج : الغيضة .

المناقب وعونَها ، وواصلَ إلى جنابه حمولات المثوبات وظعونها ، واستجاب من أوليائه[(١)] فى طول بقائه وهلاك أعدائه صالح الدعوات التى يدعونها — خيرَ ما ينادَى قريبًا ويناجى بعيدًا ، وأفضلَ مُنْعِمٍ يحقق وعدًا ويُخلف وعيدًا ، وعمّ[(٢)] الخلق جميعًا بنعمته ، وشرّف القلب بصواب حُكْمه[(٣)] وصَوْب[(٤)] حكمته ، وألهجَ أقلامه بتوزيع إفضال المال والجاه ، وقسمته ، وخصه فى إهداء الهُدَى بهَدْيٍ أقربُه على الساعين أبعدُه ، وأثّلَ له مجدًا لا يتناهى مصعَدُه ، أو يكون فوق النجم مقعده . ولم يزل إقباله على الملوك[(٥)] يريه وجهَ الإقبال وسياً ، ويعيد عنده سَمُومَ[(٦)] اليأس بأرواح النجاح نسيا ، ولا يضيع جريه فى ميدان اعتناق تنفيذ مرامه عَنَقًا[(٧)] ورَسِيا . وقد كان أكبر مولاه عن مكاتبة تليق بالأكابر ، وتنحط أصاغر الخدام عن درجة المحافظ عليها المثابر ، وسأل ابن حيون إحساناً إليـه بذكر هـذه الجملة فى كتبه وإجمالا[(٨)] ، وأن يقلّده بالإعراب عنه مِنّة لا يسأم لها على مر الزمان احتمالا . وحين أكْدَتْ[(٩)] مطالبه ، وأحاطت بجوانبه دواعى الندم وجوالبُهُ ، وصار الإجلال وجلا ، وعاد الإخلال خجلا ، ثابَ إليه من علْمِ شرف خلق المولى وكرم طبعه ، وتواضعه إقداراً للمعالى بحسن وضعه ، ما حمله على نظم قصيد خدم بها مجاسه الـكريم ، مع تحقُّقِه أن لمدحه جادةَ جدٍّ تعجزجلة[(١٠)] الشعراء عن سلوكها ، وتيقُّنِه أن مناقبه لا تحتاج إلى المدائح إلا كحاجة عقود الجواهر إلى سلوكها ، وضراعته فى إجرائه فى تقبلها على مألوف عادة الإحسان ومعروفها ؛

(١) فى الأصل : أولائه .
(٢) معطوف على جمل فى أول الرسالة .
(٣) فى الأصل : حكمته .
(٤) الصوب : المطر والغيث .
(٥) فى الأصل : الملوك .
(٦) السموم : الريح الحارة .
(٧) فى الأصـل : عنقا ، والعنق : سير سريع للإبل ، والرسيم : من رسمت الناقة إذا أثرت بحافرها فى الأرض أثناء سيرها .
(٨) إجمالا : إحساناً .
(٩) أكدت : أخفقت .
(١٠) فى الأصل : جلبة .

واغتفار خطلها الذى كفَّارَتُهُ ما يواصله هو وعائلته من أدعية صالحة للمولى بعدد حروفها . وللمملوك مستمرٌ على عادته فى ملازمة الخدمة والمواظبة عليها ، و إدامة البكور إليها ، مع ما يلحقه من النزلات التى تُظْلِمُ مطالعَ مُحَيّاه[1] وغيرها من أمراض شاهدها اصفراراً مُحَيّاه . والله تعالى يزيد فى علو محلٍّ / المولى المؤسس [٤١ و] على التقى ، و يجمِّلُ الدنيا بمفاخره الموفية على ناصع الجوهر المنتقى ، ولا زال أفواجُ الرفاق لاقيةً إذا حطَّتْ بجنابه أفضلَ مُلْتَقَى .

وأما القصيدة فإنها تنيف على مائة بيت فأثبت منها ما عقــدت خنصر الاختيار عليه ، ومطلعها :

تالله ما عاشـــق الدُّمَى عاقلْ   كلاَّ ولا عاذلٌ له عادِلْ
ذا مُغْرَمٌ مُرْغَمٌ أخو حُرَقٍ   وذا مطيلٌ ما عنــده طائل
لم يخشَ من ناقدٍ وقد جاء بالنُّكْـــسِ[2]   إلى ناقهِ الهوى ناقل

ومنها :

غانيةٌ عن[3] حليٍّ غانيةٍ   بحسنِ عاطٍ[4] من جيدها عاطل
وأسمرٍ غادرتْ لدونَتُـــهُ   ماءً لها فيــه جاريًا جائل
سنانُهُ طَرْفُهُ ومن عَجَبٍ   سيفٌ علا لهذمًا[5] على ذابل !
أهلَّه ضاربًا وأعمــلَ الطـــعن ســواهُ من نهده عامل[6]

ومنها :

وحالةُ المستهامِ أنفعُ ما   عاذَ به المستهامُ مِن عاذل
خبا ســناهُ وخابَ مقصده   أيَّةُ حالٍ لخامدٍ خامل

---

(١) المحي : الحياة . (٢) فى الأصل : بالنكس ، والنكس : عود المرض بعد النقه .
(٣) فى الأصل : من . (٤) العاطى : قريب التناول .
(٥) اللهذم : السنان القاطع . (٦) عامل الرمح : صدره .

ومنها فى ذم الدنيا :

وزاد حُبُّ الهوى عليه فما يَنفكُّ فى[1] هُوَّة الهوى نازل
يريد منها خفضاً فيرفعه مِن نَصْبِه للعَنا بها فاعل
أين من الدَّرِّ[2] كف حالبها[3] الـمكفوف منها بكُفَّةِ[4] الحابل
يُظْهِرُ تكذيبُ سِلْمِ باطِنِها عنوانَ عدوانِ خاتِر[5] خاتل ٥
أنصارُها عصبةُ التتابع فى الـجهلِ وأحزابُ طالبى الباطل
وما يَنِى مُذْكِراً بخطبتها حُكْمُ التناسى لحكمها الحائل[6]
يكونُ منها أمرُ الولاء وما ثَمَّ لها عاضلٌ سوى الفاضِل
عبد الرحيم الذى لرحمته ظلٌّ على الخلق وارفٌ شامل
القابلُ القصدَ والمعيذُ من الـمَنِّ ألوفاً فى العامِ والقابل ١٠
وجاعل الرسم فى سماحته تحبيسَ مِلْكِ الغِنَى على السائل

ومنها :

وما الغنىُّ المعزُّ للوفرِ بالـمنع ولكن مُذِلُّهُ الباذل
بديهةُ البِرِّ منه موفيةٌ أيدِ عوادى الردى [بها[7]] زائل
لعروةِ الجهل والقَضيَّةِ إذْ تُعْيِي ذوى العلمِ فاصمٌ فاصل ١٥
إن يظهرِ المدحُ فيكَ مُنْتَقَصًا فمنه فى النفسِ كامنٌ كامل
لأنّه فى فَعَالِ همته لغايةِ العجز قائدُ القائل

---

(١) فى الأصل : من .
(٢) الدر : استخراج اللبن من الضرع .
(٣) حالبها : يريد حالب الدنيا .
(٤) كفة الحابل : حبالة الصائد .
(٥) الختر والختل : الغدر .
(٦) فى الأصل : الحامل ، والحائل : المتغير .
(٧) ساقطة فى الأصل .

ومنها :

ومعجزُ السيفِ فضلُ جوهره ومائهِ لا عنايةُ الصـــاقل

ومنها :

وكم حبا[١] السامعين فائدةً إذا احتبى[٢] من نديَّة الحافل

٥ وكم أقام القسطاسَ حتى رأى الإقـساطَ[٣] عادٍ عن عــدله عادل

وكم له [من[٤]] وساطةٍ مَنَعَتْ صائبَ سهمٍ من حادثٍ صائل

يشبُّ منه الوليدَ أو يُعجز الـكهـــلَ احتمالُ [منه[٥]] على الكاهل

وسادرٍ فى الضـــلال غادرَهُ لثوبِ إيناس رشـــده سائل

ومنها فى وصف كتابته ومنطقه :

١٠ يعرب عن حكمة يظلُّ لهـــا يُعْرِبُ عن لُكْنَةٍ به باقل

ما حاقَ[٦] مذ حَقَّ كُلَّ منطقهِ حرامُ ســحرٍ يُعْزَى إلى بابل

يرســلُ من نثره لآلئَهُ نَبْــلاً فأَعْظِمْ بناثرٍ نابل

فيقذف الدرَّ بحرُ حكمتـــه الــمخضمُ من طِرْسِــهِ إلى الساحل

كم ظلَّ أعلى الـكُتَّابِ منزلةً لديه عنهـــا فى حالة النازل

١٥ يعجز عن نقلهِ المثالُ مع الـ إعجاز ما دام عنـــده ماثل

والخاطرُ الأســمدىُّ يخطر فى بلاغةٍ[٧] ذيلُ فضلهــا ذائل[٨]

يَخْضُرُ إنشاؤه غرائبَ أقـــوالٍ بها ربعُ ذكره آهــل

---

(١) حبا : أعطى .

(٢) احتبى : جلس ، وأصله من الاحتباء وهو الجمع بين الظهر والساقين بعمامة ونحوها .

(٣) الإقساط : العدل .

(٤) ساقطة فى الأصل .

(٥) ساقطة فى الأصل .

(٦) حاق : حاط .

(٧) فى الأصل : بلاغة فى ، وكلمة فى زائدة .

(٨) ذائل : طويل من الذيل .

أوجدهُ الدهرُ عالمًا فَضْلَ الـــعالِمِ فضلَ العالى [على(١)] السافل

ومنها :

صنعًا من الله للأجلِّ غدا بكفِّ عَدْوى أعدائِهِ كافِلْ
ما فاء(٢) يومًا إلى استشارته الـ ـمَلْكُ فألفى من رأيه فائل(٣)
[لـكن(٤)] بلاَ منه خيرَ ذى قلمٍ مُوَازِراً خيرَ مالكٍ دائل(٥) ٥
حتى توافَتْ منائحُ النصر للـــدولةِ تسرى فى منهجٍ سابل
لمنٌّ من عدله ورحمتـــــه أمٌّ ولودٌ ووالدٌ ناجـــــل
وضوعفت للجنــود قوة إضـ ـعافِ الأعادى فبأسُهُمْ باسل
أقْصَرُ سهمٍ حوت كنانتهم مزرٍ بطول المثقَّفِ العاسل(٦)

ومنها : ١٠

يا سيداً قُيِّدَتْ عقائلُ نُعْــمَاهُ بشكرٍ منـــــه لها عاقل
إذا أخو الحاجِ ضلَّ عن سَنَنِ الـــحجِّ [إليه(٧)] ضلالةَ الذاهل
أرَتْهُ أنْوَارُهُ الطــــريقَ له كأنما ميـــلُهُ(٨) لها كاحِل

ومنها :

ينحلنا شهـــدَه بلا إبرِ النحل مِنْ مَنٍّ باجلٍ ناحل(٩) ١٥

---

(١) ساقطة فى الأصل . (٢) فاء : رجع .
(٣) الرأى الفائل : الرأى الضعيف أو الخطأ . (٤) ساقطة فى الأصل .
(٥) فى الأصل ذائل ، والدائل : المشتهر ، ولعل الشاعر أراد الذى تدول له الدول .
(٦) المثقف العاسل : الرمح . (٧) ساقطة فى الأصل .
(٨) الميل : المكحال الذى تكتحل به العيون ، والمنار يبنى للمسافر ، وهو هنا يريد الثانى ويجعله كأنه كاحل أو مكحال .
(٩) الناحل : صاحب النحل ، والباجل : المبجل ، والمن : النحل .

والبُسْر(١) لولا [لونُ(٢)] يباشره الـ ـليلَ لما كان صِـبْغُهُ حائل

يا صادراً نحو صدرِ بغيتنا مرآكَ من صوبِ أَيْلَةٍ آيل

وكلهمْ فيكَ لازمٌ شرعةَ الـ قافى(٣) لآثارِ رجعة القافل

مَطَرْتَ جُوداً محلَّ مَحْلِهِمُ عهادَ رزقٍ ما عهدُهُ حائل

• ومنها :

أقسمت أنّى مالم أُجَدِّكَ تَعْـلُونى من الهمِّ خبلةُ الخابل

/ فأغتدى فى الدِّنِيّ من القولِ أخـ ـتارُ كما اشتار أَرْيَهُ العاسل(٤) [٤١ ظ]

مجتنياً تافهاً من المدح جمٌّ لِلَنّحِ فى وجهِ نقصه تافل

وذكر القاضى الفاضل أنَّ له شعراً حسنا وأنشد منه أبياتاً من قصيدة طويلة

١٠ فى وصف القلم ، هى قوله :

لعادة كفّ إنْ أَلَمّتْ بجلدِ عدا مورقاً أو معشباً حلَّهُ الخصبُ

عجبتُ له أنْ ظلَّ جاراً لسُحْبها وما فعلتْ فيه كما تفعل السحب

وأحسبهُ حيّا الطروسَ بنَبْعه وأصبحَ مسلوباً وأثمرتِ الكُتْب

قال ابن كاسيبويه الكاتب ، وكان حاضراً عند القاضى الفاضل : [وله(٥)]

١٥ أبيات فى القطائف المقلوة وهى قوله :

أهلاً بشهرٍ غدا فيه لنا خَلَفٌ أكلُ القطائف عن شرب ابنة العنب

من كل ملفوفةٍ بيضٍ إلى أُخَرٍ(٦) حُمْرٍ من القَلْيِ تَشْفِى جِنّةَ(٧) السَّغَب

(١) البسر : التمر قبل إرطابه ، والواحدة بسرة . (٢) زيادة لوزن الشعر .

(٣) القافى : المتتبع للآثار .

(٤) اشتار أريه العاسل ، اشتار : استخرج ، والأرى : العسل ، والعاسل : صاحبه .

(٥) ساقطة من الأصل . (٦) الشطر فى المغرب : ما بين محشوة صفت إلى أخر .

(٧) جنة السغب : شدة الجوع والجنون .

كأنهنّ خروزٌ ذاتُ أغشيةٍ من فضةٍ وتعاويذٌ من الذهب

وله بيتان أنشدنيهما :

الصمتُ سَمْتُ سلامةٍ طوبى لندبٍ[1] يقتفيه
عرفَ المُنكَرَ الزما نِ فِدامَ[2] فيه فدام فيه

٥ وله فى القطائف المقلوة :

وافى الصيامُ فوافتنا قطائفهُ كما تَسنَّمتِ الكُثبانُ من كُثُبِ

والبيتان الآخران هما المذكوران .

وله فى شمعة مذهبة :

كأنها من بناتِ الهند مُثْقَلَةٌ بالحَلْيِ تُجْلَى لكى تُهْدَى إلى النار

١٠ ولما دخلت القاهرة فى سنة اثنتين وسبعين اجتمعت به فى دار السلطان ثم استنشدته شعره فأنشدنى ما سبق ذكره من الأبيات وأنشدنى لنفسه من قصيدة :

وذى هَيَفٍ إن راحَ للرّاح ساقيًا غدا سائقًا للصبِّ رَكْبَ حِمَامِهِ
يبيحكَ إثمًا من مُدار[3] مُدامِهِ ويمنعُ لثمًا من مُدارِ لثامِهِ
فما بالُهُ فى كفِّهِ عَدْلُ حُكْمِهِ وفى طرفه الفتانِ جورُ احتكامِهِ
١٥ وكيف أضاءتْ أنجمٌ من كؤوسِهِ وقد أشرقتْ ما بينها شمس جامِهِ[4]

ومنها فى الثغر :

وحقّ له أنْ كان حُقَّ جواهرٍ إذا صِينَ من مسك اللّمى بختامه

وله :

وغادةٍ غرّنى بغُـرّتِها رُوَاءُ حسنٍ يدعو لرؤيتها
أودُّ من وصلها نسيمَ رضًا يُبْرِدُ عنى هجيرَ هجرتِها

---

(١) الندب : النجيب . (٢) فدام الفم : شىء تشده العجم على أفواهها عند السقى.
(٣) فى الأصل : مدام . (٤) الجام : إناء من فضة .

شممتُ إذ شِمتُ(١) برقَ مبسمها أَطيبَ طيبٍ أمام ضَمَّتها
فقلتُ هذا دخانُ عنبرةٍ للخالِ تَصْلَى بنار وجنتها

وله :

نَظَرَتْ بطَرْفِي شَخْصَها(٢) فتشكَّكتْ إذ قلتُ إنَّكِ فى الحشا المتوهِّج
فحكى الذى فى العَيْن ما فى خاطرى فأَرَيْتُها(٣) إيَّاهُ فى أُنْمُوذَجِ ٥

٤ — السعيد أبو القاسم

هبة(*) الله بن الرشيد جعفر بن سناء الملك

كنت عند القاضى الفاضل فى خيمته بمرج(٤) الدلهمية ثامن عشر ذى القعدة

---

(١) شام البرق : نظر إليه . (٢) الشخص : سواد إنسان العين .
(٣) فى الأصل : فأريته .
(*) أكبر شعراء مصر وأبرعهم فى العصر الأيوبى ، ولد عام ٥٥٠ هـ وتوفى عام ٦٠٨ هـ وكان هو وأبوه يعملان فى دواوين القاضى الفاضل ، وكان أبوه يقوم على شئون القاضى أثناء غيبته فى الشام ، ولعل هذا يفسر خطورة هبة الله عنده كما يتبين من كتاب فصوص الفصول ، فالفاضل كان يكرمه جداً ، ويوقره ، ويرى فيه مخايل شاعر عظيم . وله ترجمة فى معجم الأدباء لياقوت ١٩/٢٦٥ ، وابن خلكان (طبع القاهرة سنة ١٢٩٩ هـ) ٣/١٢١ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٥/٣٥ وحسن المحاضرة للسيوطى ١/٢٣٥ طبع مصر سنة ١٢٩٩ ، والمغرب لابن سعيد (نسخة دار الكتب المصرية المخطوطة) المجلد الثانى الورقة ١٤٧ ، وانفرد ابن سعيد بقوله عنه إنه كان غالياً فى التشيع ، ويدل لقب جده سناء الملك أنه كان من كبار الموظفين فى الدولة الفاطمية ، فقد خلع هذا اللقب أيضاً على حسين بن بدر الجمالى الوزير الفاطمى المشهور (الكامل لابن الأثير طبع ليدن ١٠/٢٧١) . ولابن سناء الملك ديوان موشحات يسمى دار الطراز به موشحات للمغاربة والأندلسيين ، نشره الدكتور جودة الركابى ، وله ديوان شعر لم ينشر حتى الآن ، وفى دار الكتب المصرية منه نسختان : مصورة مأخوذة من أصل فى مكتبة جامعة فؤاد ، ومخطوطة بالمكتبة التيمورية ، وسنرجع إليهما أثناء تحقيق نص ابن سناء رامزين لنسخة الجامعة بالحرف ج ولنسخة التيمورية بالحرف ت . والنسختان جميعاً محشوتان بالأغلاط ، وهما مختارات لا ديوانان كاملان فكثير من أبيات هذه القصائد غير موجودة فيهما وكذلك لا توجد بعض القصائد .
(٤) مرج الدلهمية : لم نقف على مكان هذا المرج ويظهر أنه كان حول دمشق (انظر الروضتين ١/٢٥١) حيث يقول العماد إنه وصل مع القاضى الفاضل دمشق فى ذى القعدة من حمص ، فإما أن يكون المرج حول دمشق أو فى الطريق إليها من حمص .

سنة سبعين ، فأطلعني على قصيدة له كتبها إليه من مصر ، وذكر أن سنه لم تبلغ إلى عشرين سنة ، فأعجبت بنظمه . والقصيدة هذه نسختها من خطه :

فراقٌ قضى للهمِّ والقلبِ بالجَمْع وهَجْرٌ تولَّى صُلْحَ عيني مع الدمع

ووصلٌ سعى في قطعه من أُحِبُّهُ ولا عجبًا قد يهلك النجمُ[(١)] بالقَطْع

ورَبْعٌ لذات الخال خالٍ وربما شُغِلْتُ بهمِّى من مُساءلةِ الرَّبْعِ ٥

فسبحان ربى قد سَمَت هِمَّةُ النَّوَى وطالت إلى أن فرَّقت ساكنى جَمْعِ[(٢)]

وفي الحيِّ مَن صَيَّرْتُها نُصْبَ خاطرى فما أَذِنَتْ في نازل الشوق بالرفع

من العربيّات المصونات بالذى أثارتْهُ خَيْلُ الغائرين من النَّقْع

وممن يرى أن اللالة مِلَّةٌ وتلك لعمرُ الله من طَبَع[(٣)] الطَّبْع

تتيه بفَرْعٍ منه أَصْلُ بليَّتى ولم أر أصلاً قطُّ يُعْزَى إلى فَرْع ١٠

وتبسِم عما يُكْسَفُ الدُّرُّ عنده فكيف تَرَى من بعده حالة الطَّلْع

فكم تركَتْ في ذلك الحيِّ ميتاً وكم حُمِلت فيها الضلوعُ على ضِلْع

وكم ذابَ من حَرِّ التعانق بيننا قلائدُها حتى افترقنا من اللَّذْع

سَقَى الله أيامَ الوصال مدامعى عليها وإن أَسْرَفْنَ في المطل والنَّبْع

زماناً تقود اللهوَ فيه يَدُ المُنَى ويُدْنِى التراضى صِحَّةَ الصدِّ بالصَّدْع ١٥

ولا نائلُ الحسناء نَزْرٌ ولا النَّوَى تجاهرُ فينا دولَةَ الوَصْل بالخَلْع

إذا شئتُ غنَّانى غزالٌ مُغازِلٌ نَشِيطُ التثنى فاترُ الخُلْفِ والمَنْع

يغنِّى فتحمرُّ المدامةُ[(٤)] خَجْلَةً ليقْصُرَها عن سَلْبَةِ العَقْل بالخدع

فأصرفُ راحى حين يُكْسَفُ بالما وأشربُ منه راحةً بفم السَّمْع

---

(١) النجم : النبات .

(٢) جمع : مزدلفة .

(٣) الطبع : الدنس .

(٤) هكذا في ت ، وفي الأصل : المدامع .

/ وأطربُ حتى لا أُفيق كأنَّما أتانىَ فى عبد الرحيم هَنَا الرَّجْع[1] [٤٢ و]

وما ذاك من فعلِ الإله بمنكرٍ ولا عَوْدُهُ من قدرة الله بالبِدْع

نأى قدنا من كل طَرْفٍ سهادُهُ وسار فأبقى كلَّ قلب على فَجْع

إذا نظرت عينٌ سواه تَلَثَّمَت حياء بعنوان[2] الوفاء من الدمع

٥ وإنْ عزَمَت نفسٌ على قصدِ غيره ففى أىِّ دِرْعٍ تلتقى أسهمُ الرّدع

أياديه يُشْجِى الناسَ تذكيرُها به فأعجِبْ بضُرٍّ جاء من جهةِ النفع

وقد ضاق ذَرْعُ الصبر منا لفقده فيا حبذا من فقده ضِيقَةُ الذَّرْع

فلولا اصطبارٌ فيه أعْدَى بلادَهَ لسارت إليه واستجارتْ من القطع

لِكُتْبِ الأجلِّ السيدِ الفاضلِ اغتدتْ رقابُ الأعادى ناكساتٍ من الهَطْع[3]

١٠ ومن قلمٍ فى كفه أصبحت به حدادُ المواضى عاجزاتٍ عن القطع

ومن فكره أضحتْ أفاعى يراعِهِ مع البعد منها قادراتٍ على اللَّسْع

متى خطَّ حرفاً أوهمَتْ كلُّ قلعةٍ ولم تُخْطِ وهماً أنها فى يدِ القَلْع

فلله كُتْبٌ منه إن أبصرَ العِدَى لها مطلباً لم يدفعوها عن الدفع

وإنْ قيلَ عُقْبَى خَلْعِهَا كلُّ مفسد لقد زِدْتِ قالتْ ذا اختصارى وذا قَنْعِى[4]

١٥ لو ادَّرَعَ المرءُ الجبانُ ببعضها لأَصْبَحَ فى الجُلَّى غنياً عن الدِّرْع

لئن شوركتْ فى فتح حصنٍ بأسْهم مضت من قِسِىٍّ لسْنَ يُخْطين فى النَّزْع

فقد أوْهَمَتْ تلك السهام بأنها مُنَصَّلَةٌ مما يحوكُ من السَّجْع[5]

فتباً لمن ظنَّ السيوفَ ككتبه لقد ظنَّ ظناً فاسدَ الأصلِ والوَضْع

تُشَبِّعُ[6] هاتيك الطيورَ وهذه من الأمن تملأ أنفسَ الناسِ بالشِّبْع

---

(١) الرجع : الرجوع (٢) فى ج : بأردان ، والردن : الكم .

(٣) الهطع : النظر فى ذل وخضوع من غير إقلاع البصر .

(٤) القنع : القنوع والميل . (٥) منصلة : ذات نصال .

(٦) تشبع : من الشبع ، لما تتركه من القتلى .

ومن لفظها الماء المعينُ فلو جرى ... لريّان[1] أفنى منه ما سال بالجزْع[2]
لتهنِكَ يا عبـــدَ الرحيم سعادةٌ ... بها شاسعُ الآمال أدنى من الشِّسْع
ولا خاب من يرجو نداك ولا خبا ... شهابُ ردىً [يرمى[3]] أعاديك بالسَّفْع[4]
فيا ســـيدى أللهُ يعلمُ أننا ... خصوصاً[5] بضُرٍّ مؤلمٍ صائبِ الوقع
بُلينا بحســـادٍ كثيرٍ أذاهمُ ... يظنون أنّ الشّرْع[6] قد نُصّ فى الشرع ٥
ولا يجنِ بل لا[7] يُجْرِ فىّ اعتقادهم ... من الشرّ وِتْراً أو يعزّزَ بالشَّفْع
ولو أننا فى نعمــــةٍ يحسدونها ... لهان ولكن عُذْرُهُمْ كَرَمُ الطبع
فللناس حزنٌ من فراقك واحـد ... وأحزاننا قد أوْهَنَتْ[8] نَفَرَ الجمع
لقد خاطرتْ من خاطرى خَطَراتُهُ ... لشكواىَ حالاً ضاقَ عن كتمها وُسْعِى
فأُقْسِمُ أنّ الطرسَ قد خافَ منهم ... وهــــذا دليلٌ أن كاتبَهُ مَرْعِى ١٠
فطوبى لعينٍ أبصرتكَ وحبـــذا ... مَقَرُّكَ من ربعٍ وصُقْعُكَ من صُقْع
فلو فارقتْ جسمى إليك حياتُهُ ... لقلتُ أصابتْ غيرَ مذمومةِ الصُّنْع[9]

ثم وصل إلى الشام فى شهر رمضان سنة إحدى وسبعين فى الخدمة الفاضلية فوجدته فى الذكاء آية ، أحرز فى صناعة النثر والنظم غاية ، يتلقى عرابةُ[10] العربيةِ له باليمين راية ، قد ألحقه الإقبال الفاضلى فى الفضل قَبُولاً ، وجعل طين خاطره ١٥ على الفطنة مجبولاً ، وأنا أرجو أن تترقى فى الصناعة رتبته ، وتعزر عند تمادى

(١) الريان : الملىء بالماء . (٢) الجزع : منعطف الوادى .
(٣) ساقطة فى الأصل . (٤) السفع : من سفعته النار أى لفحته .
(٥) خصوصا : مفعول مطلق بمعنى نخص ، وربما كانت محرفة عن خصصنا .
(٦) الشرع : من قولهم الناس شرع واحد أى هم سواء ، كأنه يطل التحاسد بذلك .
(٧) فى الأصل : لابل . (٨) فى الأصل : أذهبت .
(٩) فى الأصل : الصقع . (١٠) إشارة إلى البيت المشهور :
إذا ما راية رفعت لمجـــد ... تلقاها عرابة باليمين

أيامه فى العلم نُغْبَتَه ، وتصفو من الصبا منقبته ، وتروى بماء الدُّرْبَةِ رَوِيَّتُه ، وستكثر فوائده ، وتؤثر قلائده .

ومن جملة ما كتبه لى بخطه ، وَأَلْمَعَنِيهِ بنقطه ، وأبرزه لى من سِمْطِه ، قصيدةٌ يمدح بها الأجلَّ الفاضل أبا على عبد الرحيم بن على البيسانى ، ويذكر مسيره صحبته للكتابة بين يديه ، ويهنئه بعيد الفطر :

إن كنتَ ترغبُ أنْ ترانا فالْقَنا ... يومَ الهياجِ إذا تشاجرتِ القَنَا

تلقَ الأُلى يُجنيهمُ ثمرَ العـلا ... قُضُبٌ يلذُّ بهـا الجنى من جنى

لا يشربون سـوى الدماء مُدامةً ... إذ(1) ينشقونَ من الأسنة سوسنا

وإذا الحسامُ بمعـركٍ غنَّى لهمْ ... خلعوا نفوسهمُ على ذاكَ الغِنَا

١٠ متورعين فإن بدتْ شمسُ الضحى ... جعلوا العَجَاجَ لها رداء أدكنا

يشكو النهارُ خيولَهُمْ من نقعها ... والليلُ يشكو من وجوههمُ السنا

ويكادُ يُعْدِى القِرنَ شدةُ بأسهم ... فيكادُ يومَ الروع أن لا يَجْبُنَا

وإذا رأى الخطِّىُّ حـدةَ عزمِهِمْ ... نكرَ القناةَ وكاد أن لا يطعنا

إنى وإن أصبحتُ منهم إنهمْ ... ليرون لِى خُلُقًا أرقَّ وأليـنا

١٥ أهـوى الغزالةَ والغزالَ وربما ... نهنهتُ نفسِى عفَّـةً وتدينا

وأهُمُّ ثم أخافُ عقـبى معشرٍ ... أخنى عليهم سـوء عاقبة الخَنَا

ولقـد كففت عنان عينى جاهدًا ... حتى إذا أعييت(2) أطلقتُ العِنَا(3)

فجرتْ ولكن فى الحقيقة عبرةً ... أبقتْ على الخدين وسمـاً بيِّنا

(١) هكذا فى ت و ج وفى الأصل : إن .

(٢) فى ج : أعنت .

(٣) يريد أطلقت العنان فحذف النون القافية واكتفى بدلالة البيت ويسمى هذا فى البلاغة اكتفاء ، وكان ابن سناء الملك كثيراً ما يصنعه . انظر خزانة الأدب للحموى (طبع بولاق سنة ١٢٩١ هـ) ص ١٥٨ .

[٤٢ ظ] / يا جَوْرَ هذا الحبِّ فى أحكامه — خدٌّ يُحَدُّ ولحظُ طَرْفٍ قد زنا

وأظنه قصد الجناسَ لأنه — طرفٌ زنا لما رأى طَرْفًا رنا

يا قاتلَ اللهُ الغوانى ما لنا — عنهمْ غِنًى بل كم لنا عنهم غنى

ومليحةٍ بخلت فكانت حُجَّةً — للباخلاتِ وقلن هذى عُذْرُنا

كالبدر إلا أنها لا تُجْتَلَى — والغصنِ إلا أنها لا تُجْتَنَى ٥

ضَنَّتْ بطرفٍ ظلَّ يُعدى سقْمُهُ — أرأيتمُ من ضَنَّ حتى بالضنا

قالتْ تُعَيِّرُ من يكون مُبَخَّلاً — فعلامَ أسموه البخيل بودِّنا

وإذا تشكَّى القلبُ إسراعَ النوى — ظلّتْ تَشَكَّى منه إفراط الوَنَى

وإذا بكت عينى تقولُ تبسمتْ — إنَّ الدموعَ لها ثغورٌ عندنا

يا عاذلين جهلتمُ فضلَ الهوى — فعذلتمُ فيه ولكنِّى أنا[١] ١٠

إنى رأيتُ الشمسَ ثم رأيتها — ماذا علىَّ إذا عشقتُ الأحسنا

وسألتُ من أىِّ المعادنِ ثغرُهَا — فَوَجَدْتُ من عبد الرحيم المعدنا

أبصرتُ جوهرَ ثغرها وكلامَهُ — فعلمتُ حقًا أنَّ هذا من هنا

ذاك الكلام من الكمالِ بمنزلٍ — لا يدركُ الساعى إليه سوى العنا

يدنو من الأفهام إلا أنها — تلقاه أبعدَ ما يكون إذا دنا ١٥

ويسير وهو لحفظها مستوطِنٌ — فاعجبْ لذلك سائرًا مستوطنا

والجيدُ أحسنُ ما يكون لمسْمِعٍ[٢] — أضحى بجوهره النفيس مُزَيَّنا

وإذا حواه الطرسُ فَتَّحَ أعينا — من زهره تُصْبِى إليه الأعينا

فالطِّرسُ ساحةُ فضةٍ وسطورُهُ — مِسْكٌ تُفَرِّعُهُ البراعةُ أغصنا

لله من عبد الرحيم براعةٌ — تَذَرُ الحسامَ من الفلولِ مُؤَنَّنا[٣] ٢٠

---

(١) مثال آخر للاكتفاء .　　(٢) المسمع : المغنى .

(٣) مؤننا : من الأنين وفى ج : مؤمنا .

فلسانه قد صار لولا شكرُهُ لجيـــــل نعمتها لساناً ألـكَنا
وكتابةُ المُلْكِ منـــــه كتيبةٌ تدع العـــــدوّ مُحيّرًا ومُجبّنا
هو سورُهُ حيث السطورُ بروجُهُ فلذاك صـــار مُحَصّنًا ومحسّنا
ولقد علا بأبى علىّ جـــدٌّ من جعل الرجاء إليــه أنفسَ مُقْتَنَى
٥ يدعوه حين يُخيفُــهُ إقتارُهُ فإذا دعا كان النـــوالُ مُؤمّنا
إنْ يأتِهِ يَلْقَ النزيل مُعَزَّزاً ويصادفُ الذهبَ النضارَ مُهوّنا
والوجـــهَ أبلجَ والفناء مُوسَّعًا والعزَّ أقعسَ والعـــلاء مُمَكَّنا
أغنى وأقنى قاصــــديه فكلُّهمْ يُثْنِى ولا يَثْنِى عِنَانًا للثَّنَـا
تُثْنِى القـلوب على نداه وربما ركبَ النفاقُ مع الثناء الألْسُنَا
١٠ كم عاذلٍ فى الجود قال له اتّئِدْ لا تَلْحَنَا(١) فيه لئـــلا تَلْحَنَا
يفديه من تلقاه قاصـدَ رِفْدِهِ مُتَلَوّيًا فى رِفْدِهِ مُتَــــلَوّنَا
أصبحتُ فى مدح الأجلّ مُوَحِّدًا ولـكم أتتنى من أياديه ثُنَى(٢)
وغدوتُ فى حـــبى له متشيعًا من ذا رأى متشيعًا مُتَسَنِّنَا(٣)
ورأيتُ صحبته نعيمًا عاجــــلاً فرأيتُ بذلَ النفس فيــــه هينا
١٥ وأرادنى فظننتُ غيرى قصــــدَهُ فوجدت دهرى مذعَنَانى مُذْعِنَا
ياليت قومى يعلـــــون بأننى أدركتُ من كفيكَ نادرةَ المُنى
أوْلَيْتَ حسادى بما أوليتنى علموا يقينًا أنَّ أيْسَرَهُ الغنى
فلأتُ كفى منك جودًا فائضًا وملأتُ سمعى منــك قولاً ليّنًا
أنسَيْتَنِى أهلى على كَلَفِى بهـــم وذكرتُ أنى قد نسيتُ الموطنا
٢٠ وعلمتُ من سفرى بأنى لم أزلْ متغربًا لـما لزمتُ المسكنا

(١) تلحنا : من لحاه أى عذله ولامه .
(٢) ثنى : هى ثناء وقصر للقافية ، وثناء أى اثنين اثنين .
(٣) متسننا : من السنة ، وأهل السنة يقابلون الشيعة .

كم والهٍ يبكى علىّ ويشتكى[1] ... ألمـــا من البين المُفَرِّقِ بيننا
وإذا [رأى[2]] أثرى بـكى فكأنه ... طَلَلٌ تقادم عهـــده بالمُنْحَنَى[3]
ويظنُّ دهرى قد أساء ولو درَى ... حالى لأيْقَنَ أنّه قـــد أحسنا
لا زال رأيك لى يزيدكَ ضـــنّةً ... فى صحبتى ويزيد حسادى ضَنَا
وَهَنَاكَ عيدٌ أنت عيدٌ عنـــده ... ولذاك أضحى فيك أَوْلَى بالمنـــا ٥
وبقيتَ ما بقىَ البقاء فإن دنا ... منـه الفناء بقيتَ أو يَفْنَى الفنا

وقال يمدحه :

أبَى[4] أنْ يسُرَّ العاشقين[5] إيابُ ... وأن يردعَ البينَ المشتّ عتابُ
وما العشقُ إلا موتُ جسمٍ إذا دعا ... فإن نفوسَ العاشقين جواب
ومن صحّ من داء الصبابة قلبُهُ ... رأى أنّ رأىَ العاشـقين[6] صواب ١٠
رعى الله قومًا روّعُوا بفراقهم ... فؤاداً حماه من جِماهُ حِجاب
تضاعفَ ضعفى حين شُدّتْ قِبابُهم ... وقد[7] زاد كربى حين سار ركابُ
عبرنا فـكم من عبرةٍ فى ديارهم ... تُذَالُ ونفسٍ بالحنين تُذَاب

ومنها :

وغانيةٍ لم تَعْدُ عشرين حجـةً ... أقولُ لها قولاً لديه ثوابُ[8] ١٥
/ عليكِ زكاةٌ فاجعليها وصالنَا ... لأنّكِ[9] فى العشرين وهى نِصَاب [٤٣ و]
وما طلبى إلا قبـــولٌ وقُبلَةٌ ... وما أرَبِى إلا رضًى ورُضاب

(١) هكذا فى ت وفى الأصل : تشتهى .
(٢) هكذا فى ت وهى ساقطة فى الأصل .
(٣) المنحنى : منعرج الوادى .
(٤) فى ت وج : عسى .
(٥) فى ت و ج : السائرين .
(٦) فى ت و ج : العاذلين .
(٧) فى الأصل : ومن .
(٨) فى ت و ج : صواب .
(٩) فى ج : فسرك .

ومنها :

تذكرت دهرًا ليس ينسيه لَذّةٌ ... ولم يُسْلِ قلبي عن هواه شرابُ

وحجى إلى حانوتِ راحٍ وحانةٍ ... وكعبةُ لهوى أغْيَدٌ وكعاب

وإفراطُ حبى للعجوز التي غدتْ ... عروسًا تَهادَى والعقودُ حَبَابُ

٥ تُعيدُ شبابَ العقل ضعفاً وكبرةً ... ويرجع منها الكبير شبابُ

إذا قتلوها بالمزاج تبسمت ... كشاربها يرتاحُ وهو مُصَابُ

ومن عجبٍ أنّا نصيرُ بشربها ... شياطينَ تردى[1] الناس وهى شهاب

ومنها فى المدح :

فتى أشرقت منه خصالٌ شريفةٌ ... كما أعْرَبَتْ فى الفضل منه رِغابُ

١٠ وقد صادقَ الإنجازَ منه مواعدٌ ... كما جانَبَ الإخلافَ منه جَنَاب

على مالِهِ منه عذابٌ أصَارَهُ ... مواردَ جُودٍ كلُّهُنَّ عذاب

أيادٍ له بيضٌ حسانٌ سختْ بها ... يدٌ لم يَشُبْها فى العطاء حساب

مواهبُهُ عِتْقُ النفوسِ أقلُّها ... إذا صافحَتْ بيضَ الصفاحِ رقابُ

وآراؤهُ تَثْنِي النصولَ بفيضها ... إذا لم يكن إلاّ الدماء خضابُ

١٥ ومنها فى كتابته وكتبه :

تَجُذُّ معانيها الرقابَ فقد غدا ... يُخَيَّلُ لى أنّ الكتاب قِرَابُ[2]

وقال يمدحه[3] :

لقد عَبِثَتْ أيدى النوى بالنواهد[4] ... وقد عَبِثَتْ كفُّ البِلى بالمعاهد

---

(١) فى ت : تؤذى . (٢) القراب : الغمد .

(٣) هذه القصيدة ليست فى نسختى الديوان لا هى ولا مختارات منها .

(٤) النواهد : جمع ناهد وهى الكعاب الشابة .

وقد صادرتْنى فى البدور يدُ السُّرى فصار سرورى صادرًا غير وارد
وكم ليلةٍ قد سرنى الدهرُ منهمُ بأقمار خِدْرٍ لُقِّبَت بالخرائد
بكل فتاةٍ تتركُ العقلَ شاردًا على أنها بالحسن أصْيَدُ صائد
ومحسودةِ العقد المعانقِ جيدُهُ وإنى له والله أكبرُ حاسد
تتيهُ بفرعٍ فوق خَدٍّ موردٍ ونسطو بوردٍ تحت أجعدَ وارد[1] ٥
ومن صونها عن كل راءٍ ولامسٍ غدا صَدْرُها يُبْدِى قِلَى القلائد
وقد أشبهتها [الشمسُ[2]] حتى خيالُها يشابهُ ما قد طوّلَتْ من مواعد
سلِ القلبَ هل مرَّ السلوُّ بباله وهل حُزْنُهُ من بعدِكُمْ غيرُ زائد
يَقَرُّ بما قد قرَّ فيه من الأسى ويأتى إليكم من سَقامى بشاهد
فبَعدكَ ما أبصرتُ دمعىَ راقئًا وهذا دليلٌ أننى غير راقد ١٠
ولما هجرت الكُحْلَ قلتُ أمِنْ غِنًى بتكحيلها أم مِنْ قِلًى المَراود ؟

ومنها :

لأنِّىَ أحكيها نحولاً وصفرةً وقد تُشْرِكُ الأشياء من غير واحد
بعينيك لا تستعجل البين والنوى فلا بدَّ يومًا من فراق الفراقد[3]
ولا بد لى أن أترك الهمَّ آخذًا لكأسٍ تُلاقى كل همٍّ بطارد ١٥
وتتركُ منها زاهيًا كلَّ زاهدٍ ويرجع منها ماجنًا كل ماجد

ومنها فى صفة الخمر :

ترى أبداً منها الأباريقَ سُجَّدًا فشُرَّابُها أضحَوْا بها فى مساجد
يطوفُ بها حلوُ المراشفِ أوْطَفٌ[4] دمَت مقلتاه كلَّ قلب بقاصد

(١) الوارد : الشعر الطويل المسترسل ، وكذلك الفرع .
(٢) ساقطة فى الأصل . (٣) الفراقد : النجوم التى يهتدى بها .
(٤) الأوطف : كثير شعر الحاجبين والعينين .

ولم يُبْقِ وجهًا وجهُهُ غيرَ ساهمٍ ولم يُبْقِ طَرْفًا طرفُهُ غيرَ ساهد
يضن ببَرْدٍ من وصالٍ وقد بدا عذاراه فى خديه مثل المَبَاردِ
له الحسْنُ عبدٌ لا يخالف أمرَهُ والفاضلِ المحمودِ حُرٌّ المحامد
غدا مُسْتَقِلاًّ بالرياسةِ والعُلاَ ومستكثرًا من مُتْعِبات الحواسد
٥ ومستحمدًا من بذله كلَّ مادح ومستمدحًا من فضله كلّ حامد

ومنها :

وقد فاق من توفيقه كلَّ سائس كما ساد من تسديده كل سائد
أقَلُّ الوَرى مَنًّا على بذل مِنّةٍ وأكثرُ ما تلقاه عند الشدائد
علا ابنُ عليٍّ فوق كلّ مُطاوِلٍ بطيبِ السجايا بعد طيب المحامد
١٠ وفضلٍ حباه الله منه بمعجزٍ ترى أبدًا يَرْويه كل معاند
وجَدٍّ بما يهواه خيرِ مساعفٍ وسعدٍ لما يبغيه خيرِ مساعد
فياحاسديه غيظكُمْ غيرُ نافذٍ [ويا حامديه جوده غير نافد][1]
ويا عاذليه فى الندى إنّ عذلكم كبَهْرَجٍ[2] نَقْدٍ زافَ فى عين ناقد

ومنها :

١٥ إذا كَذَبَتْ آراءُ قوم فرأيُهُ على مشكلاتِ الغيبِ أصدقُ رائد
وإن كَتَبَتْ أقلامُه أقْصَدَ العِدى سهام المنايا من سمامِ الأساود
فيحمى سماء الملك منها ثواقبٌ بكل شهابٍ واردٍ نحو مارد
فيامشترى وُدَّ القلوبِ وحبَّها رويدكَ قد أَسْقَطْتَ نجمَ عُطَارِدِ
كأن العدى عينٌ وكُتْبُكَ عُوذَةٌ / وقد أخَذَتْ من صَرْفِهِمْ بالمَراصِدِ [٤٣ ظ]

(١) بياض فى الأصل ووضعنا الشطر ملائما للسياق .

(٢) بهرج : زائف .

ومنها فى توديعه :

أيا راحلاً والدمعُ بى غير واقفٍ ويا سائرًا والوجدُ بى غيرُ قاعد
يعزّ على ظمآنَ ملتهبِ الحشا فراقُ فراتٍ منك عذبِ الموارد
تسير فكم باكٍ بأجفان والهٍ عليك وكم باكٍ بأجفانِ والد
أودِّع منك العيشَ عيشَ شبيبتى وأقطعُ منى العمرَ عمرَ قصائدى ٥
وأهجرُ إنْ فارقتنى كلَّ لذة وأعربُ من وجدى على كل واجد
فقصَّرَ ربى عُمْرَ ما قد نوى النوى ومن لى بتقريبِ النوى للتباعد

وقال يمدحه من قصيدة[1] مضى عنه أولها :

ليالٍ عيونُ الدهرِ عنها نواعسٌ تنعَّمْتُ فيها من حسانٍ نواعمِ
وعانقتُ فيها بدرَها فى معاجرٍ[2] على إثرِ مَن عانقتُهُ فى عمائم ١٠
وبرَّدْتُ فيها لوعتى من مراشفٍ فما زلت أستشفى بلثمِ المباسم

ومنها :

ولما بدا جيدٌ لها ومعاصمٌ رأيتُ حبالَ الصبر غيرَ عواصم
وعاوَنَها عيناىَ فى سفكِ مهجتى فمن ذا أُسمِّى عاذلاً غيرَ ظالم
وهدَّ هواها من نُهاىَ معاقلاً وعهدى بها لا ترتقى بالسلالم ١٥
وبعتُ فؤادًا واشتريتُ مَذَلَّةً وأُثبِتُ على أنى غيرُ حازم

ومنها فى المديح :

من الوارثينَ المجدَ لا عنْ كلالةٍ إذا ما ادَّعاهُ أدعياءُ الأعاجم

(١) هذه القصيدة ليست موجودة فى نسختى الديوان .
(٢) المعاجر : جمع معجر ثوب للمرأة .

ترى ما لَهُ من بذله فى مكارمٍ وتلقاهُ مسروراً بجمع المكارم
إذا أَوْجَعَت قلبَ امرىء كفُّ حارمٍ رأى من عطايا كفه قلبَ راحم
غرامٌ قديمٌ فيه بالجودِ والندى إذا أثقل الأعناقَ حملُ المغارم

ومنها فى صفة كتابته :

٥ ويطربُ حُسناً من غدا فيه حتفه وقد يُطرب المحزونَ نوحُ الحمائم

ومنها فى تهنئته بالصوم :

تَهَنَّ بهذا الصومِ يا خيرَ صائمٍ إلى كلِّ ما يهوى ويا خيرَ صائم
ومن صام عن كل الفواحشِ عمرَهُ فأهونُ شيء هجرُهُ للمطاعم

ومنها :

١٠ ولولا نداكَ الغمرُ لم أكُ شاعراً وقد يشكر الأنهارَ صوتُ العُلاجم[1]
ولا عجبًا أنْ صرتُ فى خيرِ ناثرٍ لدرِّ كلامٍ رائقٍ غيرَ ناظم

وقال يمدح أباه ويودعه عند مسيره مع الأجلّ الفاضل إلى الشام :

أناخَ بها البارقُ الممطرُ ومرَّ النسيمُ بها يخطرُ
وأحيا مسيحٌ[2] الحيا نشرَها فأصبحَ ميّتُها يُنشَرُ
١٥ وأُضرِمَتِ النارُ من فوقها ففاح لها النَّدُّ والعنبر
ونبَّهَ فيها صهيلُ الرعودِ لواحظ ما خلتُها تسهر
وطاشَ النباتُ فهل راقه ليركَبُهُ ذلك الأشقر
وما حملتْ منةً للسحابِ إلا ومنتُها أكبر

(١) العلاجم : جمع علجوم وهو الضفدع .
(٢) مسيح : يريد المسيح عيسى على التشبيه وفى ت : صبيح .

متى جاء من دمعهِ زائرٌ تلقّاه من زهرها محجرُ
ولو حلّ فى رعده خاطبٌ لوافاه[1] من سَرْوِها منبر
فكم مقلةٍ ثمّ مغضوضةٍ وكم وجنةٍ بالحيا تقطر
وكم من غديرٍ غدا صفوُهُ بأسرارِ حصبائه يُخْبِر
وكم قد نهاه هبوبُ الرياح فظلّ بتجعيده يستتر ٥
وكم فيه للقطر من خوذةٍ تدلّ على أنه مِغْفَر
فياروضةَ الحسن إنى شُغِلْتُ بروضةِ حسنٍ لمن[2] ينظر
ويا خَضِرَ اللون قد ضاع فيك كما ضعتَ شاربك الأخضر
أنا لا أبينُ لفرطِ السَّقام وذاك لكونك لا تظهر
تأطّرَ[3] والرمحُ فى كفه فلم ندر أيهما الأسمر ١٠
ومرّ الغزال على إثرهِ فلم ندر أيهما الجؤذر
وألبس خاتَمَهُ خصرَه فقد صحّ من خَصْرِهِ الخنصر
ولما تعمّمَ قام الدليلُ على نقصِ مَنْ زيُّها المِعْجَرُ
وحسبك أنّ لها معجرًا وأسمدُ منه له مئزر
وقد غار منه على أننى وغيرىَ من قبله أغْيَرُ ١٥
فيا معدنًا دُرُّهُ سالمٌ ويا روضةً وردُها أحمر
ويا من بفيه لنا سُكّرٌ ولكنه سُكّرٌ يُسْكِرُ
تحلل جهرًا[4] عقود[5] الرجال فمن أجله حُرِّمَ المُسْكِرُ
أصومُ عن الوصل دهرى وقد رأيتُ الهلال ولا أفْطِرُ
وأنت الهلالُ وأنت الملاكُ بقتلِىَ تُفْتِى ولا تَفْتُرُ ٢٠

(١) هكذا فى ت و ج وفى الأصل : لوفاه .
(٢) هكذا فى ت و ج وفى الأصل : لم . (٣) تأطر : تثنى .
(٤) هكذا فى ت وفى الأصل : خرأ . (٥) فى ت : العقول .

/ ومنها : [٤٤ و]

وأعجبُ من كلّ ما قد جرى عجوزٌ أتتنى بهـــا مُعْصِر[١]
وهـــــذى القضيةُ معكوسةٌ أرى[٢] العقلُ من مثلِها يَنْفِرُ
فواصلتها فى[٣] كؤوس ظَنَنْتُ بها أنّ حارسنا يُبْصر
٥ وأحرقتُ منها ظلامَ الدجى لِمَا صحّ من أنّه يَكْفُر
وبات نديمىَ لاليـــلُه يطولُ ولا شُرْبُهُ يَقْصُرُ
وقام المؤذّنُ ينعىَ الظـلامَ فهـــذاك يَنْعَى وذا يَنْعَرُ
وحُطَّ لدىّ[٤] قناعُ الصباحِ وأسفرَ لى وجهُك[٥] الْمُسْفِر
فلا يعجبِ الصبحُ من نوره فوجهُ الرشيدِ — أبى — أنْورُ
١٠ واخبارُ سؤدده من ســـــناه أبهى ومن حسنه أبهر
هو السيد المشترى الثناء وقد عجز القومُ أن يشتروا
ومادحُ من جاء يمتـــارُهُ فهمْ فى معاليهِ لن يَمْتَرُوا
ويفـــتر[٦] مُدّاحُهُ من لهاه فهم فى المدائح لن يَفْـــتُرُوا
وراحتُه قبـــلةُ الآملينَ على أنهـــا ديمةٌ تمطر
١٥ فللجود باطنهـــا مَشْرَعٌ وَلِلّثْمِ ظاهرها مَشْعَـــرُ
فإن شئتَ قل إنه جنـــةُ النـــعيمِ وراحتُـــهُ الـكوثر
تُقَصِّرُ إنْ سابقَتْـــهُ الرياحُ وتوجدُ فى إثره تَعْـــثُرُ
ويُنسى الرشيدُ[٧] لذكر الرشيد ويُحتقر— من جعفرٍ— جعفر[٨]

(١) المعصر : الشابة راهقت العشرين . (٢) هكذا فى ت وفى الأصل : أى .
(٣) هكذا فى ت وفى الأصل : من . (٤) فى ت : تكشف عنا .
(٥) هكذا فى ت وفى الأصل : وجهه .
(٦) يفتر : ينتشى ، واللها : العطايا . (٧) يريد هرون الرشيد .
(٨) يريد جعفر بن يحيى البرمكى .

وكيف يسمونه جعفرًا[١] ومن فيض راحته أبحر
وكيف يلومون حسّاده وقد حسدت عصرَه الأعصُر
من القوم لا رفدُهم للعفا ةِ يُحصَى ولا مجدُهم يُحصَر
فرقدمُ منهمُ مُرْبِحٌ ووفرهمُ بهمُ مُخسِرُ
بدورٌ إذا انتسبوا للأنامِ فزُهْرُ النجومِ لها مَعشَر ٥
ولا مثلَ هذا الرئيسِ الذى له مَفْخَرٌ ماله مفخر[٢]

ومنها:

وتوردُ فى مَنْهَلِ للكرماتِ وتصدُرُ عن أمل يصدر
فِداهُ من السوء حسّادُه جميعًا على أنهم أحقر
فكم قَدَّرُوا الوضعَ من قدره وتأبى المقاديرُ ماقدَّرُوا ١٠
وكم آثروا ثلمَ عليائه فما ثلموها ولا أثَّرُوا
يحلِّقُ نحو سماء العلا وهم قبل تحليقه قصَّرُوا
فلله منه فتًى عزمةٍ [تجىء الليالى بما يَقْدُرُ[٣]]
ونظّامُ مجدٍ يُرى نَفْيُهُ لأعْرَاضِهِ أنه الجوهر
وعدلٌ فعلٍ يقولُ الزمانُ لإجباره إنهُ مُجبَرُ[٤] ١٥
وبحرُ علومٍ يُرى موجُهُ يُعبَّرُ عنه ولا يُعبَرُ

---

(١) الجعفر: النهر. (٢) الشطر فى ت هكذا: على كل غر له مفخر.

(٣) فى الأصل بياض، والبيت غير موجود فى نسختى الديوان، ووضعنا الشطر ملائمًا للسياق.

(٤) يقول إنه يأتى عمله عن حرية وإرادة، فكأنه ممن يؤمنون بأن الإنسان يخلق أفعاله، وهم المعتزلة القائلون بفكرة العدل، وفى الوقت نفسه يجبر الزمان على ما يريد، فكأنه من أهل الجبر الذين يقولون بأن كل شىء يقع بقضاء وقدر، وهى مشاكلة أو طباق بين عدلى وجبر.

لك الله ماذا عسى أن يقولَ لسانى وماذا عسى يذكر
فقد صرتُ أشعر إن رمتُ نظمَ مديحك أنىَ لا أشعر
وإنى عزمت على سفرةٍ أرى وجه إقبالها يسفر
وأحببتُ خدمةَ مَنْ دهرُنا لأغراضه خادمٌ أصغر
٥ وآثرتُ صحبة مولى الأنامِ لأبلغَ منه الذى أوثِرُ
ستغبطنى فيه شمسُ الضحى ويحسدنى القمر النيِّر
وأصبحُ لا عيشتى عنده تُذَمُّ ولا ذمتى تُخْفَر
وأبصرُ دهرىَ من ذنبه يتوبُ إلَىَّ ويستغفر
أودِّعُ منك الحيا والحياةَ وأُودِعُ قلبى لظىً يَسْعر
١٠ وأرحلُ عنك ولى خاطرٌ بتذكار غيركَ لا يخطر
ومن كان مثلى سعى فى البلاد فيكسى من العز أو يكسر
وما طلبى غير نيل العلا ومثلى على مثلها يعذر
فلا تنسنى من مجاب الدعا فإنى وليدك يا جعفر

وقال وقد اقترح عليه أن يذم الخال:

١٥ يا من غدت تختال فى خالها وخالُها يقضى بتهجينها
كأنما خدُّكِ تفاحةٌ وخالُها نقطة تَعْيِينها[1]

وقال فيه:

لا تُجْرِ دمعًا على سعادٍ فإن هِجْرانَها سَعَادَهْ
زهتْ على قومها بخالٍ أكسبها منهمُ زَهَادَه
٢٠ وما درت أنَّ كلَّ خالٍ بغضتُهُ للظريفِ عاده

(١) التعيين: أن يكون فى الجلد ثقوب أو دوائر رقيقة كالعين.

[٤٤ ظ] إنى لأختصـــــه بمقتى / لمّا تخيّلته قُـرَاده[1]

وقال فى قواد[2] :

لى صاحبٌ أفديه من صاحبٍ حلوِ التأنّى حَسَنِ الإحتيالْ
لو شاء من رقةِ ألفاظِهِ ألّفَ ما بين الهدى والضلالْ
يكفيك منه أنه رُبّما قاد إلى المهجورِ طيفَ الخيال ٥

وقال :

وَغادةٍ عندها وَغادَه[3] صارت لها سُنّةً وعادَه
إن هام .... بها جنوناً جعلتُ ساقاتها قِلادَه

وقال يهجو :

وشاعرٍ كاتبٍ أديبٍ منظِّمِ العقدِ[4] والقياس ١٠
قلتُ له والفضول داء وهو كما قيل كالعُطاس
لِمْ صِرْتَ تَبغِى وصرتَ تَبْغُو[5] قالَ من العشقِ للجناس[6]

وقال :

لأصْرِفُ الوَجْهَ عن إنسانِ غانيةٍ ولستُ أصرف عنها وجْهَ إنسانى
ولا أُرِيدُ لقوّادٍ مُساعدةً إن الشبيبةَ من أعْيانِ أعوانِى ١٥

(١) القرادة : حشرة صغيرة .
(٢) ذكر الحموى فى خزانة الأدب هذه الأبيات فى باب ذكر الهجو فى معرض المدح .
(٣) وغادة : من وغد أى صار وغداً لئيما .
(٤) فى ت : العقل . (٥) تبغو : من البغاء .
(٦) فى ت : فى القياس .

وقال موشحاً يمدح به أباه :

أَخْجَلَ ياقوتَ الشفقْ دُرُّ الدرارى
وساح فى أُفُقِ الغَسَقْ نَهْرُ النهارِ

وفتَّ كافورُ الصباحْ مسكَ السماء
وفاح من نشرِ الأَقاحْ نشرُ الكَباء(١)
وهبَّ [من] جسمِ الرياحْ مثلُ الهباء
ولاح من زَهْرِ البطاحْ نَدُّ الهواء

وسار فى بَدْرِ الأُفُقْ سِرُّ السِّرارِ(٢)
وقد وقى الشمسَ الغَرَقْ منه سمارى(٣)

فأتوك لعيدانِ الطلولْ تَنْدُبُ مَيَّا
واشربْ على رغمِ العذولْ من الحُمَيَّا
وانثرْ على أُفقِ الشَّمُولْ عِقْدَ الثريا
وقل لساقيك العجولْ باللهِ هَيَّا

أما ترى نورَ الفَلَقْ شيبَ بنارِ
لعلَّهُ قد استرقْ شمسَ العُقَارِ

لا شمسَ إلا من مُدامْ ذاتِ وقودِ
تجلو بتمزيقِ الظلامْ وجهَ الرشيدِ

---

(١) الكباء : عود البخور .
(٢) السرار : آخر ليلة من الشهر .
(٣) السمارى : جمع سمارة وهى الظلمة .

نفسُ العلا معنى الأنامْ سرُّ الوجود
وهو إذا عُدَّ الأنام بيتُ القصيدِ

تخلّفوا وقد سَبَقْ إلى الفخارِ
فليس فيهم من لَحِقْ غيرَ الغبارِ

أغنى وأقنى(١) بالُّلهَى وما تعسَّرْ
وقاده فضلُ النُّهَى فما تعثَّرْ
ورام أعلى ما اشتهى فما تَعذَّرْ
وحاز مقدارَ السُّهَا فما تكبَّرْ

فجلَّ ربٌّ قد خَلَقْ بالاقتدارِ
هذى المعالى من عَلَقْ بلا تَمارِ

عمرى ببقياهُ شبابْ والعيشُ صافى
وليس لى فيه شرابْ غيرُ السُّلافِ
وكعبق خودٌ كَعَبْ لها طوافى
قالت برغم الاجتنابْ والانحرافِ

جى يا حبيبى واستبِقْ واحْلُلْ إزارى
فإن زوجى ما غَلَقْ ذا اليومَ دارى

وقال موشحاً يرثى أمه :

يا مَا عَرَا قلبى وما دهاهْ مضى نُهَاهْ
لما نهاهُ الوجد مَعْ مَنْ نَهاهْ

(١) أقنى : أغنى .

ما زال لى مـــذ دهانى الزمانْ
أنسٌ شجاعٌ واصطبارٌ جبَـــانْ
وعَـــــــبْرَةٌ خالِعَـةٌ للعِنَانْ
لا تقبلُ الصونَ وترضى الهـــوانْ

٥ وناظرى قد غاب عنـــــه كراهْ تُرى سَرَاه
أو يُفْسِحُ الدهرُ له فى شِرَاهْ

صبرًا جميـــلا أين صبرٌ جميلْ
ذاك سبيلٌ ما إليــــــه سبيلْ
وقتى قصيرٌ وحـديثى طويلْ
١٠ حسبكَ مَنْ راحتُهُ فى العويلْ

وجُـــــــلُّ ما يبغيه لُقْيا الوفاهْ وهى شِـــــفَاهْ
تَبْرِى خطوبًا خاطَبَتْهُ شِـــفَاهْ

حزنى على أُمِّىَ حزنٌ شـديدْ
تَبْلَى الليالى وهو غَضٌّ جديدْ
١٥ فقلْ لنارِ القلب هل مِنْ مَزِيدْ
وقل لصَرْفِ الدهر هل من مَحِيدْ

غلطتُ دعْ دهرى وما قد نواهْ فهـــــل عساهْ
يأتى إلا دونَ ما قد أتاهْ

لهفى على من شطَّ منهــا المزارْ
وأظلمتْ من بعــدها كلُّ دار
وصار للمقــدارِ فيها الخيارْ
وقد بكى الليلُ لهــا والنهارْ

هذا لفقــدِ العُرْفِ ما قد شجاه والصــلاه
هـــذا أطالَ الوجدُ فيها بكاه ٥

ياليتـــــنى سابقُها للمماتْ
ولا أرى نفسى بشر الصِّفاتْ
منتزَعَ الصبرِ عــديمَ الثبات
فــكم ثكالى قُلْنَ مستعجلاتْ ١٠

هــذا المسيكينْ ما بَقِى لُهْ حَياهْ هــــدّ قُواهْ
واهًا عليــــــه ثم واهًا وواهْ

وقال يذكر ليلة وصال :

ظبىٌ بحسماء(١) حالى الجيدِ بالعطَلِ لـكنه قد جلَاهُ الحسنُ فى حُلَلِ
موشّحاتٌ ولـكن من ذوائبه لما رآه مُحَشِّى الطرف بالـكَحَلِ ١٥
أتى إلىّ وأهدى(٢) خدَّهُ لفمى فقمتُ أقطفُ منه وردةَ الخجـل
والليلُ قد مَدَّ سِتْرًا من سحائبه لمّا تخيَّلَ أنّ الزُّهْرَ(٣) كالمُقَلِ
قمنا ولا خطرٌ إلا إلى خَطَــرٍ دانٍ ولا خطوةٌ إلا إلى أجــل

(١) حسماء : هى حسمى ، وسبق التعريف بها .
(٢) فى ت : وأهوَى . (٣) فى ت : السحب .

والعينُ تسحبُ ذيلاً من مدامعها والقلبُ يسحبُ أذيالاً من الوجل
أُكلِّفُ النفسَ معْ علمى بعزّتها وَطْئاً على البيضِ أو حَمْلاً على الأَسَل
لكننى بالمواضى غيرُ مكترثٍ وبالأسنَّةِ فيه غيرُ محتفل
/ وكاد يهلك لولا الصبرُ من فَرَقٍ وكدت أهلك لولا الحَزْمُ من جَذَل [٤٥ و]
٥ حتى أتينا إلى ميعادِ مَأمنةٍ يا صاحبىَّ فلو أبصرتما على
أواصلُ اللَّثمَ من فَرْعٍ إلى قدمٍ وأوصلُ الضمَّ من صَدْرٍ إلى كَفَل
وجَيَّبَ[1] الشوقُ ثوباً من معانقةٍ منَّا علينا فلم يَقْصُرْ ولم يطل
وبات يُسْمعنى من لفظِ منطقه أرقَّ من كلِّى فيه ومن غَزَلى
وددتُ أعضاىَ أسماعًا لتسمعَهُ ولو تحمّلتُ فيه وطأةَ العَذَل
١٠ ودمعةُ الدَّلِّ يُجريها على جسدى فهل رأيت سقوط الطلِّ فى الطَّلَل
ونلتُ ما نلتُ مما لا أَهُمُّ به ولا ترقَّتْ إليه هِمّةُ الأمل
ومرَّ والليلُ قد غارتْ كواكبه لما نوى الصبحُ تطفيلاً على الطَفَلِ[2]
لم أسْحَبِ الذيلَ كى أمحو مواطئَهُ لكننى قمتُ أمحو الخَطْوَ بالقُبَلِ
يا ليلةً قد تولَّتْ وهى قائلةٌ لا تظلمَنِّى[3] معْ أيّامِكَ الأُوَلِ

١٥ وقال عند خروجه من مصر وتوجهه إلى الشام :

لما دعا فى الركب داعى الفراقْ لبّاهُ ماء الدمع من كل ماقْ
يا دمعُ لم تَدْعُ سوى مهجتى فلِمْ تطفَّلْتَ بهذا السباقْ ؟
إن كنتَ قد خفت لظى زفرتى فأنت معذورٌ بهذا الإباق
وإن تكنْ أسرعتَ من جنَّةٍ إنّ لما من أنتى ألفَ راق

(١) جَيَّبَ : جعل للثوب جيباً وهو فتحته العليا ، وفى ت : وأسبل .
(٢) الطفل : آخر الليل عند الغروب أو إلى الشروق .
(٣) فى ت : لا تظلمى .

مهلاً فما أنت كدمعٍ جرى وراقَ بل أنت دماء تُراقْ
قمتُ والأجفانُ فى عَبْرةٍ[1] والدمعُ من مُسْألتى فى شقاق
أسقى بمُزْنِ الحزن روضَ النَّوَى[2] يا قُرْبَ ما أثمرَ لى بالفراق
وأسلفَ التوديع شكرى لكى يخدعَ قلبى بتلاقِ التَّراق[3]
وما عناقُ المرء محبوبَهُ إلا بأنْ يلتفَّ ساقٌ بساق ٥
لله ذاك اليوم كم مقلةٍ غَرْقَى وقلبٍ بالجوى ذى احتراق
ومعشرٍ لاقوا وجوه النوى وهى صِفاقٌ بوجوهٍ رِقَاق
ووالدٍ بل سيدٍ والهٍ سقاه توديعىَ كأسًا دهاق
كأنَّ ذاك اليومَ كأسٌ له الهمُّ شُرْبٌ ويدُ البعد ساق
يقول [لى[4]] أتعَبْتَ[5] قلبى فلا لقيتَ من بعدىَ ما القلبُ راق ١٠
أيقنتُ أنْ ألبسَ فى بلدة أخلاقَ قومٍ ما لهم من خَلاقْ
هُمْ معشرٌ دِقٌّ[6] ومن أجل ذا أضحتْ معانى اللؤم فيهم دقاق
لما سرتْ خيلى بهمْ عنهمُ أمسيتُ قلبى بعِتاقِ العتاق[7]
وبدرِ تِمٍّ قال لى عاتبًا فَلَّتَ صبرى يا كثيرَ النفاق
خدعتَنى حتى إذا حُزْتَنى سلَّطْتَ بالبينِ علىَّ المِحاق ١٥
قلت بدورُ التم أسرَى السُّرَى[8] فارضَ بأنى لك يا بدرُ واق
وأبقِ طليقًا ما نأتْ داره وَدَعْ أسيرًا سائرًا فى وثاق

(١) هكذا فى ت ، والشطر فى الأصل : قمت والأحزان فى عزة .
(٢) فى ت : اللوى . (٣) التراق : جمع ترقوة .
(٤) زيادة من ت . (٥) هكذا فى ت والأصل : أبعيت .
(٦) دق : جمع دقيق وهو القليل الخير .
(٧) عتاق العتاق : كرائم الخيل النجيبة .
(٨) السرى : السير ليلا ، وأسرى : جمع أسير .

وربما كانَتْ لنا عودةٌ ... فإن تكنْ كان إليك الْمَساق
مذ صُعِقَ القلبُ لتوديعهم ... وخرَّ لم يَبْلُ ، فلما أفاق...[(١)]
إن كان وجلِى غيرَ فانٍ به ... فإن جسمى بعده غيرُ باق
والله ما يَشْوِى وإن كابروا ... يومَ النوى عندى غيرُ[(٢)] التلاق

٥ ومما قال بحماه[(٣)] :

من للغريب هَفَتْ به الفِكَرُ ... لا العينُ تؤنسُهُ ولا الأثَرُ
لا تلتقى أجفانُ مقلته ... فكأنما أهْدَابُهُ[(٤)] إبَرُ
من طولِ ما يُرْمَى بغُرْبَتِهِ[(٥)] ... يبكى البكاءُ ويسهر السهر
يا طولَ ليلٍ لا صباحَ له ... سَحَروا الظلام فما له سَحَرُ
ولقد تحلَّأ[(٦)] عن منازله ... طيفٌ لطولِ سُراه مُنْبَهِرُ
١٠ يأتى إلىَّ لنقع غُلَّتِهِ ... فيصدُّهُ مِنْ مَدْمَعِى نَهَر
وعهدْتُ قلبى جِسْرَ مَعْبَرةٍ ... لكنَّ ذاك الجسرَ مُنْكسِرُ
مذ نِمتُ لكن فى كَرًى وَلَهٍ ... خُيِّلْتُ أن خيالَهُ القمر
يا دهرُ يا من لا حُنُوَّ له ... أوَ ما علمتَ بأننى بَشَرُ
لو كنتَ تنطق قلت لِمْ بَطَرًا ... فجميع ما بك أصلُهُ البَطَرَ
١٥ تأتى حماةَ وتشتكى كدراً ... أو ما علمت بأنها كَدَرُ
وبقيتَ لا أهلٌ ولا ولدٌ ... فيها ولا وطَنٌ ولا وَطَر
صه يا زمانُ فإننى رجلٌ ... لَيْسَتْ تُغَيِّرُ صَبْرَهُ الغِيَرُ

(١) هذا من نوع الاكتفاء التى مر ذكره أى فلما أفاق تلا .
(٢) فى ت ، و ج : يوم . (٣) حماة : بلدة فى شمال الشام .
(٤) هكذا فى ت ، وفى الأصل إبعادها .
(٥) هكذا فى ت وفى الأصل : بصحبتها . (٦) تحلأ : طرد ومنع .

ماء البشاشة ملء صفحته والقلبُ فيه النارُ تستعرُ
ولربمـــا هطلتْ مدامعُهُ ومُراده أن يغرق الحَوَرُ
فالخدُّ ميــدانٌ صوالجُهُ هُدْبٌ لها من دمعه أُكَرُ
والنبعُ[1] قالوا ما له ثمـرٌ أنا نبعــةٌ والدمع لى ثمر
[٤٥ ظ] ولأركبنّ الصعبَ غُرّتُهُ / غَرَرٌ[2] وخَطْرةُ عِطفِه خَطَرُ ٥
إمَّا وإما وهى واحـــدةٌ — فيها مُرادُ النفس — ينتظرُ
ريحَ الجنوبِ أراكِ ناحـلةً هل شفَّ جسمَكِ مثلِيَ السفر
وأراكِ طيِّبـــةً مُعطَّرةً هل أنتِ من أحبابنـا خَبَرُ
تلك الأحبــة روضٌ ودِّهمُ خَضِلٌ وماء صفائهم خَصِرُ[3]

ومنهـا : ١٠

فارقتهم فتمايلوا أســفاً حتى ظننـا أنهمْ سَكِروا
فكأنهمْ لدموعهم شربوا وكأنهم بأنينهم نَعَـروا[4]
كم فيهمُ مَنْ غضّ ناظرَهُ لما خلا من شخصيَ البصر
ويظن ظناً أن مقلتـه لولاى لم يُخْلَقْ لهـا نظر
يا ويحَ طرفٍ بعــد فرقتهمْ لم يجرِ دمعٌ بل جرى قدَرُ[5] ١٥
كم كنت أحذرُ من فراقهمُ فإذا دهى قدَرٌ فلا حَـذَرُ

(١) النبع : شجر تتخذ منه القسى والسهام .
(٢) الغرر : الهلاك والتعرض للخطر من غرر بنفسه .
(٣) خصر : بارد ، وخضل : مبلل بالندى .
(٤) يريد بالنعير : صياح السكارى .
(٥) تدل ت و ج على أن هـذا البيت ملفق من بيتين لابن سناء فهما فيهما على هذا النحو .

يا ويح طرف بعـد فرقتهم صرت به العبرات والعـبر
صدق الذى قالت بلاغتـه لم يجر دمع بل جرى قدر

لهفى على عيشٍ بنعمته كانت ذنوبُ الدهر تغتفر
ومنازلٍ باللهو آهلةٍ تُزْهَى بها الآمالُ والفِكَرُ(١)
ومنازهٍ من حُسْنِ حيلتها يُنْسَى الحبورُ وتُنْثَرُ الحِبَرُ

ومنها :

٥ تلك الغصون شعورها وَرَقٌ متكلِّلٌ وعقودها زَهَرُ
تحت النهودِ كأنها بِدَرٌ صُرَرٌ تفرَّغُ فيهمُ صُرَرُ(٢)
آهًا لثغرٍ لو ظفرتُ به وكذا الثغور بها يُرَى الظَّفَر
من شادنٍ طرفى لفرقته زَنْدٌ(٣) وجمرُ مدامعى شَرَرُ
متبحيرٌ فى طرفه الحَوَرُ متبرِّجٌ فى وجهه الخَفَر
١٠ لولم يكنْ فى الجفن عسكرُهُ ما قيل إنَّ الجفنَ ينكسِرُ
خفَّتْ مواردُهُ قلائدُهُ وَيْلاهُ ذا خَصِمٌ وذا خَصِرُ(٤)
لم أُحْصِ كم عانقتُ قامته فتكسرت من ضمِّىَ الدُّرَرُ
أَصَبَرْتَ(٥) حتى يوم فرقته يا قلبُ ! والتحقيقُ يا حَجَرُ

وورد إليه الخبر بوفاة الأسعد ولد الشيخ الأجل السديد علم الرؤساء ، فقال
١٥ يرثيه و يعتذر إلى والده من تأخير الرثاء بحكم اشتغاله بأحوال السفر ، ونفذ إليه
من حلب :

أصبحتُ بعدك فى الحياة كفانِ وقد اكتفيتُ ولا أقولُ كفانى

---

(١) رواية ت : تزهى بها الآصال والبكر .
(٢) البدرة والصرة : كيس النقود .
(٣) الزند : حجران تستخرج منهما النار بحكهما .
(٤) الخصر : البارد ، والخصم : المجادل ويريد هنا بالخصام التمنع .
(٥) هكذا فى ت ، وفى الأصل : أبصرت .

أبكى فتجرى مهجتى فى عبرتى فكأنَّ ما أجريتُهُ أجرانى
وتَحِمُّ[١] أنفاسى ولمَّا يُنْضِجها دمعٌ هو البحرانُ[٢] بل بحرانِ
نسخت وفاتُكَ أدمعى فلكم جرت كالدرِّ وهى اليوم كالمرجان
لا بل هى العِقْيانُ سالَ وإنما أبكى العزيزَ علىَّ بالعِقيان
قد سِلْنَ ألواناً ليعلمَ أننى فى حمل فرض الحزن غيرُ الوانى ٥
وافانىَ الناعى لكى ينعاكَ لى ومضى على أدراجه ينعانى
وغزا[٣] وجيشُ الرزء من أعوانه وبرزتُ والإعْوالُ[٤] من أعوانى
لا أدَّعى أن النعىَّ أصَمَّنى فيمنْ أصمَّ وإنما أصْمانى[٥]
يا ثالثَ القمرين حُسْناً قد بكى حُزْناً لأجلِ مُصَابك القمران
دينارُ وجهك حين أُهْبِطَ فى الثرى كادت تفرُّ الشمس للميزان[٦] ١٠
وسيوفُ برقِ الجوِّ لما أُغمدت صفحاتُ ذاك الوجه فى الأكفان
وَدَّتْ لو انغمدتْ ولكن تغتدى[٧] هامُ العدا بدلاً من الأجفان
يا تُرْبُ ما أنصفتَ نضرة غصنه أكذا صنيعُ الترب بالأغصان
غُصْنٌ فنونُ الطرفِ فى أفنانه تعلو على الجانى وهنَّ دَوَانى
تستوقفُ الرائى معانى حسنه عجبًا بها فكأنهنَّ مغانى[٨] ١٥

---

(١) تحم : تسخن .
(٢) البحران : من قولهم دم باحر وبحرانى : أى خالص الحمرة .
(٣) هكذا فى الأصل ، وفى ت : غدا .
(٤) هكذا فى ت ، وفى الأصل : والأعوان .
(٥) أصمى : رمى فقتل .
(٦) الميزان : أحد البروج الإثنى عشر التى تنتقل فيها الشمس .
(٧) يريد أن هام العدا تصبح أجفاناً بدلا من أجفان السيوف .
(٨) هكذا فى ت و ج ، وفى الأصل : معانى ، والمغانى : جمع مغنى ، وهو المنزل غنى بأهله ثم فارقوه .

كم مادَ من سكرِ الشباب فهل درَى | أنا نميد بسكْرةِ الأشجان
قد كان يرفل فى ثيابِ شبيبةٍ | أردانُها طهُرَتْ من الأدْرانِ[1]
جمعت خلائقُهُ له وصفاتُهُ | حِلْمَ الكهول ويَقْظَةَ الشبّان

ومنها :

٥ أصبحتُ مثلَكَ مُفْرَدًا متغربًا | مُقصًى عن الأحبابِ والأوطان
والفرقُ أنك فى الجِنَانِ وأننى | من أجلِ فقدك صرتُ فى النيران
قد كنت أحملُ همَّ بينٍ واحدٍ | فأتت وَفَاتُك لى ببينٍ ثان
كيف اصطبارى من فراقٍ واحدٍ | وقد افتضحتُ من الفراقِ الثانى
وتسوء فرقةُ من تحبُّ ولا يُرَى | شىءٌ يسوء كفرقة الأقران
١٠ صبرى وموتُكَ فى حشاى كلاهما | مُرّانِ مثلُ أسنَّةِ المُرّانِ[2]
أوسعتُ فيك الدهر عتبًا مؤلمًا | فأجابنى بالبَهْتِ والبُهْتَان
قلبى يحاسِبُهُ على إجرامِهِ | ويَعُدُّها بأنامل الخفقَان
غيرى هو السالى وإنى قائلٌ | / ما أقبحَ السلوان بالإخوان [٤٦ و]
فلئن سلوْتك ناسيًا لا قاصدًا | فالذنب للنسيانِ لا السلوان

١٠ ومنها :

يأيها المولى السديدُ ومَنْ غدا | أوْلى الورى بالصبرِ والإيمان
صبراً جميلاً يَقْتدى قلبى به | فهو المُعَنَّى بالهموم العانى
واللهُ يعلمُ ما حوته جوانحى | مما دهاك وما أَجَنَّ جنانى
ولئن غدا منى الرثاء مؤخرًا | من أجلِ شغلِ القلب والأحزان[3]

(١) هكذا رواية الشطر فى ت ، وروايته فى الأصل هكذا : أردانها برئت من الأردان .
(٢) المران : جمع مرانة وهى الرماح اللدنة الصلبة .
(٣) الشطر فى ت هكذا : من أجل شغل الذهن بالأحزان .

فلقد رثَتْ عينى بنظمِ مدامعى وأرى الدموعَ[1] مراثىَ الأجفانِ
لم يرثه منى لسانٌ واحدٌ لكن رثَتْ بمدامعى عينانِ
خدى كطرسى والمدامعُ فوقه شِعْرى وإنسانى كمثل لسانى
ولقد علمتُ قصورَ ما قد قُلتُه[2] فأردت أودِعُهُ حَشَا كتمانى

ولا نذكر البيت الأخير[3] لأن فيه نقصَ دينٍ وضعفَ إيمانٍ وقلّة توفيق ، ٥
ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وقال مستوحشاً من صديق جرت عادته بالاجتماع معه فى مُتَنَزَّهٍ له :

جلستُ ببستانِ الجليسِ ودارِهِ فهيّجَ لى ممن تناسيتُهُ ذِكْرا
وسُقِّيتُ شمسَ الكاسِ ساعةَ ذكره فلم تستطع فى ليل همّىَ من مَسْرَى
فيا ساقىَ الكاسِ التى قد شربتُها رويدكَ إنّ القلب من أُمّةٍ أخرى ١٠
ولو وُصِلَتْ سودُ الليالى بشَعْره لما خَشِيَتْ من غير غُرّتِهِ فجرا
تذكرتُ وَرْدًا للمليحِ مُحجَّبًا يمدُّ عليه ظلٌّ أهدابه سِتْرا
فصرتُ أجازى القلبَ من أجلِ ذكره فيقتلنى ذكرى وأقتلُهُ صبرا
أقبّلُ ذاكَ الظلَّ أحسبه اللَّمى وألثم ذاك الزهرَ أحسبه الثغرا
وكم لائمٍ لى فى الذى قد فعلته وكم قائلٍ دَعْهُ لعلّ له عذرا ١٥
لأجلك يا من أوحش العينَ شخصه أنِسْتُ لسُهْدٍ يمنع العينَ أن تَكْرَى
وقاسيتُ منك الغدرَ والهجرَ والقِلَى وأنفقتُ فيك الشّعر والعمر والدهرا
وأفلسَ طرفى حين أنفقَ دمعَهُ فأجرى فى دمًا يسمّونَه شِعرا

(١) هكذا فى ت وفى الأصل : الربوع وهو تحريف .
(٢) هكذا فى ت وفى الأصل : ولقد علمت قصوره ما قلته .
(٣) جاء البيت فى ت ولكنه محرف ومضطرب فى الشطر الثانى ، وتبدو فيه مقارنة بين الرثاء بشعره والقرآن الكريم ، ولعل ذلك ما جعل العماد يصفه بما وصف .

وفارقتُ عِزًّا بالشــآم لألتقى ... بمصرَ الذى من أجله فضَّلوا مصرا
لئن طبتُ فى مُستنْزَهٍ لم تكن به ... فلا زلتُ ألقى عندك الصدَّ والهَجْرا
ولو كنتُ فى عَدْنٍ[1] وكنتَ بغيرها ... ـوحوشيتَ ـ آثرتُ الخروج إلى بَرّا
ولو كنتَ فى بُصْرى[2] وحبِّكَ لم أقُلْ ... أيا بصَرى لا تنظرنَّ إلى بُصْرى

• وهذا المصرع الأخير هو مبتدأ أبيات كان عملها عند عبوره على بُصْرَى :

أيا بَصَرى لا تنظرنَّ إلى بُصْرَى ... فإنى أرى الأحبابَ فى بلدة أُخْرَى
وما بلدةٌ لم يســكنوها ببلدةٍ ... ولو أنها بين السِّماكين والشِّعْرَى
وما القفرُ بالبيــداء قفرٌ وإنمـا ... أرى كلَّ دار لم يكونوا بها قفرا
تذكرتُ أحبابى وإنى لمؤمنٌ ... ولـكن أرانى ليس تنفعنى الذكرى
١٠ لقد ضرَّنى البين المُشِتُّ ومَزَّنى[3] ... فيالكَ بيناً ما أضرَّ وما أضْرَى
أأهبطُ من مصرٍ وقدما قد اشتهى ... على الله أقوامٌ فقال أهبطوا مِصْراً
وكم لى بها دينارُ وجهٍ تركتُــهُ ... وراثى أفعينى [بعده[4]] تشتكى الفقرا
فوالله ماأشرى الشــآمَ ومُلْــكَهُ ... وغوطتَهُ الخضرا بشِبْرَيْنِ من شُـبْرا
فإن عدتُ والأيامُ عُوجٌ رواجعٌ ... لقد أنشأتْنى قبلَها النشأةَ الأخْرى

١٥ وقال :

يا عاطلَ الجيــد إلا من محاسِنِهِ ... عَطَّلْتُ فيكَ الحشا إلا مِن الحَزَنِ
فى سلكِ جسمىَ دُرُّ الدمع منتظمٌ ... فهل لجيدكَ فى عِقْــدٍ بلا ثمن
لا تخشَ منى فإنى كالنسيمِ ضَنًا ... وما النســيمُ بمخشىٍّ على غُصُنِ

(١) عدن : جنة عدن .
(٢) بصرى : من أعمال دمشق وهى فى كورة حوران .
(٣) مز : من شرب المز ، وهو الحامض .
(٤) زيادة من ت ، وقد سقطت فى الأصل .

وقال :

ظبيٌ بمصرَ[1] نسيتُ منــــه عناقَ غزلانِ العراقِ
ورشفتُ راحَ رُضَابِهِ لــكنَّه حلوُ المَذاقِ
فإذا أتانىْ عاطــلاً حلَّيْتُه لى دُرَرُ المآقى
وإذا تأطَّــرَ قدُّهُ فأنا المثقَّفُ بالعناق
يا حســـــنَ أيامى به لو أنَّ أيامى بَوَاقى
بالله يا قمـــرَ الورى مَن خصَّ خَصرَكَ بالمحاق
وعلامَ يَغلُظُ سِلْكُ خُلْـــقِكَ معْ حواشيك الرقاق
كم يعذلون على أخلا عى فى وصالك[2] وانهراقى[3]
ودواه ما تصـبو إليْـــهِ النفسُ تعجيلُ الطلاق[4]

وقال :

كم لنا من خُلَسٍ فى الغَلَسِ خُلَسٌ تمَّتْ برغم الحــرَسِ
نلتُ فيها عَسَلاً من لَعَسٍ[5] آه واشــوقى لذاك اللعس
قد تنفستُ فهل عنـــدكمُ أنَّ نَفْسى خرَجَتْ من نَفَسى

وقال فى بستانه :

يا أيهـا البستانُ إنْ حصَّلْتَ لى من صرتُ محمودًا بكاس مِكاسه[6]

(١) هكذا فى ت وفى الأصل : من الترك ولا يستقيم معها الشعر .
(٢) هكذا فى ت وفى الأصل : وصال .
(٣) الانهراق : من هرق الماء إذا صبَّه .
(٤) فى ت : الفراق .
(٥) اللعس : السواد فى الشفة .
(٦) المكاس : التشاحّ فى البيع .

/ لأحلّينّكَ من بهـــاء جبينه ولأخلعَنَّ عليك من أنفاســه [٤٦ ظ]

وقال فى الخمر :

عروسكمُ يا أيها الشَّرْبُ طالقٌ وإن فتنَتْ من حسنها كلَّ مجتلى
دفعتُ لها عقلى ودينى مقدمًا فقالت وجنّاتُ النعيمِ مُؤَجَّلى

وقال فى جارية فى خدها ماسور[1] :

بنفسى فتاةٌ يكتبُ الغصنُ إنْ مَشَتْ إلى قدِّها الياس : من عبـد عبدها
ولى جَسَدٌ ما زال مأســورَ صدها إلى أن حكى فى السقم ماسورَ خدِّها
أشبِّهُ ذاك الخدَّ منهـــا بجمرة وشابورة للماســـور طابَعُ نَدِّها

وقال يمدح الأجل الفاضل ويشكره على عيادته له فى مرضه :

١٠ رأيتُ طَرْفَكَ يوم البين حين همى[2] والدمع ثغرًا وتكحيلَ الجفون لمى
فاكففْ ملامك عنى حين ألثمــه فما تشككتُ أنى قد رأيتُ[3] فما
لو كان يعــلمُ مَنْ على بقسوته تألَّمَ القلبِ من وخــزِ الملام لَمَا
رنا إلىَّ فقال الحاســدون رنا وما أقول رنا لــكنْ أقــولُ رمى
رمى فأصمى ولو لم يرمِ متُّ هوى أما ترونَ نحــولى فى هواه أما
١٥ وبات يحمى جفونى من طروقِ كَرًى ولم أرَ الظبى منسوبًا إليـــه حِمَى
وصاد طائرَ قلــبى يومَ ودَّعنى يا كعبةَ الحسن مُذْ أحلَلْتِهِ حَرَمًا
يا كعبــةً ظلَّ فيها خالُها حجرًا كم ذا أطوفُ ولا ألقاه مُستَلما
مذ شفَّ جسمىَ من نار الغرامِ ضَنًا لاح الشعاعُ على خـديه مُضْطَرِمَا

(١) المـاسور : يظهر أنه ندبة .
(٢) هكذا فى ت و ج وفى الأصل : حمى .
(٣) هكذا فى الأصل وفى ت و ج : لثمت

وشفَّ كأسُ فَمٍ منــــه لرقّتِهِ فلاح فيه حبابُ الثغـــــر منتظما
يا كسرةَ الجفن لِمْ أسْمَوْكِ كسرته وجيشُــــهُ بك للأرواحِ قد غنما
وكم[1] أغَرْتِ على الأرواح ناهبةً إن كان ذالك عن جُرْمٍ فلا جَرَمَا
مولاكِ فاق ملاحَ الخلق قاطبـــةً فهو الأميرُ وقد أضحَـوْا له حَشَما
أقولُ والريحُ قد شالت ذؤابتــهُ أصبحتَ فيهم أميرًا أم[2] لم علما ٥
شــكرتُ طيفك فى إغبابِ زورته لأن مثــلىَ لايستسمنُ الوَرَما
ولستُ أطلبُ منـــه رِفْدَهُ أبدًا لأنَّ ذا الحِـلْمِ لا يسترفد الحُلُمَا
لـكنَّ عهدًا قديمًا منـكَ أطلبه وربما نُسِيَ العهــدُ الذى قَدُمَا
وازداد حبُّــك أضعافًا مضاعفةً وربما صَغُرَ الشىء الذى عظما
ولستُ أنـكرُ لا رَيْبًا ولا تُهَمًا من يعرفِ الحب لا يستنكرِ التُّهَمَا ١٠
ولستُ أتبعُ حـــبى باللام كما لا يُتبــعُ ابنُ علىّ برَّهُ ندما
ذاك الأجلُّ الذى تلقى منــــازِله فوق السماء وتلـقى دارَه أَمَمَا[3]
أغنى وأقنى وأعطى سُؤْلَ ســائله وأوجدَ الجود لما أعدم العَـدَمَا
وقصَّرَ البحرُ عنــه فهْوَ مكتئبٌ أما تَراه بكفَّىْ موجِــهِ ٱلتَطَمَا
وولَّتِ السحبُ إذْ جارتْهُ باكيةً أما ترى الدمعَ من أجفانها انْسَجَمَا ١٥
ولو رأى ابنُ[4] أبى سُلْمى مواهبَهُ رأى جَدًا هَرِمٍ مثلَ أسمــه هَرِما
ولو أعارَ شمامًا[5] من خلائقه حِلْمًا[6] لأبصرت فى عرنينــه شمما

(١) فى ت : ولِمْ . (٢) فى ت : بل .

(٣) الأمم : القريب الذى يؤم ويقصد .

(٤) ابن أبى سلمى : زهير الشاعر الجاهلى المشهور ، وهرم هو هرم بن سنان الذبيانى المرى الذى خصه بمدائحه .

(٥) شمام : جبل فى الجزيرة العربية يكثر الشعراء من ذكره فى أشعارهم .

(٦) فى الأصل : علماً .

ومذ رأيتُ نفاذًا فى يراعته رأيتُ بالرمح من أخبارها صمما[1]
إذا امتطى القلمُ العالى أناملَهُ حلَّى الطروس وجلَّى الظُّلْمَ والظُّلَمَا
قضى له الله مذ أجرى له قلمًا بالسَّعْدِ منه وقد أجرى به القلما
ذات العماد يَمينٌ قد حوت قلمًا هو العماد لمُلْكٍ قد حوى إرَمَا[2]
٥ يُريكَ فى الطرس زُهْرَ[3] الأفقِ زاهرةً وقد ترى فيه زَهْرَ الروضِ مبتسما
ويرقمُ الوشىَ فيه من كتابته وما سمعنا سواه أرقمًا[4] رقما
سطورُهُ ومعانيه وما استترتْ هُنَّ الستورُ وهذى خَلْفَهُنَّ دُمًى[5]
تبرَّجَتْ وهى أبكارٌ ومن عجبٍ أن التخفُّرَ من أمثالها ذُمِما
فخرًا لدهرٍ غدا عبدُ الرحيم به بالأمرِ والنهى يبدى الحكم[6] والحِكَما
١٠ أسمى الورى وهو أسناهم يدًا وندىً وأوسع الناس صدراً كلما سَمَا
وأعرَقُ[7] الخلقِ فى استيجاب[8] رتبته وأقدمُ الناس فى استحقاقها قدما
كساه ربُّكَ نورًا من جلالته يَلقى العدوَّ فيكسو ناظرَيْه عمَى
يلوحُ فى الصدرِ منه البدرُ حين سما والغيثُ حين همى والبحرُ حين طما
يُغضى حياء ويُغضَى من مهابته فما يُكَلَّمُ إجلالاً إذا ابتسما

(١) هو من وصفهم الرمح بأنه أصم ، وهو الصلب .

(٢) يشير إلى قصة عاد والبلدة التى كانت تنزل فيها أو الجبال على نحو ما جاء فى القرآن الكريم إذ يقول جل وعز : « ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد » .

(٣) زهر الأفق : النجوم . (٤) الأرقم : الثعبان والحية .

(٥) هكذا الشطر فى ت و ج وفى الأصل هكذا : بين السطور وهذى خلفهن دمى .

(٦) هكذا فى ت وفى الأصل : الحلم .

(٧) هكذا فى ت وفى الأصل : وأعرف .

(٨) الشطر فى ت : وأعرق الناس حقا فى رياسته .

هذا البيت تضمين[١] :

لما عَلِقْتُ بحبلٍ من عنايتــه صالحت دهرى ولم أذْمُمْ له ذِمَما
وحين طالع طرفى سعدَ طلعتِهِ رأيتُ نجمىَ فى أفْقِ العُـلا نَجَما
وكان قدمًا ذوو الأقدارِ لى خَدَمًا فصرت منه أرى الأقدارَ لى خدما
ياأيها الفاضلُ الصدِّيقُ منطقُهُ إنى عتيقك والمقصودُ قد فُهِمَا ٥
أعـدْتَ للعبدِ لما جئتَ عائدَهُ روحًا وأهلكتَ من حساده أُمَما
[٤٧ و] تركتهمْ لىَ حُسَّادًا على سَقَمى / وكم تمنَّوْا لىَ الأدواء والسَّقَما
نقلتَ شانى إليهمْ ثم قلتَ لهمْ لا تَسْلَمُوا إن هذا العبدَ قد سلما
تفضُّلٌ منكَ أعلى بينهمْ قِيَمى ومنــــةٌ منك أعْلَتْنِى لهمْ قِمَا
هبْ لى مِنَ القولِ ما أُثنى عليكَ به أوْ كُفَّ كَفَّكَ عن أنْ تُشْكِىَ الديما ١٠

ومنها :

شكرى لنعماك دينٌ لى أدينُ به والـكفرُ عندىَ أنْ لاأشكرَ النِّعَما

وقال :

إنه مالَ وملاَّ فأتى الطيفُ وسَلَّى
عاطلاً حتى لقد عا دَ من اللثم مُحَــلَّى ١٥
كنتُ فى تقبيلِ الطيـ ـفِ كنْ قبَّلَ ظِلَّا

وله من قصيدة :

عثرتُ ولـكنْ فى ذيولِ دموعى ونمتُ ولـكنْ عن لذيذ هجوعى
وكاد فؤادى أن يطيرَ صبابةً لقانصِــه لولا فِخاخُ ضلوعى

---

(١) يشير إلى أن البيت مقتبس من بيت الفرزدق المعروف :

يغضى حياء ويغضى من مهابته فما يكلم إلا حين يبتسم

وقال يهجو :

عبدٌ لعبـــــد الله أعرفه ما زال مسكُ صُنَانِهِ صَائِكْ
يخلو به قيودٌ من كَلَفٍ لو أنّهُ ... أستــه لائك
ولقــد يكونُ . . . بينهما والله يعــلمُ من هو . . .

٥ وقال :

أما وهواك لولا خوف سخطك لهان على محبك أمر رهطكْ
ملــكت الخافقين فتهت عجبا وليس هما سوى قلبى وقرطك

٥ — الأسعد أبو المكارم

*أسعد بن الخطير بن مهذب بن زكريا بن مماتى

١٠ أحد الـكتاب فى الديوان الفاضلى ، ذو الفضل الجلى ، والشعر العلىّ ، والنظم السوىّ ، والخاطر القوىّ ، والسحر المانوىّ[١] ، والروىّ الروىّ ، والقافية القافية أثر الحسن ، والقريحة المقترحة صورة اليُمْن ، والفكرة المستقيمة على جَدَد البراعة ، والفطنة المستمدة من مَدَد الصناعة . شابٌ للأدب رابٌ[٢] ، وعن الفضل ذابٌ ؛

(١) كان ناظراً الدواوين المصرية ، وأصله من نصارى أسيوط ، وكان آباؤه مكرمين فى الدولة الفاطمية ، وكانوا يعملون فى دواوينها ، ولما ولى أسـد الدين شيركوه الوزارة كان الخطير والده على ديوان الإقطاعات ، وكان لا يزال على دين المسيحية ، فصرفه أسد الدين عن الديوان فبادر هو وأولاده ، فأسلموا على يده ، فأقره أسد الدين ، ولما مات خلفه ابنه الأسعد على ديوان الجيش ، ثم أضيف إليه ديوان المال ، وحظى عند القاضى الفاضل، ولم يزل على ذلك حتى ولى العادل بن أيوب الديار المصرية ، واستوزر الصفى بن شكر ، وكان بينه وبين أسعد حقد أثناء رياسته عليه فى الديوان ، فأكثر عليه من المؤامرات والدسائس ، وطالبه بكثير من الأموال فاستتر ابن مماتى مدة ثم هرب إلى الشام ، ونزل حلب على ملـكها الظاهر بن صلاح الدين فأكرمه ، وما زال فى رعايته حتى توفى سنة ٦٠٦ هـ ، وعمره اثنتان وستون سنة . انظر ترجمته فى معجم الأدباء ٦/١٠٠ وابن خلـكان ١/٩٥ وتاريخ ابن كثير ١٣/٥٣ وحسن المحاضرة ١/٢٤٢ وشـذرات الذهب ٥/٢٠ ومسالك الأبصار الجزء الثانى عشر الورقة ٥٨ والمقرب نسخة الجامعـة العربية الورقة ١١٩ وخطط المقريزى طبع بولاق ٢/١٦٠ .

(١) المانوى : نسبة إلى مانى . (٢) راب : مالك

وهو من شملته العناية الفاضلية ، [و] حَسُنَتْ منه البديهةُ والرويّة .

اجتمعت به فى القاهرة وسايرنى فى العسكر الناصرى وأنشدنى من نظمه المعنوى ، ما ثنيت به خنصر الاستحسان ، وأذنت لجواده فى الإجراء فى هذا الميدان . وأثبتُ منه كلّ ما جلا وحلا ، وأشرق فى منار الإحسان وعَلاَ ، وراج فى سوق القَبُولِ وغَلاَ . فمن قوله يصف الخليج يوم فتحه[1] بالقاهرة :

خليجٌ كالحسام له صِقَالٌ ولكن فيه للرائى مَسَرَّهْ
وأيت به المِلاحَ[2] تجيدُ عوماً كأنهمُ نجومُ فى المجرَّهْ

وقوله فى غلام نحوى :

وأهيفٍ أحدثَ لى نحوُهُ تعجباً يُعْرِبُ عن ظَرْفِهِ
علامةُ التأنيثِ فى لفظه وأَحْرُفُ العلة فى طَرْفِهِ

وقوله فى غلام خياط :

وخَيَّاطٍ نظرتُ إليه مفتوناً بنظرتهِ
أسيل الخدِّ أحمره بقلبى ما بوجنته
وقد أمسيتُ ذا سَقَمٍ كأنى خيط إبرته
وأحسدُ منه ذاك الخيطَ فازَ برِىِّ رِيقتِهِ

قال : هذا البيت الأخير للسديد أبى القاسم[3] الكاتب . ولابن مماتى هذا فى قصيدة عملها هذا السديد لاميةٌ مفيدة أوردتها فى شعره :

تبكى قوافى الشعر لاميةً بَيَّضْتَهَا من حيث سَوَّدْتَها
لما علا وسواسُ ألفاظها ظننتَها جُنَّتْ فقيدْتَها

(١) هذا ما يسمى فى كتب التاريخ باسم كسر الخليج .
(٢) فى نسخة المغرب : الصغار .
(٣) هو عبد الرحمن بن هبة الله بن رفاعة الذى تقدمت ترجمته .

وقال :

أراكمُ كحباب الكأسِ منتظمًا فما أرى جمعكم إلا على قدَح

وقال :

لقد مرَّ لى فى مصرَ يومٌ وليلةٌ هما فى مُحَيّا الدهرِ كالسِّحْر فى الطَّرْفِ
٥ وما فيهما والله عيبٌ وإنما تولاهما مُحِبٌّ فذابا من الظَّرْف

وقال :

ماصرت أجسرُ أن أبكى لفرقتهمْ لأنهم زعموا أن البكا فرَجُ

وقال :

أحبابَنا والذى يقضى بألفتِنا بعد الفراقِ ويُخْلينا من الفرَق
١٠ مازلتُ أخبط فى عشواء مظلمةٍ من بعدكمْ وأبيعُ النومَ بالأرق
حتى ثويتُ بنارِ الشوق فى حُرَقٍ وصرت أشرفُ من دمعى على الغرَقِ
فتعودنى ولو ليلاً بطيفكمُ مادمتُ أقدرُ من روحى على رَمَقِ

وقال فى ذم العذار :

إذا طلع العذارُ فقد فقدنا لذاذةَ عيشنا الأَرِجِ البهيج
١٥ لأنَّ الغصنَ لايخضرُّ حتى يصيرَ بأصله مثلُ الوشيج[1]

وقال يصف البق :

تكاد بقرصِ البقِّ تتلفُ مهجتى إذا لم أجِدْ من ثوب جلدى التخلُّصَا
/ ومن أعجب الأشياء فى البقِّ أنها على الجسم سُمّاقٌ[2] وتُنبِتُ حِمَّصَا [٤٧ ظ]

(١) الوشيج : جمع وشيجة وهى عرق الشجرة والليف على جرثومتها .
(٢) السماق : ثمر .

ونظمتنى وإياه سفرة فى خدمة الملك الناصر إلى ثغرى دمياط والإسكندرية فوصلنا إلى تُرَعٍ وخلجان ومَخَاضاتٍ وغُدْرَانٍ فقال بديهًا :

لو أطلق الدمعَ مشتاقٌ ومدَّ كَرًى لمن يحب لأشْفَيْنا على الغرَقِ
لكنا هذه الخلجانُ مُتْأَقَةٌ[1] لأنها رَشْحُ ما يَنْضى من الحَدَقِ

وأنشدنى لنفسه أيضاً قوله وقد ألم بذم العذار :

يا عاذلى ، جلُّ نارى من خدِّه الجلّنارى[2]
وريقه كشرابٍ معتَّقٍ ذى شرار
ولحظه فىَّ أمضى من الحِرَابِ الحِرَار[3]
كالريم ريمَ لصيدٍ فصارَ حِلْفَ حِذَارِ
يهوى الدنانير لما تشابهتْ بالبهار[4]
وإن رأى قلبَ صبٍّ رعاه رعى العَرَار[5]
وليس ربُّ عذارٍ يطولُ فيه اعتذارى
إن[6] الغرام صَغَارٌ مالم يكن بالصِّغَار

ومنها فى المدح :

له يسارٌ[7] يمين إزاء يُمْنٍ يسارِ

وقال فى وصف مخدَّة فى بيت ابن سناء الملك :

وسادةٍ لَمَحَتْ عينى بدارهمُ وِسَادةً رُقِمَتْ أمنًا من الأرَقِ

(١) متأقة : ممتلئة .
(٢) الجلنار : زهر الرمان .
(٣) الحرار : الصلبة ، والمختارة .
(٤) البهار : نبت طيب الرائحة
(٥) العرار : نبت صحراوى رائحته حسنة .
(٦) فى الأصل : إذ .
(٧) اليسار : الغنى .

حكمُ السرور بها يقضى السكونَ لها كأنها عُوذَةٌ من جِنَّـةِ الفلق[١]
أَحْسِنْ بها روضةً ليس النسيم بها ولا المياهُ سوى الأنفاسِ والعَرَقِ
يحيا بناظرها[٢] إنسانُ ناظرها ففى حديقتها مَنٌّ عَلَى الحدق
لولم تكن سَرَقَتْ من وجه مالكها محاسنًا ظهرت ، لمْ تُدْعَ بالسَّرَق[٣]

٥ وقال مما كتبه إلى السديد علم الرؤساء أبى القاسم ، وكان قد اقتضى منه ديوان رسائله ، فاعتذر إليه بالخوف من نقله :

إن قلبى من شقة البين يخشى وفؤادى من شِقْوَة البين يَخْشَعْ
ومقامى يقضى بطولِ سقامى إذْ لحاظى من قبلِ تطمحُ تَطْمَعْ
وعُدُوِّى فيا يَسُرُّ عدوّى ويُرِيه من القِلَى ما توقَّعْ
١٠ ولقد عِيلَ فى الصبابة صبرى فإلى كم أسيرُ فى غير مَهْيَع[٤]
أنا صبٌّ بغادةٍ تشبه الطا ووس إذ كان حسنها يتنوّع
ذاتُ لفظ كأنه[٥] ثغرها الأشـنبُ لو أنّ دره يتجمـع
لى من عُجْبها رقيبٌ قريبٌ فهى [فى[٦]] كلِّ حالةٍ تتمنع
مَنَعَتْ طيفهـا الزيارةَ حتى صرتُ من منعها [له[٧]] لستُ أهجع
١٥ واستقلَّتْ دمعى غداةَ استقلَّتْ بجمالٍ فقلت لو كان ينفـع
هو منى دمٌ جرت معـه العيـنُ فقالوا دمعٌ لأنىَ أجزع
ثم وَلَّت[٨] سُقْمًا علىّ وولَّت وفؤادى مما تصدَّى تصدَّع

(١) الفلق : الصباح . (٢) الناظر هنا : الأكمة .
(٣) السرق : شقق الحرير الابيض أو الحرير عامة .
(٤) المهيع : الطريق الواضح .
(٥) فى الأصل : كأنها ، والأشنب : الثغر فيه رقة وبرد وعذوبة .
(٦) ساقطة من الأصل .
(٧) ساقطة من الأصل . (٨) ولت : سلطت .

قلت إلا وقفت يا شمسُ للصـــبِّ فقالت هيهات ما أنت يوشع[(١)]

وغرامى [بها[(٢)]] كفضل أبى القا سم فى كلِّ ســاعة يتفرَّع

كم أرانا الرياضَ فى لفظه النثـــر فخلنا دروجه[(٣)] تتوشـــع[(٤)]

وسقانا مُدامَ معنًى بديـعٍ فى قريضٍ مُصَرَّعٍ بل مرصَّع

فشكرنا لمـا سكرنا فلم يلـــو علينـــا لأنه قد ترَفَّع

ولثمنـــا التراب بين يديه وســـألناه حاجةً فتمنَّع

فلحى الله واشـــيًا وعذولاً وبغيضاً وكاذباً يتصـــنَّع

وإذا صار بالجفاء مُضــيعًا من عقودِ الولاء ما صانَ أجمع

فخطابُ العتاب بالـكافِ[(٥)] كافٍ لو تدانى أو كان يسمحُ يسمع

أنت يأيها الســـديد أبا القا سم فى بَذْلِكَ الندى لست تقنع

فلأىٍّ الأمور تبخـلُ باللفـــظِ على خادمٍ يناديك يخضع

وهو نورٌ يسعى أمامك كالصـــبح ونارٌ فى وجه ضِدِّك تَسْفَع

وحسامٌ مهنَّـــدٌ مُطلَق الحـــدِّ جُرازٌ[(٦)] متى تُجَرِّدْهُ يقطع

لم يزل ثابتاً على الود جَلْدًا وخطيبًا بشكر فضلك مِصْقع

وهو ممن إذا عراه مُلِمٌّ ماله غير حسنِ رأيك مَفْزَع

أتوهَّمْتَهُ يُغِـــيرُ على لفـ ـظك مع أنَّ غيرَهُ منه أوسع

وعلى أنه وحقِّـكَ لم يرْ ض بما لم يكن له يَتَشَبَّع

وعصيتَ الودادَ فى طاعة العذ ل ولم تُلْفِ عنده قط مطمع

---

(١) يوشع : صاحب موسى عليهما السلام ، وفى الأثر أن الشمس تأخرت عن مغيبها له .

(٢) ساقطة من الأصل .

(٣) فى الأصل : درجة ، والدروج : جمع درج وهو الذى يكتب فيه .

(٤) تتوشع : من توشعت الأشجار أى أزهرت .

(٥) الـكاف : يريد خطابه بالإفراد لا بالجمع .

(٦) جراز : قاطع .

فإذا كنتَ قد وصلتَ لهذا وهو مما يصيِّرُ القلبَ بلقع
لا تكنْ للعدا نصالَ سهامٍ مصمياتٍ فليس فى القوسِ منزع
وتفضَّلْ بسترِ ما ساقه الوزْ نُ بهذى القصيدِ بالخيرَ أروع
فهْىَ قد قُيِّدَتْ لتثبت فى الطرْ سِ لئلا تسيرَ من قبلِ تسمع
٥ ولو أنَّ العتابَ أُطلِق فيها لغدَتْ أجْبُلُ القُوَى تتصدع
/ وعلى كل حالةٍ فأنا العبـ ـدُ الذى مَلْكُ حسنه فيه يشفع [٤٨ و]

ونزلنا ببركة الجب لقصد فرض الجهاد، وعرض الأجناد، فكتب الأسعد ابن مماتى إلىّ أبياتاً فى الملك الناصر، وتعرّض للشطرنج فإنه كان يشتغل به فى ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين :

١٠ يا كريمَ الخِيمِ(١) فى الخِيَمِ أهيفٌ كالرِئْمِ(٢) ذو شمم
عَجَبى للشمس إذ طلعتْ منه فى داجٍ من الظُلَمِ
كيف لا تُصْمِى لواحظه ورماةُ الطرف فى العجم(٣)
لا تصِدْ قلبَ المحب لكم ما يحلُّ الصيدُ فى الحَرَم
يا صلاحَ الدين يا ملكاً مذ براهُ الله للأُمَم
١٥ أضحتِ الكفارُ فى نِقَمٍ وغدا الإسلامُ فى نِعَمِ
إن يكُ الشِّطْرِنْج مشغلةً للعلىِّ القدْرِ والهمم
فهْىَ فى ناديك تذكرةٌ لأمورِ الحرب والكرم
فلكم ضاعفتَ عِدَّتَها بالعطاء الجمِّ لا القلم
ونصبت الحرب نصبتها فانثنتْ كفَّاك بالقمم
٢٠ فابقَ للإسلام ترفَعُهُ وَأْمُرِ الأقدارَ كالخدم

(١) الخيم : الخلق والشيمة . (٢) الرئم : الظبية الخالصة البياض .
(٣) يشير إلى مهارة العجم فى رمى السهام .

وقال فى الملك الناصر :

إن كنتَ تنكر ما أقولُ فالسهدُ يشهدُ والنحولُ
وهما لديك من العذو لِ فكيف يمكنك العدول
يا صعدةً[1] أنفاسيَ الصُّ عَداءُ منها والذبولُ
ومهنداً فى القلب منه على محبته فلولُ ٥
إن كثَّرَ الواشون فيـ ـك فقد تجنَّبكَ العذول
ولئن بخلتَ بريقِ فيـ ـك ففى شمائله الشَّمول[2]
أو صرت معتزلىّ فإنَّـ ـ الفكرَ يُعجبه الحلولُ[3]
إنَّ[4] الغزالةَ كالغزا ل وكالنفورِ هو الأفول
فإلامَ لا يَشْفِى الغليـ ـلَ بزورةٍ منك العليل ١٠
والصبرُ أقصر ما يكو ن إذا الصدودُ بدا يطول
كم حِيلَ بين تجلُّدى والقلب إذ حضر الرحيل
وهَمَتْ جفونى بالنجيـ ـع كأنما طرفى قتيل
فاعجب لدمعٍ كيف يظـ ـهر والنفوس به تسيل
يا قاضياً بهواه فىَّ وذلك الدَّلُّ الدليل ١٥
فيك الجمالُ كما مليـ ـكُ زماننا فيه الجميل
الناصرُ الملك الرءو فُ الأروعُ الوَرِعُ المُنيلُ
مَلِكٌ إذا عَصَتِ الحصو نُ سواه كان له الحصول

(١) الصعدة : القناة المستوية لا تحتاج إلى تثقيف .
(٢) الشمول : الخمر .
(٣) مذهب بعض غلاة الشيعة وبعض الصوفية إذ يعتقدون أن الله يحل فى الأشياء أم الأشخاص
(٤) الشطر فى الأصل هكذا : أم الغزالة لا الغزال .

حَسْبُ العساكِرِ والعِدَا ... أنّ النَّصولَ به تَصُولُ

ويمينُه سِلْمًا تجو ... دُ كما غدت حَزْمًا تجول

طالت فروعُ الحمد فيـ ... ـه كما زكَتْ منه الأصول

راياته تحـكى الأصـ ... ـيلَ[1] فرأيه الرأْىُ الأصيل

حيث الخيولُ على الوعو[2] ... رِ كأنّها[3] فيها الوعول[4]

أمَّا وقد قصـدَ الغزاةَ ... وحنَّتِ القربَ[5] النصول

وبكت به أمُّ الصليـ ... ـبِ وشدوُ صارمه الصليلُ

وبدت له أرض الشآ ... مِ تهونُ إذ كانت تهول

فلسوف[6] يفتحُ قُفْلَهَا ... من قبلِ أنْ يقع القُفُول

ويعيد ما [فَضَّ[7] العِدَا] ... بكراً تزف لها الفحول

يا أيهـا الملك الجليُّ الأَمْرِ ... والملكُ الجليـل

كم مِنَّـةٍ لك تستطيـ ... ـرُ[8] ومُنة بك تستطيل

ولـكم صفحتَ عن الغَرو[9] ... رِ وقد تبطَّنَهُ الغـلول

وسرت عطاياك الجسـا ... مُ فـلا تجورُ ولا تحول

وملـكت ألبـابَ الأنا ... مِ كأنك السيفُ الصقيل

أو لا فإنك جوهرٌ ... فى الخلق والعَرَضُ العقول

أنت المُقِيلُ من الخطو ... ب وظلُّ دولتك المَقِيل[10]

---

(١) الأصيل : يشبه راياته بلون الأصيل .

(٢) فى الأصل : الوعود ، والوعور : جمع وعر وهو ضد السهل .

(٣) فى الأصل : فيه . (٤) الوعول : جمع وعل وهو تيس الجبل ، والـكماة الشجعان .

(٥) أغماد السيوف .

(٦) فى الأصل : ولسوف ، وواضح أن البيت جواب أما .

(٧) ساقطة فى الأصل ووضعناها ملائمة لسياق البيت .

(٨) تستطير : تنتشر . (٩) يريد بالغرور : العدو شبهه بالشيطان .

(١٠) المقيل : من القائلة أو القيلولة وهى نصف النهار ، والمقيل بضم الميم : المعق .

وأنا الفقـــيرُ إلى ندا ك ومن بوارقه السيول
ولقـــد أضرَّنِىَ الجمو دُ كما أضرَّ بىَ الخمول

وقال على لسان إنسان فى حاسد ، أعان عليه ، ثم توجّع له :

لا تُصِخْ للحسود فى ندبه النع مةَ مَعْ كَوْنِهِ المجولَ[1] إليها
فهو مثلُ السحابِ إذ يستُرُ الشم سَ عن العينِ ثم يبكى عليها ٥

ومن نَوْر نثره البديع ، ونُور فجره الصديع ، وغرر درره النصيعة[2] ، ودرارى غرره الصنيعة ، ما تُحْذَى له بهائم التمائم ، وتحدى به كرائم المكارم ، ويربع الحسن فى روضه ، وتكرع الحسناء فى حوضه ، وتغتبط الآداب بدابه ، وترتبط الألباب ببابه ، من مكاتبة :

١٠ فصلت عنه فى أخريات النهار ، وقد ظهر فى أطراف الجدران لَفَرَقَ فراق الشمس اصفرار ، فلما ذَهَبَ ذهبُ الأصيلِ بنار الشَّفَق ، ولبست المشارقُ السوادَ لما تمَّ فى المغارب على الشمس من الغرق ، وأقبلت مواكب الكواكب فى طلب الثار ، كدراهم النثار[3] ، وتشابهت زواهرها وإن اختلفت فى الأشجان بالأزهار فى الأشجار ، وتكلف القمر الموافقةَ فظهر على وجهه الكلفُ ، ومرّت به طوالع النجوم فلم يستخبرها حسدًا فأعرب عن غدر الخلف بالسلف ، وظهر ١٥ الوجوم فى وجوه / النجوم ، وعيل صبر النسرين[4] فواحد طائرٌ يحوم ، وآخر [٤٨ ظ] واقع لا يقوم ، ولم تزل متلاحقةً متسابقةً لتقفو الأثر وتسمع الخبر ، إلى أن بدا سوسن الفجر ولاح ، وابتسم ثغر الصباح عن الأقاح ، وكاد ثعلبُه يأكلُ عنقودَ الثريا ، وبرزت الغزالة من أسِّ الكناس طلقةَ المحيا ، وتراءت الوجوه ،

(١) فى المترب : المشوق (٢) النصيعة : الناصعة .
(٣) دراهم النثار : الدراهم التى ينثرها الأمراء على من يقصدون أبوابهم فيكبون عليها يلتقطونها .
(٤) النسران : نجمان أحدهما يسمى النسر الطائر والثانى يسمى النسر الواقع .

وزال ما زال بغيتها من المكروه ، وأخذت النجوم بالحظ من الطرب ، بمقدار ما قدمته من الحض فى الطلب ، وانخرطت فى سلوك شعاعها نظامًا ، وزاد خوفها [منها[1]] على رجائها فيها فذابت إكباراً [لها[2]] وإعظاماً .

ومن صدر مكاتبة :

لم يزل العبد لِمَا عَرَضَ من إعراض المجلس — لا زالت أوامره نافذه ، والآمال بكعبة كرمه لائذة ، ويده العالية بزمام الزمان آخذة ، وكتبه الكرائم لعزائم كتائب الإسلام شاحذة — وَحَدَثَ من هجره له ، وظهر من قلة احتفاله به ، وخاض فيه للمعارف من تغيُّره عليه ، وتناقلَه الوشاة من أمر صدَّه عنه ، وتقارضَه الشامت من سوء رأيه فيه ، ذا زَفرات سوام تتضرَّم ، وعبرات [هوا م] تتصرَّم ، وعبارات عن بسط عذره تعثر بالكلام عِيًّا فيتذمَّ[3] بالصمت عن أن يتحرر ويتحرَّم[4] ، وأفكار تتنزه عن إساءة الظن بعودته فما يتكدر[5] حتى يتكرم ، فكم تناول القلب جلده فَجَلَدَهُ[6] بالقلق لما تجاوز حدَّه[7] وحَدَّه ، وأجرى من سوابق دموعه عسكراً لجرى فشقَّ خَدَّهُ وخدَّه[8] ، وأوجده السبيل إلى أن أبدى صحيفة وجه صبره مسودَّه ، وتمنى لو كان الموت قبل إخلافه وَعْدَهُ و إخلاقه[9] وُدَّهُ ووَدَّه[10] ، حتى جنى وَرْد ورود كتابه الكريم من انتظام شوك انتظاره ، ورفع ناظره بقدومه عليه على كافة أمثاله وأنظاره ، فعلم أن عَلَمَ للودة قد رُفع ، وموصولَ حبل الجَفْوَةِ قد قُطِعَ ، وكاد القلبُ يخرج لمصافحته لو استطاع نفاذاً ، واجتمعت فيه أمانى النفس فاتخذته دون جميع اللاذ ملاذا ، وتناوله بيد الإجلال ، وقصّه

(١) زيادة من المغرب . (٢) زيادة من المغرب .
(٣) يتذمم : يستنكف . (٤) يتحرم : يتذمم من الحرمة ، أو يجده حراما .
(٥) فى الأصل : يتكرر . (٦) فى الأصل : مجلدة .
(٧) فى الأصل : جده ، وهى بمعنى غايته والتالية من الحد وهو إيقاع الجزاء على الجانى
(٨) خده : شقه . (٩) إخلاقه : من الخلق أى البالى أى جعله لوده باليا .
(١٠) وده : من الود معطوف على تمنى .

بيد الإدلال ، الذى أباحَ له الإخلادَ إلى الإحلال ، فوجده منظومًا على خطٍّ كالـكئوس المرصعة ، لا لاح مِدَادُه مُدَاماً ونَقْطُه حَبَبًا ، وألفاظٍ تبيح للمناظر طلباً ، وتتيح للخواطر طرباً ، ومعانٍ ما حلَّتْ فى ميدان البيان حتى جلَّتْ فَحَسْبُ الأفكارِ بها حَسَبًا ، وتعريضات لو كان التصريح فضةً لـكانت ذهباً ، أو كان شرراً لـكانت لهباً ، ومنن ما لاحت سحائبها حتى وكَفَت ، وأياد ما استكفت فواضلها حتى عمت وكفت[1] ، فرفع إلى السماء يديه وهى قِبلةُ الدعاء ، وعفَّرَ فى الأرض خديه وهو جهدُ الضعفاء .

وله من فصول جواب مكاتبة إلى صديق له سافر إلى الشام :

إلامَ يصيرُ القلب للخطب مِنبَرَا	ويصبر للجُلَّى وإن كان مُنْبَرَا ؟[2]
وكيف يُلامُ الصبُّ فى صبِّ دمعه	عقيقاً على مصفرِّ خديه أحمرا ؟
وَقَدْ وَقَدَ البَرْحُ المبرِّحُ فى الحشا	فراع دخانُ الوجد فى الوجه منظرا
وزادت دواعى الشوقِ إذ زالت القُوَى	فأصبح معروفُ التجلُّدِ منكرا
فلو شامَ طَرْفُ الشامِ برقَ تنفسى	لتذكار مَنْ فيه إذنْ لتَفَطَّرا
على أنَّ من أمسى رفيقَ تفـــرق	ومن قَصَّدَ[3] الأشعارَ فى الشوق قَصَّرا

وبعد فما ضاق الصدرُ ، وضاع الصبرُ ، وضَعُفَ الجلدُ ، وتضاعفَ الـكمد ، وادلهمَّ ليلُ الهمِّ بفراق الحضرة السامية حتى طلع بدرُ كتابها فاهتـدتْ ضوالُّ الأفكارِ الشاردة ، ولمع شهاب خطابها فاحترقت شياطينُ الظنون المـاردة ، ولله الحمد على ما أعرب عنه من سلامة ركابها ، والرغبة فى تقوية أسباب استتباب نعمتها وتعجيل إيابها ، وأن يكون ذلك بحسب ما تورثه وتقرره ، بتلك الأعمال من الأعمال الصالحة وتؤثره .

(١) كفت : من الـكفاية ، ووكفت الأولى أى أمطرت .

(٢) منبرى : من البرى وهو النحت والهزال .

(٣) فى الأصل : قصر .

ومنها :

وإن الكتبَ الكريمةَ الواردةَ إلى القاضى الرشيد ما فاحتْ أزاهيرُها حتى لاحت زواهرها ، ولا تأرَّجَ نَوْرها حتى تبلّج نُورها ، ولا فُتِنَت بها الخاصة ، حتى جُنَّت[1] العامة ، فكم نثرت من عقود عقولٍ كانت / متسقة النظام ، وحقرت [٤٩ و] من منقول مقول كان ملحوظا بالإعظام ، وعلى الجملة فلم يبق أحدٌ من الفقهاء والحكام ، وأرباب السيوف والأقلام ، حتى استشرف لرؤيتها وتشرّف لروايتها .

وأنشدنى لنفسه من قصيدة :

كيف واصلتَ قطعَ رشفِ رُضابهْ   وبدا السخطُ منك بعد الرِّضَى به
وهجرتَ المنام كى يرجعَ الطيـفُ لئلا ترقَّ عنـد عتابه
١٠ لتوخّيْتَ أنْ ترى صورةَ الصـبر عليه من قبلِ حينِ ذهابه
ولعمرى لقـد أسأتَ به الظـنَّ فعُذِّبْتَ باجتنابِ عـذابه

وقال فى رافضىٍّ متهم الخلوة :

اختصرْ واقتصرْ على هُزْئك النا   سَ ولا تدّعى الحِجَى والكتابهْ
واحتسبْ وانتصبْ لضرب نِعالٍ   دامغاتٍ من أجل سبٍّ الصحابه
١٥ واقتصدْ فى البغاء يا بن فعـالٍ   وتوقَّ انتصابه والتهـابه
فهو داءٌ — كما تقولُ — ولكن   أنت صَبٌّ برشف تلك الصُّبَابه

وقال فى مدح الأجل الفاضل من قصيدة :

لا تلم فى اضطرابنا[2] لاحمرارهْ   جُلُّ نار القـلوب من جُلّناره
وهو حـدٌّ[3] يكاد يُقْبَضُ منه   كل طَرْف لولا اعتـذارُ عِذاره

(١) فى الأصل : جنت .   (٢) فى الأصل : اضطرارنا .
(٣) الحد : الجلد وما يوجب الجلد ، ومنه حدود الشرع .

مارأى منكرًا رُضابَ مــدامٍ مذ روى طـرفُه حديثَ خُمارِه[1]
ليس فيــــه من راحةٍ لمريدٍ قبــلة تُطْفِئُ اضطرام اُضطرارِه
غير أن الحياء فيــه مُضَاهٍ للحَيَــا فى انهماله وانهماره
أوْجَدَا[2] الفاضلِ الذى أوجد الجو د فمن كفِّهِ انفجارُ بحــاره
ذلك الســيدُ المُشَيِّدُ للمجــدِ إلى أن أتى على إيشـاره ٥
من غدا الدهرُ باُسمــه باسمَ الزهرِ ضحوكا به بهارُ نهــاره
لم يطفنا من برِّهِ وردَ وعدٍ لم يَشِنْهُ انتظامُ شوكِ انتظاره

٦ — والده

الخطير[*] بن مماتى

لقيته بالقاهرة مستولىَ ديوان الملك الناصر — ديوان الجيش — فيه أديب . ١٠
كان هو وجماعته نصارى ، فأسلموا فى ابتداء الملك الصلاحى ، وحصلوا على الجاه[3] والحرمة الوافرة والعيش الرخى .

سايرته فى الطريق مرة فأنشدنى لنفسه هذا البيت فى وصف الخمر إذا صُبّت من الإبريق :

إذا أُنبِرَتْ من فم الإبريقِ تحسبها شهابَ ليلٍ رمى فى الكأس شيطانا ١٥

(١) الخمار : بقية السكر .
(٢) الجدا : الكرم والعطاء وهو معطوف على الحيا أى المطر .
(*) تقدم التعريف به أثناء الحديث عن ابنه أسعد وقد عرض ياقوت وابن خلكان فى ترجمة ابنه لشىء من أخباره وخاصة ياقوت فإنه عرض للأسرة والجد الأعلى مماتى الذى ينسب إليه أسعد ، وقال ابن خلكان إنه مماتى بفتح الأولى وتشديد الثانية ، وقال أيضا إن الخطير توفى عام ٥٧٧ هـ . وترجم له ابن سعيد فى المغرب قطعة الجامعة العربية الورقة ٢١٨ وقال إن بنى مماتى كانوا متعلقين بالعمل فى كتابة الخراج وانظر خطط المقريزى ٢/١٦٠ .
(٣) هكذا فى المغرب نقلا عن الخريدة وفى الأصل : بالجاه .

قال : ولأبى طاهر[١] بن مكنسة فى المعنى :

إبريقنا عاكفٌ على قدحٍ كأنه الأمُّ ترضــعُ الولدا
أو عابدٌ من بنى المجوس إذا توهَّمَ الكاسَ شــعلةً سَجَدَا

وأبو المليح[٢] ممدوح ابن مكنسة الذى يرثيــه بقوله (طويت سماء
٥ الــكرمات) جَدُّ ابن مماتى .

وأنشدنى الخطير لنفسه فى كتمان السر :

وأكتمُ السرَّ حتى عن إعادتِهِ[٣] إلى المسرِّ به عن غير نسيانِ
وذاكَ أنَّ لسـانى ليس يُعْلِمُهُ سمعى بسرَّ الذى قد كان ناجانى

وأنشدنى لنفسه من قصيدة ، وكتبه بخطه :

١٠ لم يَبْقَ من جسدى لفرطِ صبابتى إلا الأسى وتردُّدُ الأنفــاسِ
وأغنَّ[٤] معسولِ الثنايا أشنبٍ ألمى المراشفِ كالقضيب الآسِ[٥]
يتأَدُّ[٦] من هَيَفِ القوامِ كأنه غصنٌ يجاذبه كثيبُ دهاس[٧]
لولا توقُّدُ جمرِ نارِ خُدودِهِ فى نار وجنته حَسَـــاهُ حاسى
من خــده وعِذاره ورُضابهِ وردى وريحانى الجنىُّ وكاسى

١٥ وله :

يظلمنى العاذلونـ فى رشـإٍ إنْ قيـلَ كالشمس كان مظلوما

---

(١) فى الأصل : المكنسة وهو من شــعراء مصر أوائل القرن الخامس الهجرة وسيترجم له العماد .

(٢) هو مماتى وكان ابن مكنسة منقطعا إليه ، فلما مات رثاه بقصيدة طويلة يقول فيها :
طويت سماء المكرما ت وكورت شمس المديح
انظر فى ذلك ترجمة حفيده أسعد فى ابن خلــكان وياقوت .

(٣) فى المغرب : إذاعته . (٤) أغن : فى صوته غنة .

(٥) الآس : شجر . (٦) يتأد : يتثنى .

(٧) دهاس : الأرض السهلة ليست برمل ولا تراب .

مذ حلّ وسمُ الصليبِ فى يده   حلّ بقلبى هواهُ مرسوما

وله :

أعاذلتى إن الحديثَ شجونُ   مكانُ سُلَيْمَى فى الفؤادِ مكينُ
أأسمع عَذْلاً فى التى تملك الحشا   وأَتْبَعُهُ إنى إذنْ لخؤون

ومنها : ٥

هل العيشُ إلا قربُ دارِ أحبةٍ   هل الموتُ إلا أن يخف[1] قَطِين
وهل لفؤادى منذ شطَّ مزارها   من الوجدِ إلا زفرةٌ وأنين
أبيت رقيبَ النجمِ منها كأنما   عيونىَ لم يُخْلَقْ لهنّ جفون

ومنها :

كأنّ ظلامَ الليل إذ لاحَ بدرُه   دَجُوجِىٌّ[2] شَعْرٍ لاح منه جبينُ ١٠
كأنّ الثريا ترقُب البدر غَيْرَةً   فقد هجرتْ منها المنامَ عيون
كأن سهيلاً[3] فى مطالع أفقه   فؤادُ مَرُوعٍ خامرتْهُ ظنون
كأن السها[4] تبدو أواناً وتختفى   لدى الليل سرًّا فى حشاه مصونُ
وقد مالت الجوزاء[5] حتى كأنها   كمىٌّ بخطِّىِّ السماكِ[6] طعين

ومنها فى المخلص : ١٥

كأن صلاحَ الدين للشمس نورها   ولولاه ما كان الصباحُ يَبِين

---

(١) يخف : يتحمل ويسير ، والقطين : المقيم .
(٢) الدجوجى : شديد السواد والظلام .
(٣) سهيل : كوكب يرتعش وميضه فى رأى العين .
(٤) السها : نجم خفى .   (٥) الجوزاء : برج فى السماء .
(٦) السماك : كوكب نير .

وقال :

لو كانت الأمراض محمـولةً يحملها العبـدُ عن المَوْلَى
حملتُ عن جسمك كل الأذى / وكان جسمى بالضّنا أولى [٤٩ ظ]

وقال :

إلى الله أشكو نارَ شوقٍ كما شكا إلى الله فقدَ الوالدَيْنِ يتيمُ
رحلتم فسار القلبُ أنَّى رحلتمُ ولكنَّ وجدى ثابتٌ ومقيمُ
ولمّا بكتْ عينى دماء لفقدكمْ تيقنتُ أن القلبَ فيه كلومُ

وقال فى العذار :

وشادنٍ[1] لما بدا مقبلاً سبحْتُ ربَّ العرش باريهِ
ومذ رأيتُ النملَ فى خدّهِ أيقنتُ أنّ الشّهْدَ فى فيه

وقال :

يا ربَّ خَوْدٍ زرتُها فى الليل بعد هُجودِها[2]
فاجأتها فتباهتْ فلزمت ضمَّ نهودها
ورشفتُ خمرَ رضابها وجنيتُ وردَ خدودها
وأمنتُ فى قِصَرِ الوصا لِ حياةَ طولِ صدودها
حتى إذا ولّى الدجى فى عدِّها وعديدها
وبدت جيوشُ الصبح فى أعلامها وبنودها
فارقتُها ومدامعى تحكى جُمانَ عقودها

(١) الشادن : الغزال حين يشب ويستغنى عن أم والاستعارة واضحة .
(٢) الهجود : النوم .

وقال من قصيدة فى المدح :

مُرْدِى الكتائبِ بذَّالُ الرغائبِ فَضَّـــاحُ السحائبِ بَرٌّ القــولِ والعَمَلِ
والغافرُ الذنبِ عفوًا عنــد قدرته والرائعُ الخطبِ قَسْرًا غيرَ محتفل
إذا طَوَتْ خيــلُهُ فى السير مرحلةً طَوَى الردى من عداه مُدَّةَ الأجل
بكل قَرْمٍ يلاقى المـــوت مبتهجًا كأنما الموتُ ما يرجو من الأمل ٥
يلذُّ فى السلم تقبيــــلَ اللى شغفًا لحبِّه فى القَنا سُمْــر القَنا الذُّبل

٧ — الشريف النقيب النسابة بمصر

شرف الدين أبو على محمد* بن أسعد بن على بن معمر أبى الغنائم بن عمر ابن على ابن أبى هاشم الحسين النسابة بن أحمد النسابة بن على النسابة ابن إبراهيم بن محمد بن الحسن الجوانى الحسينى ١٠

كان نقيبَ مصر فى الأيام المصرية . والآن فهو ملازم مشتغل بالتصنيف فى علم النسب ، وهو فيه أوحد ، وله فيه تصانيف كثيرة .

قرأت بخطه كتابا إلى بعض الأشراف بدمشق فى سنة إحدى وسبعين ، قد صدره بهذه الأبيات :

أَحنُّ إلى ذكراكَ يا بنَ مُحَسِّنٍ وأرجُو من الله اللقاء على قُرْبِ ١٥
لما لَكَ فى قلبى من الموضع الذى يرى فيه كل الحب مُبْرًا[1] من الحبِّ

(*) ترجم له الصفدى فقال : ولى نقابة الأشراف مدة بمصر وله (كتاب طبقات الطالبيين) و (تاج الأنساب ومنهاج الصواب) وكان شيعيا . توفى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة . والجوانى بالجيم والواو المشددة ويعرف بالمزندرانى . انظر فوات الوفيات طبع استانبول ٢٠٢/٢ وانظر ترجمته فى لسان الميزان ٧٤/٥ .

(١) مبرأ وخففت ، وفى الأصل : خيرا .

وللمفخر السامى الذى قد حويتَـهُ وسارمسيرَالشمس فى الشرق والغرْبِ
فأصبحتَ تاجًا للفخار ومَفْـــرِقًا وقطبَ المعالى بل أجلَّ من القطب
فلا عَدِمَتْ روحى الحياةَ فإنهـــا قرينةُ ما [يأ(١)] تى إلىّ من الـكتب

وقرأت أيضاً بخطه من كتاب كتبه إلى الأمير عز الدين حارن(٢) لما قصده
٥ بالشام ، فى أوله هذه القصيدة :

تُرَى هاجكم ما هاجنى من جوى البعدِ وهل كَرْبُـكُمْ كربى وهل وجدكم وجدى
لئن جَـــلَّ ما أبديه شوقًا إليكم فإنَّ الذى أُخفيه أضـعافُ ما أبدى
جوًى فى فؤادى كامنٌ ليس ينطفى عليكم كونَ النار فى الحَجَرِ الصَّلْدِ
وما الدمعُ ما يجرى عليكم وإنما نفوسٌ أسَلْنَاهَا مع الدمع فى الخـد
١٠ إذا لفَّ بُرْدُ النـومِ أجفانَ راقدٍ لففتُ جفـونى فى رداء من السهد
نهارىَ ليـــــلٌ مدلِهمٌّ لفقدكم وليلى نهارٌ من خيالـكمُ عنــــدى

ومنها :

ألا يا رياحَ الشوق ســـيرى فبلِّغِى ســلامَ محبٍّ صادقِ الحبِّ فى الود
إلى المَلْكِ عزِّ الدين ذى الفخرِ الذى مناقبُهُ تعـــلو الـكوا كبَ فى العَدِّ

١٥ ومنها :

مليكٌ إذا أطنبتُ فى وصفِ فضله علمتُ بأنِّى لم أنَلْ غايةَ الجهـــد
فما العنبرُ الشِّحْرِىُّ(٣) فى أنفِ ناشقٍ بأطْيبَ من ذكراه فى سَمْعِ مُسْتَجْدِى

(١) ساقطة من الأصل .
(٢) هكذا بالأصل ولعلها الحارى نسبة إلى حارم إحدى بلاد الشام ، أو لعلها خازن .
(٣) الشحر : ساحل البحر بين عمان وعدن .

ومنها :

أيا مَنْ إذا سارتْ وفـــودٌ لبابه ترى عندهمْ وفدًا إلى ذلك الوفد
وقد عـــلم القُصّادُ قَصْدَ جَنَابِهِ فنوّلَهمْ قبـــلَ التفوّهِ بالقَصْد

٨ — والده

الشريف القاضى سناء الملك أبو البركات

أسعد[*] بن على الحسينى النحوى

موصلى الأصلِ مصرىُّ الدارِ هاجرَ إليها واتخذها مسكناً ، ورضى بها وطرًا ووطناً ؛ وكان كبيرَ القدر ، نابه الذكر . وجدتُ له شعرًا فى الصالح[1] بن رُزِّيك فى نوبةِ قتل عباس[2] : (أما والهوى النجدىّ ما سِمْتُ إلفًا) .

ومنها :

لئن كنتَ قد نحَّيْتَ[3] عباسَ من عُلًبا فَرَنْجَةَ لما لم يجدْ عنك مُنْتَفَى
وأنقــذْتَهُ من أسره وهو ذاهلٌ يَرُدُّ عن الأهوال فى المأزق الطَّرْفا
فقد سُقْتَه إذ فرَّ منك إلى مَدًى تمد مُدَاهُ نحو مُقْلَتِهِ الحَتْفَا
وما فرَّ من وَقْعِ الأسنّةِ صاغرًا وجــدُّكَ إلا حين لم يَرَ مُنْتَخَى

(*) ترجم له القفطى ولم يزد فى ترجمته عما ذكره العماد . انظر إنباه الرواة بأنباه النحاة طبع دار الكتب المصرية ١/٢٣٠ .

(١) هو أبو الغارات طلائع بن رزيك وستأتى ترجمته بعد قليل .

(٢) هو عباس الصنهاجى بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس ، وزير الخليفة الظافر (٥٤٤ — ٥٤٩ هـ) ودبر له مؤامرة وقتله ، فاستغاث بيت الفاطميين بطلائع ، فجاء من الصعيد ، وفر عباس إلى الشام وقتله الفرنج فى الطريق .

(٣) فى الأصل : نحيت ، ونحب : سار به حتى قرب من الماء . والإشارة واضحة إلى فراره .

/ ومل[١] الطعانَ للمرّ للمَلِكِ الذى يراه حَيِيًّا عنـــد ما يَهَبُ الألفا [٥٠ و]

وقال فى مدحه :

صاحِ إنْ أهجُرْ سليمى والرّبابا فلقد بُدّلْتُ من غيّ صـوابا
ولقد واصلتُ من بعدها مدحَ من أغرَى بجَدْوَاهُ انتسابا
٥ إنّ فى كفّ ابن رزّيكٍ لمنْ يبتغى الرفدَ لآمالاً خِصَـابا
ويمنى فارسِ الإســـلام قد أُجْرِىَ البحرُ الذى عَبّ عُبَابا
كم له فى الشـــام من معجزةٍ ومقامٍ لم يكن إلا احتسـابا
جرّبَ الإفرنج من أفعـاله فى صـــناديدهمُ أمراً عُجابا

وله من أخرى :

١٠ ومن يهوَ إدراكَ المعالى فإنه يَعُدُّ المنايا من ملابسـه طِمْرا[٢]
قريع الرزايا والقنا يقرع القنا خطيرالعطايا يَسْتَقِلُّ[٣] الجَدا خَطْرا[٤]
يخطّطُ[٥] بالخطىّ فى النقعِ موطناً يحوز العلا والموتُ يلحظُه شَزْرا

ومنها :

إذا اهتزّ بالقساط غرباه لم يَدَعْ فؤادًا بأقصى روضةٍ لم يَمُتْ ذُعْرا
١٥ وحيث ذكرت الشرفاء فقد تعين ذكر الشريف أبى جعفر ، وهو :

(١) فى الأصل : وظل
(٢) الطمر : الثوب الخلق .
(٣) هكذا فى إنباه الرواة ، وفى الأصل : والبا .
(٤) الخطر : الشرف والملاك . (٥) فى الأصل : ويخط .

٩ — الشريف أبو جعفر

محمد [*] بن محمد بن هبة الله العلوى الحسينى

من طرابلس [1] ومن الواجب إيراده فى شعراء الشام . كان فى مصر فى عهد أفضلها ، وحظى من مِنَنِه بأجزلها . أهدى إلى ديوان شعره بمصر القاضى الفاضل ، فى جملة ما أسْدَاه إلى من الفواضل ، فأثبتُّ منه ما استجدته مما وجدته ، واستطبته مما استعذبته . فمن ذلك من قصيدة أعدَّها لمدح الأفضلِ للتهنئة بعيد الفطر سنة خمس عشرة وخمسمائة ، فقتل الأفضل عشية سلخ شهر رمضان من السنة ، وعاش الشريف ، ومدح الوزيرَ بعده ، وأوَّلها :

قد تجاوزتَ فى العلا الجوزاء واستمدَّتْ منك البَهَا والبَهَاء

ومنها :

لم تَزَلْ للعيونِ منذ تراءَتْـــكَ جِلاءً وللقـــلوب رجاء

ومنها :

وجيوشاً كأنما قد كساها الـــبرقُ فوق الدروع منها رداء
فى مجالٍ سالتْ ظباه على الأيــــدى كأن الغُمودَ [2] فجَّرْنَ ماءَ

ومنها فى وصف سفن أنفذها إلى مكة ، وفيها غلة :

بجوارٍ تنسابُ [3] فى البحر كالأعـــلام تجرى بها الرياحُ رُخَاء [4]

(*) ترجم له ابن عساكر فقال : محمد بن هبة الله أبو جعفر الحسينى الأفطسى الأطرابلسى ، كان من أهل الأدب ، وله معرفة تامة بأنساب قريش ، وله أشعار مدح بها بنى عمار (أصحاب طرابلس الشام) وتوجه إلى مصر ومدح بها الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالى ، وكان قدم دمشق سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة . توفى بمصر بعد سنة عشر وخمسمائة .

(١) هى طرابلس الشام ، بلد على الساحل بين اللاذقية وبيروت .

(٢) الغمود : جمع غمد . (٣) فى الأصل : آنساب (٤) رخاء : لينة .

حملَ الماء كلُّ سوداء منها حَمَّلَتْ وقرَها[1] يدًا بيضاء

وله من قصيدة فى ابن عمار بطرابلس :

جعلنا التشاكى موضع العَتْبِ بيننا فأَصدُقُ فى دعوى الغرامِ وتكذبُ
ذرينى أَصِلْ ليلَ الغرام بعزمةٍ تكفَّلُ بالإقبال[2] عنها فتعزُبُ[3]
٥ فلا والعوالى — إنها قسَم العلا — أُقيمُ ولى عن ساحةِ الذلِّ مذهب

ومنها :

ومن كان فخرُ الملك مَرْمَى رجائه أصاب من الحظِّ الذى يتطلَّبُ
بعيدُ مناطِ السيف لو طاول القنا تساوى [لدى الهيجا[4]] لواء ومنكب

ومنها يصف داره :

١٠ ويوم ابتدرنا الإذنَ تُرْعَدُ هيبةً وقد غصَّ بالوفد الرواقُ[5] المحجَّبُ
وصلنا وسلَّمنا على البدرِ جادَهُ سماء لها من ذائبِ التبرِ هيدَبُ
وقد نمنَمَ الكفُّ الصَّنَاعُ بأُفقها رياضاً كأنَّ الجوَّ منهنَّ مُعْشِبُ
ومصقولةِ الأرجاء ملثومةِ الثرى إلى جنة الفردوسِ تُعزَى وتنسَبُ
نخالُ بأُولى نظرةٍ أنَّ دُرَّها يُنثَّر[6] أو عِقْيانَها يتصوَّبُ

١٥ وقال من قصيدة :

ذَرَفَتْ مقلةُ الحيا بالحَبَـــابِ وانتشى الروضُ حالىَ الجلباب

---

(١) الوقر : الحمل .
(٢) هكذا فى الأصل والسياق يقتضى أنها محرفة عن كلمة : بالإدبار .
(٣) فى الأصل . لتعرب .
(٤) فى الأصل بياض وأكملنا البيت بما يتلاءم والسياق .
(٥) الرواق : سترجمد دون السقف ، ومقدم البيت .
(٦) فى الأصل . تبر .

وتمشّتْ به الصَّبا وإزارُ الـمُزْن فيه مُجَرَّرُ الهُدّاب

ومنها :

لم أنَمْ بعدهم سُلُوًّا ولكنْ طمعاً أن يزورَ طيفُ الرَّباب
يا خليليَّ فى الذؤابة من فِهْرٍ أميلا معى صدورَ الرِّكاب
وَقِفا العيسَ كى نُجَدِّدَ عهداً للهوى فى معاهدِ الأحباب ٥
أسقمَ البينُ رَسْمَها سقْمَ جسمى فكلانا خافٍ عن الطُّلاَّب
يا لُواةَ الديون من غير عُسْرٍ عُذْرُكُمْ لم يكنْ لنا فى حساب
طال رَعْىِ روضَ الأمانى لديكمْ ورجوعى عنكمْ بغير ثواب
أتقاضاكمُ وماذا عليكمْ لو سمحتم لسائلٍ بجواب
ما لقلبى أراحنى الله منه كيف يهوى من لا يرِقُّ لما بى ١٠
مَسَحَتْ صبغةَ الشبابِ يدُ الهمِّ وأبدَتْ نصولَ ذاك الخضاب

ومنها :

وإذا كان ضائرى حكم ذى الشيب / فواوحشتا لجهلِ الشباب [٥٠ ظ]

وقال :

أأحبابنا لو سرتمُ سيرةَ الهوى لكنتمْ لقلبى مثلَ ما لكمُ قلبى ١٥
عتبتمْ وما ذنبى سوى البعد عنكمُ وإنى لأهواكم على البُعْدِ والقرب
فلا تجمعوا بين الفراق وعتبكم ولا تجعلوا ذنبَ المقادير من ذنبى

وله من قصيدة فى الأفضل[1] أولها :

أجِلُّ هواكَ عن مِنَنِ العتابِ وإن أبعدْتَنى بعد اقتراب

(١) هو الأفضل بن بدر الجمالى الأرمنى وزير المستعلى الخليفة الفاطمى (٤٨٨ — ٤٩٥) ثم الآمر بأحكام الله ، وما زال على وزارته حتى قتله سنة ٥١٥ هـ . وكان الأفضل ممدحاً للشعراء ، وسيتردد ذكره فى الخريدة .

ومنها :

أما وهواكَ لو خُبِّرْتَ عنى لِمَا أَلقـــاه عزَّ عليك ما بى
ولا تسألْ ســـواكَ فليس يخفى عذابى عن ثناياكَ العِذابِ
ولولا أنْ تقولى خان عهـــدى قرعتُ على سُلُوِّى كلَّ بابِ
٥ رضيتُ وصالَ[1] طيفكِ وهْوَ زُورٌ وعند الشيب يُرْضَى بالخضابِ

ومنها :

ودون ثنيّـــةِ الصَّنَمين ظبيٌ وقورُ الحِجْل[2] طيَّاشُ الحِقَابِ[3]
ســـقيمُ الطرف نشوانُ التثنّى صقيلُ الثغرِ معسولُ الرضابِ

ومنها :

١٠ وقفتُ بها سراةَ اليومِ صحبى وقوفَ القُلْبِ[4] فى زَنْدِ الكَعابِ
وقد أخفتْ معالمَها الليـــالى كما درست ســطورٌ من كتابِ
فدع ذكراك أياماً تقضَّت إذا ذهب الصِّبَا قَبُحَ التصابى
ولى بمديح شاهنشاهَ[5] شُغْلٌ يُسَلِّى عن هوى ذاتِ السِّخَابِ[6]
يُؤَذِّنُ جودُه فيما حواه من الأموالِ حىَّ على الذهابِ

١٥ ومنها :

ويوم بعثتَهـــا شُعْثَ النواصى تسيلُ بهنَّ أفواه الشعابِ
لقيتَ هَجيرَه[7] والخيل تَردى ولا ظلٌّ سوى ظلِّ العُقَابِ[8]

(١) فى الأصل : طيال . (٢) الحجل : الخلخال .
(٣) الحقاب : حزام تعلق به المرأة الحلى وتشده فى وسطها .
(٤) القلب : سوار المرأة . (٥) هو لقب الأفضل ومعناه ملك الملوك .
(٦) السخاب : القلادة . (٧) الهجير : نصف النهار عند زوال الشمس مع الظهر .
(٨) يريد أنه ليس هناك إلا ظل العقبان وهى تحوم على القتلى .

أثرتَ الليل فى رَهَجٍ المذاكى[1] وأطلعتَ النجوم من الحِراب
مواقفُ لم تزلْ فيهـــن أمضى من المنفىّ زلّ عن القِرابِ[2]

وله من أخرى :

تجاوز العتبُ حدَّ السخط والغضبِ وأورث القلبَ صدعاً غيرَ مُنْشَعِبِ
إن كان ذنبٌ فإنى منه معتـــذرٌ يكبو الجوادُ وينبو السيفُ ذو الشُّطَبِ ٥
أو كان ذا منك تأديباً على زَلَلٍ منّى فحسبك قد أسرفتَ فى أدبى
هل عهدُ وصلك مردودٌ لماهده يا هاجرى شهوةً من غير ما سبب

ومنها :

أو لا وعيشٍ مضت منا بشاشته لحاً[3] وسالفِ عيش غيرِ مؤتشِبِ[4]
ومبسم كأقاح الروضِ بانَ به فضلُ الرُّضاب على الصهباء والضَّرَبِ[5] ١٠
ومستديرٍ وشاحٍ جال فى هَيَفٍ حيث التقى خيزُرانُ الخصر بالكُثُبِ
ما إنْ أذنتُ إلى الواشى كما أذِنتْ فأعجبْ له اليومَ لم يظفر ولم يخب
لم يبق عندى اصطبارٌ أستعينُ به على تمادى صدودٍ منك برَّحَ بى
بينى وبين صروف الدهر معتبـة وليس عتبى على الأيام بالعجب
إن سرَّكمْ ...مسَّ من نوائبـــه إنى إذنْ لقريرُ العين بالنُّوَبِ ١٥

ومنها :

إن كنتُ أضمرت غدراً فى الوفاء لكم فلا وصـــلتُ بآمالى إلى أربى
وخاننى عنك شاهنشاهُ ماوَعَـدَتْ به صنائعُهُ من أشرف الرتب

---

(١) المذاكى من الخيل : التى أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان .
(٢) القراب : الغمد .
(٣) فى الأصل : لحنا .
(٤) مؤتشب : مجتمع .
(٥) الضرب : العسل الأبيض .

ومنها :

تجلو عليك التهانى كلُّ شاكرةٍ يدًا سَبَقْتَ إليها عزمةَ الطلب
كالماء رقّتها والخمـــرِ نشوتها فأبنُ الغمامةِ فيها وأبنةُ العِنَبِ

وقال فيه :

٥ خاطِرْ بهـا فالجدُّ مصحوبُ وأسرِ فظهـرُ الغيبِ مركوبُ
وأطلبْ عناقَ العِزِّ تحت الظُّبَا فالعزُّ محبـــوبٌ ومطلوب
وأصحبْ إلى العلياء سُمْرَ القنا ما صَـــحِبَتْهُنَّ أنابيب[1]
ليس يروضُ الصعبَ مَن دِرْعُهُ مُحْقَبَـةٌ[2] والسيفُ مقروب[3]
ولا يخوضُ الغمراتِ الفتى وطِرْفُهُ فى الحىِّ مجنـــوب[4]
١٠ وثِقْ بمـا تُملى عليكَ المنى [فالنجح مرجوٌّ ومرقوب][5]
ولا تقُلْ يا بعـــدها غاية ففى المقـــادير أعاجيب
لا تبعدُ العليـاء عن طالبٍ له من الأفضـــالِ تقريب[6]

وقال فيه :

إذا ما ابتدوا شدُّوا حُبَى الحلمِ النَّدَى وإن ركبوا سدُّوا القَنا بالمراكبِ
١٥ كفيلون فى دار الضحى لصريخةٍ بوجهِ نهارٍ بالعجاجةِ شاحب
همُ سطَّروا بالبيضِ والسمرِ ذكرَهُمْ فأصبحَ عُنوانَ العُلا والمناقب
صدورُ رماحٍ لم تَرِدْ حومةَ الوغى فتصدرَ إلا عن صدورِ الكتائب

(١) الأنابيب : كعوب الرماح .
(٢) محقبة : فى الحقيبة . (٣) مقروب : فى قرابه أى غمده .
(٤) الطرف من الخيل : الجواد الكريم ، ومجنوب : معزول .
(٥) بياض فى الأصل وزدنا الشطر ملائما للسياق . (٦) التقريب : ضرب من العدو .

ومنها :

إذا شَهِدَ الجُلَّى أضاءتْ برأيهِ دُجُنَّةُ خَطْبٍ مُدْلَمُّ الجوانب

وقال أيضاً :

بادِرْ بإحسانك الليالى فإنَّ من شأنها البتاتا[1]
كم شمْلِ مُلْكٍ عَدَتْ عليهِ فصيَّرتْ جمعَهُ شتاتا
/ وفَرَّكَتْ[2] قبلُ من عظيمٍ فطلَّقَتْ غيرها ثلاثا [٥١ و]

وقال من قصيدة :

وكم للحُبِّ مثلى من صريعٍ [بحدٍّ[3]] البيض والسمر اللاحِ
وأغيَدَ من ظباء الحسن حيَّا بوردٍ أوْ تبسَّمَ عن أقاحى
شربنا من شمائله شَمُولاً لنشوان التثنى وهْوَ صاحِ
لقلبى الثأرُ فيه عند عينى فبعضُ جوارحى أدْمَى جِراحى
لئن عاصيتُ عذَّالى عليه ولم يَقْتَدْ ملامُهُمُ جماحى
فإنَّ نوالَ شاهنشاهَ قبلى عَصَى عَذْلَ العواذلِ فى السماح
إذا أعطى تبلَّج فى العطايا كما يفترُّ مبتسَمُ الصباح

ومنها :

ملوكٌ إنْ دجا ليلٌ جَلَوْهُ بلألاء الترائك[4] والصِّفَاح
كأنَّ الخيلَ تحت النقع منها شققنَ الأرضَ عن بَيْضِ الأداحى[5]

---

(١) البتات : هنا البت والقطع للصلة .
(٢) فركت : كرهت وطلبت الفراق .
(٣) ساقطة فى الأصل وزدناها متابعة للسياق .
(٤) الترائك : جمع تريكة وهى الخوذة أو البيضة .
(٥) الأداحى : جمع أدحية ، وهى مبيض النعام فى الرمل .

نثرن عجاجة فى كل فج كأن الأكم تنسفها المساحى
مناقب سطرتهن للواضى فما يسمو إليها كف ماحى

وقال :

ما خلت والأيام ذات عجائب أنى أعدّ من المتاع الكاسد
وأكون للدهر الخؤون عقيرة[1] وأعاض منه شامتاً من حاسد
فأسالم الخصم الذى لا يتقى وأثيب عذالى[2] ثواب الحامد

وقال :

أحب من الفتيان كل مشيّع ركوب إلى العلياء ظهر الشدائد
يضمّ على فضل العفاف ذيوله ويرغب عن ضم الثّدى والنواهد

١٠ ومنها :

إذا دحرت[3] فيه النعامى حسبته حبيك دروع أو متون قلائد
ينمّ بسرّ القاع حتى تخاله أستعار حصاه من عقود الخرائد
نزلنا به والشمس يُهدى شعاعها له التبر إلا أنه غير جامد
لدى روضة قد نشّر[4] العصب[5] نبتها[6] ونثّر فيها النّور درّ القلائد

١٥ ومنها :

كأن ذيول الأفضل انسحبت بها يضمّخها منه أريج المحامد

(١) العقيرة : ما عقر من صيد أو غيره .
(٢) الكلمة فى الأصل مطموسة وبقيت منها : لى .
(٣) دحرت : اطردت وجرت ، والنعامى : ريح الجنوب .
(٤) فى الأصل : بشر ، ونشر : من النشر ضد الطى .
(٥) العصب : ضرب من البرود اليمانية ناصعة البياض يصبغونها بمختلف الألوان .
(٦) فى الأصل ينتنا .

كريمٌ أعدَّ المـالَ وقفاً على الجدَا فأضحى نداهُ قاصداً كلَّ قاصد
إذا مدَّ يومَ الفخـر باعاً لمفخرٍ حوَى طَرَفَيْهِ من طريفٍ وتالد

ومنها :

جمعتَ سـعود المشترى ووقارَهُ إلى بأس بَهْرام ٍ وحذقِ عُطَارد[1]

ومنها : ٥

وما نمتَ عن شانى وقد نام دونَهُ رجالٌ فلم أنبذ حيـاةً لراقدِ
ولو كنت ممن يجعل الفحش لفظه لنبَّهَهُمْ منى عقـابُ القصائد
وعَضَّ لحاظَ القوم فى كل مجمع قوافٍ كأطرافِ الرماح الحدائد
أأُغضِى على ضيم ٍ وعزُّكَ ناصرى وأُخفِقُ فى[2] مجد ونُجْحُكَ رائدى

وقال من قصيدة فى محمد بن قابل وقد أنفذ إليه رفدا : ١٠

من منجدى بالشكر أمْ مَنْ مُسْعِدى أوفَتْ على شكرى يدٌ أغنتْ يدى
نام الورى عنى فـلم أُوقِظْهُمُ أنفاً لمجدى من مقام المُجْتَدِى
ورأيت عز الفقر من نيـل الغنى بالذل أولى بالعُـلا والسؤدد
ووددتُ ما يهبُ اللئـامُ عليهمُ زهداً ولا مجـدٌ لمنْ لم يزهد
وكذاكَ نفسُ الحر تحتملُ الظَّمَا إنْ فاته يوماً كريمُ المَورِدِ ١٥
وتداركتنى مِنـةٌ من مُنعِم ٍ يقظانَ عن بذلِ الندى لم يَرْقُدِ
ملأَ الزمانُ بها مسامعَ أهـلهِ من شكر آل محمدٍ لمحمد
يعطيك مسـؤولاً فيعجل رِفْدَهُ وتعوق هيبَتُهُ السؤولَ فيبتدى

(١) عطارد وبهرام والمشترى : نجوم تنسب لها أعمال وحظوظ كما فى البيت .
(٢) فى الأصل : من .

ومنها :

أرسلتها فوق الرجاء تبرعًا أحلى الندى ما لم يكن عن موعد
لما سألتُ الغيثَ يُسقى بالغنى [جوداً[1]] بَعَثْتَ بديمةٍ من عسجد

ومنها :

٥ ولَتَنْصُرَنَّكَ باللسان ونصرُهُ أَبقَى على الأيام من نصرِ اليد

ومنها :

وإليكمُ أرسلتُها تُرْضِى العُلا فيكمْ وتقطعُ فى قلوب الحُسَّد
بسهولةٍ عنها المياه ترقرقت وجزالةٍ منها متون الجلمد
كالمسكِ من طيب الثناء عليكمُ فيكادُ يَعْبَقُ عَرْفُها بالمنشد

١٠ وقال:

عصيتُ هوایَ حين وَفَى لغرّ[2] إبلا صار من خُلُقى وعادى
فبلِّغ حاكمَ العشاق أنى عفافاً قد حَجَرْتُ على فؤادى

وقال :

ألا يا خليلىَ من وائلٍ أعِنِّى على ليلىَ الساهرِ
١٥ إلى كم أسَوِّفُ عطفَ الزمانِ وعَزَّ النتاجُ من العاقرِ
وعزَّ على المجد أنى قنعتُ بأيسرِ من حَسْوَةِ الطائرِ[3]
وما ذلَّ فى الخطب عونایَ من لسانىَ والمِخْذَمِ[4] الباترِ
ليالىَ لا أنا شاكى الصحابِ ولا غدرُهُمْ شاغلٌ خاطرى

(١) فى الأصل : بياض . (٢) فى الأصل : لغرى .
(٣) حسوة الطائر : مقدار ما يأخذ بمنقاره من الماء من مرة أى جرعته .
(٤) المخذم : السيف القاطع .

[٥١ ظ] / وإنى على شَغَفى بالقريض لآنفُ من همةِ الشـاعرِ
سرى رَجَبٌ يستحثُّ الشهور نزاعًا إلى فضـلك الباهرِ
أتاكَ يجدِّدُ عهدَ المشـوق على كاهلِ الفَلَكِ الدائرِ

وله من قصيدة :

وقورٌ متى يستطلق الجهلُ حَبْوَةً [تبيَّن فى صَدْر النَّدِىِّ وقارُه] (١) ٥
ويطربُه ذِكرُ النَّدَى فتخالُهُ أخا نشوةٍ جارتْ عليه عُقَارُهُ
إذا اكتحلتْ بالطعن أجفانُ خيله فإثمدها فى كلِّ فج غباره
إذا انبجست كفاه والمزن ممسك فما ضرَّنا إلا بصوبٍ قِطَارُه (٢)

وله من أخرى :

يا صاحبى قمْ ترى برقًا كما نُشِرَتْ مُلاءةُ الفجر هاجَ (٣) الوجدَ والذِّكَرا ١٠
وسَلْ نسيمَ صـبا نجدٍ لعلَّ به عن المذَيْبِ (٤) وجيرانِ النَّضَا (٥) خَبَرا
تضوَّعتْ من ثرى واديه إذ خَطَرَتْ رَيًّا فما زالَ من أرادانها عَطِرا
تجنى ويَعْذُرُها (٦) حسنٌ تُدِلُّ به فـكلُّ ما فعلتْهُ كان مُغْتَفَرا

وله من أخرى :

خلعنا الصِّـبَا ولبسنا الوقارا وكان الشبابُ رداءً مُعَـارا ١٥
ويا ربما ليـلةٍ قد خَطَرْتُ إلى اللهو يُرْخى مَراحى (٧) الإزارا
أردُّ مشـورةَ رأى النُّهَى عليه وأَرْضَى الهوى مستشارا

(١) بياض فى الأصل وأكملناه حسب السياق .
(٢) القطار : المطر . (٣) فى الأصل : هان .
(٤) المذيب : ماء بين القادسية والمغيثة .
(٥) النضا : شجر . (٦) فى الأصل : ويعدها .
(٧) المراح : النشاط والسرور .

ليهنـــكَ يا عاذلى أننى ملكتُ على صَبَوَاتى[١] الخيارا
رَقَتْ[٢] دمعةُ الشوق من ناظرى وخلَّفْتُ غيرىَ يبكى الديارا
ولم تُنْسِنى عِفَّــــتى غادةٌ تَزِنُ للمعاصمُ منها السِّوَارا
إذا انتقبتْ قلتَ بدرُ التما م لاثَ[٣] عليه الغمامُ الخِمَارا
٥ ولا أغيدُ[٤] الجيدِ أمسى يديـــرُ من طَرْفِهِ ويديه العُقَــــارا
إذا هو أرْعَفَ إبريقَـــه كستْ يدُهُ كأسَـــه الجُلَّنَارَا
تخـــالُ فَوَاقِعَها لؤلؤاً وَهَى سِلْكُهُ ودموعاً غزارا
إذا المـــاء عاتَبَ أخلاقَها رأيتَ الشقائقَ منهـــا بَهَارا
تضىء لنـــا فَحَمَاتِ الظلا م من قبل أنْ يقبَس الفجرُ نارا
١٠ وبين الوشاحين منه القضيبُ[٥] وتحت الحقاب[٦] نقاً حيثُ دارا

[وله من أخرى] وهى طويلة :

ســـل بنى نبهان هل زهدوا فى ثنـــاء من فتى قُرَشِى
صـــــار كالكَمُّونِ بينهمُ بالمُنى يُرْوَى من العَطَشِ
وابتـــلاه الدهر بينهمُ بعـــدوّ مُرْتَشٍ وَيَشِى

١٥ وله من أخرى :

هل أنت باليأسِ للرُّيح مُخَلِّصِى من أسْر ميعادِ المُنى المُتَخَرِّصِ[٧]

(١) الصبوات : جمع صبوة وهى الميل إلى الجهل والفتوة .
(٢) رقت : جفت . (٣) لاث : لف .
(٤) كلمة أغيد معطوفة على غادة فى قوله : ولم تنسنى البيت .
(٥) القضيب : الغصن .
(٦) الحقاب : الحلى فى حزام يدور على الخصر ، والنقا : الكثيب من الرمل .
(٧) المتخرص : إما من الخرص أى الحزر أو بمعنى الكاذب .

وإليكَ أشكو سوءَ حظٍّ مُشْرِقٍ[1] أنّى شربتُ وإنْ أكلتُ مُغصِّصِى

ماذا على الأيامِ لو هىَ أحسنتْ أوْ سامحتْ بالعيش غيرَ منغّصِ

وأشدُّ ما لاقيتُ من أحداثها ما قد تجدَّدَ فى جفاءِ المُخْلِصِ

وعدُ الزيادة قد تطاولَ عمره حتى مللت ترقُّبى وتربُّصِى

ما كنتُ أولَ مستزيدٍ لم يُزَدْ وأنا السعيدُ اليوم إن لم أُنقَصِ ٥

وقال :

أغرى به الشوقَ اللجوجَ وحرّضَا برقٌ أضاء له على ذات الأضَا[2]

متبسّماً منه الغمامُ كأنّما هزَّ القيونُ به الحسامَ المنتضى

وعصى الفؤادُ سُلُوَّه لما غدا طوعَ الوشاةِ فصدَّ عنه وأعرضا

هيهات إبراء السقيم[3] من الضنا يومًا إذا كان الطبيب المُمْرِضَا ١٠

ما كان لولا حبُّ مَنْ سَكَنَ الغضا يُحْشَى حَشاه لذكره جمرَ الغضا

زمنٌ مضى فوق المنى فكأنّه حكمٌ تقاضى حسرةً ثم انقضى

خالفتُ يومَ البين حكمَ تجلدى لما قضى فيه الفراق بما قضى

وبمهجتى رشأٌ أغنُّ بطرفِهِ مَرَضٌ وصحةُ طرْفِهِ أنْ يمرَضَا

قد صرّح الهجران فيه لمذنب خاف الرقيبَ على هواه فعرّضا ١٥

كم يقتضينى الدهرُ حقًّ عنده الدَّيْنُ لى وأنا الغريمُ المُقْتَضَى

وله على وزنها من أخرى :

كان الشبابُ وقد خَلَقَتْ رداءهُ طيفاً سَرَى وخضابَ داجيةٍ نَضَا[4]

---

(١) مشرق : من الشرق وهو الشجا والغصة .

(٢) الأضا : واد .

(٣) فى الأصل : إقراق النسيم .

(٤) نضا : خلع ونصل .

ومنها فى الاعتذار عن مدح غير هذا الممدوح :

شَعْرٌ حَمَلْتُ سوادَه وبياضَه فوجدت أثقلَ ما حملتُ الأبيضا
ما إنْ مدحتُ سواكَ إلا رِقْبَةً منى لصِـلٍّ حماطة قد نضنضا[1]
فسحتُ بالأشعار عِطْفَ عُرامِهِ[2] وحملت عذرَ زمانه حتى انقضى
٥ والآن عُدْت وكنت عُودًا ذاويًا نبتاً بصوب نداكُمُ قد روَّضا
وحُسِدت ما شرَّفتنى بِسَماعِهِ حتى تمنَّى مُفْحَمٌ أن يَقْرِضَا

وقال :

كلَّ يومٍ نَلْقَى ببابكَ غَيْظًا[3] أملاً خائبًا وسَعيًا مضاعا
/ ووجوهًا يُغَضُّ من دونها الطر فُ كما قابلَتْ عيونٌ شعاعا [٥٢ و]
١٠ ليتهمْ إذ حموكَ من كلفة الإذ ن لنا أوصلوا إليك الرقاعا

وقال :

لعـذلِ العواذلِ ألاّ أعى وألاّ أُصِيخَ له مسْمَعى
وبالآئى فى غرامى بهـا أَضَعْتَ اللامَ فخذْ أو دَعِ
أتطمعُ فالقلب فى سـلوةٍ وهيهات فى ذاكَ لا تَطْمَعِ
١٥ أطعتُ الهوى وعصيتُ النصيحَ وقال العـذولُ فلم أسمعِ
وقد أنـكَرَتْ أنَّ حبى لها كسرِّىَ فى غيرِ مُسْتَوْدَعِ
فلو جازَ حكمى لدعوَى الهوى جعلتُ اليمينَ على المدَّعى
أما عَلِمتْ أنَّ لى بعدها همـومًا تُكاثِرُها أدمُعى
أبى لى تَناسِىَ ما قد مضى خيالٌ لهـا لازمٌ مَضْجَعى

(١) نضنض الصل : حرك رأسه ؛ والحماطة : شجرة التين .
(٢) العرام : الحدة والشدة ، وفى الأصل : غرامة .
(٣) فى الأصل : غيضاً .

ومنها :

وزارَ برغْمِ الكَرَى هاجعين ... نَشاوى بكأسِ الهوى المُترَعِ
وأشعثَ أخفاه برحُ السقامِ ... فنمَّتْ به أَنَّةُ المُوجَعِ
فيا منَّةً [قد[1]] شكرت الرقاد ... لو أنى انتبهت وقلبى معى

ومنها :

وقد علم الحرصُ أنّى برئتُ ... إلى راحةِ اليأسِ من مَطْمَعِ
وكم لى مع الدهر من وقعةٍ ... تبلّجتُ[2] فى وجهها الأسفعِ

وقال :

دعِ المطامعَ لا تحللْ بساحتها ... وأرضَ القليلين من رىٍّ ومن شِبَعِ
لا تخضعنَّ لأمرٍ عزَّ مطلبه ... لا خيرَ فى العيش ما أدناك من ضَرَعِ ١٠

وقال :

غريمُ فؤادى فى الهوى غيرُ منصف ... وماطلُ وعدى قد أبى الغدْر أن يفى
تكلّفَ بى يومَ اللقاء بشاشةً ... وأقبحُ ما استَحْسَنْتَ بشرُ التكلف

ومنها :

رضيت وإن لم تسمحوا برضاكمُ ... على عزِّ قومى فى الهوى ذلّ موقفى ١٥
ليَهْنِ حسودى أن يُقدَّمَ ناقصٌ ... فأصبحَ فضلى علةً لتخلُّفى
ولو أنصفَ الدهرُ الكرامَ لما غدا ... يطيلُ على حظِّ اللئام تلهفى
لىَ اللهُ من قلبٍ لجوجٍ بصبوةٍ ... إلى العزِّ ما يزداد غير تنطرف[3]

(١) ساقطة من الأصل .
(٢) تبلج : أضاء وأشرق .
(٣) التطرف : الكبر .

ركوبٍ لأثباجِ المخاوفِ دونها ومَنْ طلبَ العلياء لم يتخوَّف
أأرْضَى بعيش الخاملين وقد أبَى لىَ اللهُ أن يرْضى فراسى وخندفى [١]

ومنها فى القلم :

له القلم الماضى الشَّبا فكأنما تهز به أعرافُهُ [٢] صدرَ مُرْهَف
٥ إذا ما سقاه المزنُ صوبَ قطاره كسا الطرسَ أثوابَ الربيع المُفوَّف

وله من أخرى :

حَيِّ من رَيَّا خيالًا طَرَقَا عاد جُنحُ الليلِ منه فَلَقَا
سارِيًا يذْكِرُنا عهدَ الحمى نقصَ البيد [٣] وقصَّ الطُّرُقا
حبذا الطيفُ تعلَّلْنَا به واصفًا فى البين أيام اللقا
١٠ قد رضينا من أباطيل الكرى ردَّ ما موَّهَهُ واختلقا
ألَى إن لم يكن إلا المنى إنها لَهِىَ النعيم فى الشقا
هل مُعاد والأمانى ضَلَّةٌ موقفٌ بين المصلَّى فالنقَا
يا نسيم الريح إما جئتهمْ فاشكُ عن قلبى الجوى والْحُرَقَا
وتعرَّضْ لملولٍ منهمُ مستجدٍّ كلَّ يومٍ خُلُقَا
١٥ وطموحِ العينِ مذّاقِ [٤] الهوى قلَّ ما مازح إلا عشقا
آه والشكوى إليكم خَوَرٌ بعد ظنٍّ فى هواكم أخفقا
يا لهيفاء وقلبى كلما قلتُ قد أفلَتَ منها عَلِقَا

(١) الفراس : الحذق ، والخندفة : مشية الخيلاء .
(٢) أعرافه : أعاليه وفى الأصل : أعراضه .
(٣) فى الأصل : اليد (٤) مذاق الهوى : غير مخلص

وخلٍّ كالشَّجَى معـــترضٍ ما محضْتُ الودَّ إلا مَــذَقَا

وله من قصيدة :

أتمنّاها على بُعْـــد المَنالِ وأسـومُ الصبرَ عنها وهو غالى
وأرجّى عطفةَ الســالى وقد تَغْلَق الأطماعُ أسـبابَ المُحَالِ
وعلى ما سَرّنى أو سَــاءنى فهْوَ محبــوبُ التجنى والدلالِ ٥
ولقلبى من أحاديث المُـنَى ما لعينى من سُرَى طَيْفِ الخيالِ

ومنهـا :

لستُ بالفائت حظّى منـــكمُ رب عتبٍ كان بابًا للملال
مذهبٌ ما ابتَدعَتْـــهُ غادةٌ يُبْذَلُ العذرُ لربات[1] الحجال
أنكَرَتْنِى أنْ رأتْنِى عاطلاً ربَّ جيدٍ عاطلٍ بالحُسْن حالى ١٠
من عذيرى اليومَ من أيدِ خطو بِ رعى البادنُ منها فى هزالى
همُ العلياء ضرّاتُ الغِـــنَى وجيوشُ الفقر إكثارُ العيال
فارضَ بالأدنى إذا لم ترقَ فى درجاتٍ من ذرا المجـــد عوالى
أو فكن جارَ شهنشاهٍ تصِفْ مُغْرمًا بالجود فيّاضَ النـــوال
كَفَل الملك بأطـــراف القنا والمعالى فى كَفَالات العَــوالى[2] ١٥
ومُطاعُ الرمح فى يوم الوَغَى نافذُ الحكم على الأرواح وَالى
عَلّقَ الأرزاقَ من أسْمَـــرهِ[3] مَتْلَقَ الرمح بأطـــراف النصال[4]
يَنفُضُ العِثْيَرَ عن أعطافه نفضةَ الأجْدَلِ[5] أنداءَ الظلال

(١) فى الأصل : بربات.
(٢) العوالى : الرماح.
(٣) الأسمر : الرمح.
(٤) فى الأصل : النبال.
(٥) الأجدل : الصقر.

وله من أخرى :

لولا الحظوظ التى فى بعضها بَلَهٌ لما علا الشمسَ بهرامٌ ولا زحلُ[(١)]
هَمٌّ لبستُ له ثوبَ الضَّنَا كمَدًا والهمُّ يفعل مالا تفعلُ العللُ

/ ومنها : [٥٢ ظ]

من كلِّ أروعَ فى الميجاء يصحبه عَزْمٌ فَتِيٌّ ورأىٌ منه مُكْتَهِلُ
الأرقمُ الصِّلُّ إلَّا أنه بطَلٌ والأغلبُ الوَرْدُ[(٢)] إلا أنَّهُ رَجُل

ومنها :

وصاحبٍ مثلِ حُمَّى الرِّبْعِ[(٣)] أرقبها مُغْرًى بنحْوَ منه المنطقُ الخَطِلُ
رَحَى ولو أننى أرضيه قلت له خذها إليك لكفِّ المخطىء الشَّلَلُ

١٠ وله من أخرى :

يا هل جَنَتْ أعينٌ مِراضٌ كالخمر تسطو على العقولِ
أصابتِ القلبَ يوم سَلْعٍ[(٤)] بنافذاتٍ بلا نصولِ
فقلْ إذا جئتَ آلَ سهمٍ ما فعل السهمُ بالقتيلِ
ويا نسيمَ الصَّبا تَعرَّضْ لحاضرٍ بالنَّضا حُلُولِ
١٥ بلِّغْ فإنَّ القبولَ أولى فى طاعةِ الصبِّ بالقَبُولِ
وصفْ غرامى وأَجْرِ فيهمْ ذكرَى للهاجرِ المَلُولِ
وا حرَّ قلباه من قضيبٍ رَيَّانَ لم يدرِ ما غليلى

(١) يشير إلى ما كانوا يعتقدونه فى البروج والأفلاك والنجوم وترتيبها بالقياس إلى بعضها فى الحظوظ .

(٢) الورد : الشجاع الجرىء .

(٣) حمى الربع : التى تنقطع ثلاثة أيام وتأتى فى الرابع .

(٤) سلع : جبل فى المدينة .

لو أنصفَ الحِبُّ ما طلبت الـــوصالَ من طيفه البخيل

ومنها فى المدح :

من أسرة النجم فى المعالى وإخوةِ الغيث النزيل
تشابهوا واحدًا وتَجْلاً[١] ما أشبه الكُتْبَ بالسهول

وقال من أخرى : ٥

رعى الله المنازلَ من غميم[٢] وحيا يومنا بلوى الصَّريم[٣]
وروَّى أرضَها حَلَبُ الغوادى وصافح روضَها وَلَعُ النسيم
وقفتُ بها فيا نثرى[٤] لدمعٍ أرقْتُ على ثرَى تلك الرسوم
وما خِلْتُ المعالمَ قبلَ يومى بها صهباء تهفو بالحُلُوم
متى تدنو لمشتاقٍ مُنَاهُ ويصحو من معاقرةِ الهموم ؟ ١٠

ومنها :

ومن ناداكَ من قلبٍ سليمٍ كمن داجاك بالودِّ السقيم
فلا تغررْك صِحَّةُ صَفْحَتَيه فتحت ثيابه نغل[٥] الأديم
فداؤك كلُّ مغرورِ الأمانى تُرَجِّى مُنْتَجَ الأملِ العقيم

وقال : ١٥

ركبوا قوادمَ رَوْعِهِمْ فكأنما طارت بهمْ حَذَرَ الحِمَام حَمام
إنْ لذَّ عندك طيبُ عيشٍ باردٍ قِلْنا[٦] وعزمُكَ فى عُلاك ضِرامُ

---

(١) نجلا : نسلا . (٢) الغميم : موضع بين مكة والمدينة .
(٣) لوى الصريم : اللوى : منقطع الرملة ، والصريم : الأرض السوداء ، ولوى الصريم : واد باليمن .
(٤) فى الأصل : فياسرعا (٥) النغل : الفساد . (٦) قلنا : من القيلولة .

وله فى مريض :

أما لو أنَّ أغراضِىَ لا يخرجنَ عن حكمى
نقلت الداء من جسمك مختاراً إلى جسمى

وله من أخرى :

٥ كالغصن أطلع بدرَ تمٍّ باسماً — بالأُقحوان ملثَّما بالعَنْدَمِ
يا عاذلى أَقصرْ فسمعى فى الهوى — سَلْمُ الغرام وحربُ لوم اللوَّمِ
لو كنتُ أعلَمُ أنَّ نجداً قصدُهُمْ — يومَ استقلَّ فريقهُمْ لم أُتهِمِ
ووراء أقمارِ الهوادج غِلمةٌ — تحمى الحرَّمَ بالأقبِّ[1] الملجمِ
كتبوا بأيدى الخيل خلف مطيِّهم — عِينٍ[2] الحواجر[3] بلْوُها[4] لمتيمِ

١٠ ومنها :

أفنَتْ شجاعته السِّلاحَ فسيفه — يبكى الدماء لرمحه المتحطِّمِ

ومنها :

لو أشْهدتْ[5] رزق الورَى شَهِدتْ به — نِعَمٌ إلى نفحاتِ سيلٍ تنتمى

وله من قصيدة أولها :

١٥ أثِرْهَا فقد طالُ هذا مُقَاماَ — وَرَاخِ لها إنْ جَذَبْنَ الزِّماما
تقصُّ من الغيث آثارَهُ — فترعى جَمِيماً[6] وتُسْقَى جِمَاماَ[7]

---

(١) الأقب من الخيل : الضامر. (٢) عين : جمع عيناء وهى واسعة العين.
(٣) الحواجر : جمع حاجر وهى منزل فى البادية يمر به الحاج.
(٤) بلوها : من قولهم فلان بلو حب، إذا بلاه الهم والفكر.
(٥) فى الأصل : لو سهدت رق، وهو تحريف.
(٦) الجميم : النبت الذى طال بعض الطول.
(٧) الجمام : جمع جم وهو معظم الماء.

ومنها :

أضاءوا شموساً ، وتمّوا بدوراً ولاحوا نجوماً ، وجادوا غماما

ومنها :

يا بائعى بالدونِ إنَّ العُـــلاَ لا ترتضى بيعَكَ أعْلَى بدونْ
وعَــدُكَ قد أصبحتُ أتلو له هيهات هيهات لما توعدونْ ٥
إن كان حظِّى منك ما قد أرَى[1] فقل لحسادىَ ما تحسدون

وله من قصيدة :

وكم ذُدْنا الـكرى عنا بليلٍ كعَيْنِ الظَّبْيِ أو فَرْعِ الغوانى
وقد نثرت كواكبُهُ عقوداً نقوداً صُبْحُها لقْطُ الجمان
صحبنا فيـــه ملء القلب رعبًا بمخرق[2] كالملاَءة صحصحان[3] ١٠
على مثل الأهِـــلّةِ طامحاتٍ إلى قمر المعـــالى الإضْحِيان[4]

ومنها :

كأن البيض فى رَهَجِ المذاكى ضرامٌ تحت أردية الدخان

وله من قصيدة يصف خيمة ونقوشها :

ضَرَبْتَ عين [رواقٍ[5]] فى مقرٍّ عُلاً أو فى على عَذَبات[6] الطَّوْد ذى القُنَن ١٥
بَارَتْ[7] مدى الطرفِ حتى خلتُ ذِروَتَها تأوى من الفَلَكِ الأعلى إلى سَكَنِ

(١) فى الأصل : رأى . (٢) المخرق : الفلاة .
(٣) الصحصحان : ما استوى من الأرض .
(٤) الإضحيان : المضيء .
(٥) ساقطة من الأصل وزدناها مع السياق ، والرواق : الخيمة والفسطاط .
(٦) العذبات : الأعالى ، والقنن : القمم . (٧) فى الأصل : حادت .

أقطارُها ملئت من منظرٍ عجبٍ يُهْدى إليك ذَكَاء الصانع الفَطِنِ
فمن رياضٍ سقاها الفكرُ صيِّبَهُ فما بها ظمأٌ يومًا إلى المُزُن
وجامحٍ فى عنانٍ لا يجاذبهُ وطائرٍ غيرِ صدّاحٍ على فَنَنِ
وأرقمٍ لا تمجُّ السمَّ ريقتُهُ وضيغمٍ ليس بالعادى ولا الوَهِن
٥ وماثلين صفوفًا فى جوانبها لو يستطيعون خرُّوا[1] الجمع للذّقنِ
/ زِينَتْ بأروعَ لا تُحصَى فضائله ماضٍ من المجد والعلياء فى سَنَن [٥٣ و]
وأطلع الدستُ[2] فيها شمسَ مملكةٍ تُرِى التأمُّلَ فضلَ العين للأذن
وعدٌ على السَّعْدِ أنَّ النصرَ يضربها بالصين بعد فتوح الهند واليمن

وله من أخرى :

١٠ زالت ببيضك هامٌ عن مناكبها فنابت السمرُ فيها عن هواديها[3]
أُعطيتُ ملءَ رجائى من غنًى وعُلاً فصرتُ أسأل نفسى عن أمانيها

وله من أخرى أولها :

ليت دارَ الحىِّ إذ شَطَّتْ بها حَمَلَتْ ريحَ الصَّبا نشرَ ثَراها
لا عداها الرىُّ من صَوْب حيًا ينظمُ الروضَ لأعناقِ رُباها
١٥ دارهمُ بالغورِ[4] إذ هم جيرةٌ والنوى ما صدعتْ شملاً يداها
وسميرى فى الدياجى غادةٌ فخر البدر بها[5] لما حكاها

ومنها :

خَلَواتٌ لم تكنْ فى ريبةٍ أكرمُ الصبوةِ ما عفَّ هواها

---

(١) فى الأصل : جر ، ويخرون لأذقانهم أو على أذقانهم : يسجدون .
(٢) الدست : صدر البيت . (٣) الهوادى : جمع هادى وهو العنق .
(٤) الغور : تهامة . (٥) فى الأصل : به .

سلْ عفافى دونَها لو لم يكنْ ريقُها من خمرةٍ قبّلْتُ فاها
آهِ من بينٍ وشوق لم يدعْ حسرةً تجتــادنى إلا اقتضاها
ليت شــــعرى ما الذى غيّرَها أو أراها حَسَناً أنْ لا أراها
شَـدَّ ما أجرتْ دموعى فرقة لا أرى عوناً على قتلى سواها

ومنها : ٥

ما عليكمْ أنّه زاركمُ فسمعتمْ بعضَ ما يشكو شِفاها
لا تذودوا عينَه عن نظرةٍ قد علمتمْ أنهـا تجلو قذاها
وَعِدُوا بالطيفِ إن عادَ كرى مقـــلةٍ مذ غبتمُ غاب كراها
أو فمنّوه المــــنى من قربكمْ حالَ يأسٌ بين نفسى ومناها
قل لمن دبّتْ أفاعى كيــــدهِ لستُ أخشاها وكيدى من رُقاها ١٠
لا تجاذبْنِى فإنى مُمْســــكٌ ذِمّةً للمجــــد لم تُفْصَمْ عراها
ما أبالى سُــــخْطَ أيامى إذا فاز سهمى برضى شاهنشاها

وله من قصيدة :

وغضبانَ أعدى بالتجنى خيالَه فمن لى بأن ألقاه فى الحلم رَاضِيَا

ومنها : ١٥

أحب ثرى الوادى الذى نزَلَتْ به وإن لم يكنْ ما بيننا متدانيـــا
وأكبِرُ(١) أنفاسَ النسيم إذا سرى فصادف جرعاء الحمى والمحانيا

ومنها:

فياليت قومى جنّبونى عقوقهمْ وليتَ صديقى لا علىَّ ولا ليا

(١) فى الأصل : وأكيد .

أسَرُّوا حِذارَ الشامتين تأوهاً ... ومن ذا من الأيام لم يُلْفَ آسيا
وأظْمَا فأرْوى بالنسـيم تعللاً ... عن الماء كيلا يعلمَ الله ما بيا

ومنها :

وهاجرةٍ تُذْوِى[1] الوجوهَ ارتديتها ... وقد عَمَّتْ صُلْعَ الرُّبى[2] القباطيا[3]

ومنها :

وليـل كأطمار[4] الثَّكالى دَرَعْتُهُ ... بصحبٍ يُضَاهُون النجومَ الدراريا
وخَرْقٍ كراح المُجْتَدِينَ قطعتُه ... بمتأطِراتٍ[5] كالقِسِىِّ نواجيا[6]
بمعقورةٍ[7] مثـلِ الهلالِ كأنما ... طلَى السَّيْرُ منها بالـكُحَيْلِ[8] الذواريا[9]
ينازع من أعقابها الجذْبُ بالبُرَى[10] ... أفاعىَ حِقفٍ[11] لا تجيبُ الرواقيا

(١) تذوى : تذبل ، وفى الأصل : تزوى .

(٢) فى الأصل هكذا : الروى ، والربى : الربوات .

(٣) القباطى : جمع قبطية وهى ثياب تنسب إلى قبط مصر الذين كانوا يصنعونها .

(٤) أطمار : جمع طمر وهو الثوب الخلق .

(٥) المتأطرات : المتقوسات ، ويريد الإبل .

(٦) نواجى : جمع ناجية وهى الناقة السريعة .

(٧) معقورة : مضروبة ولعله يكنى بذلك عن كثرة سيرها .

(٨) الـكحيل : القطران . (٩) الذوارى : الأعالى .

(١٠) البرى : جمع برة وهى حلقة توضع فى أنف البعير .

(١١) الحقف : المعوج من الرمل .

١٠ — الأعز أبو الفتوح

المعروف بابن قلاقس وهو

نصر* [الله] بن عبد الله بن على بن الأزهرى

ذكر لى نجم الدين بن مَصَال[1] أنه كان من أهل الإسكندرية وقاد الخاطر، ذا الفضل الوافر، مات بعيذاب عند رجوعه من اليمن ولم يبلغ عمره ثلاثين سنة. ٥

أنشدنى له من أبيات يصف أمراضه :

نُـكِسْتُ فى الأمراض بعـ دَ إفاقتى نكسَ الهلالِ
والرأسُ مثـل الـكاس لو لا عـلةٌ نالته خالى

وأنشدنى له من قصيدة :

لا تثنِ خدَّكَ إن الروض قد جِيدَا[2] ما عطّرَ القطرُ من نوّاره جِيدا ١٠

ومنها :

وقف[3] أبثُّكَ ما لان الحديدُ له فإن صدقتَ فقل : هل صرتَ داودا

(*) شاعر إسكندرى ولد سنة ٥٣٢ هـ، وتوفى سنة ٥٦٣ هـ رحل إلى صقلية وبقى بها نحو عامين، ثم رجع إلى مصر وتركها إلى اليمن ومات بعيذاب بعد رجوعه منها سنة ٥٦٧ هـ. وله ترجمة فى معجم الأدباء ١٩/٢٢٦، وابن خلكان ٢/٢٣١، وشذرات الذهب ٤/٢٢٤، وحسن المحاضرة ١/٣٢٤، ومسالك الأبصار الجزء الثانى عشر المجلد الأول الورقة ٢٣. ولابن قلاقس ديوان مطبوع راجعه وضبطه خليل مطران، وسنرجع إليه فى تحقيق هذا النص.

(١) أحد أعيان الدولة الأيوبيـة كان له عند صلاح الدين والفاضل فضل وإفضال، وهو الذى سعى للعماد حتى يتخذه الفاضل فى كتابه. انظر الروضتين ١/٢٠١.

(٢) جيدا : نزل به الجود وهو المطر.

(٣) هكذا فى الديوان وفى الأصل : وقد.

ومنها :

يا ثعلبَ الصبحِ(١) لاسرحانَ أوّلِهِ خذِ الثريّا فقد صادفْتَ عُنْقُودا

وله :

ما ضر ذاك الريمَ أنْ لا يَرِيمْ لو كان يرثى لِسَليمٍ سَليمْ(٢)

٥ ومنها :

تراهُ لما أن غدا روضةً أعلّ جسمى كى أكونَ النسيم(٣)

رقيمُ خدٍّ نامَ عن ساهرٍ ما أجدرَ النومَ بأهلِ الرقيم(٤)

وله من أخرى :

فهمتُ عن البارق المطر حديثاً ببالكَ لم يَخْطُرِ

١٠ يقول سهرتَ فأجرِ(٥) الدموعَ وإلا فإنّكَ لم تسهرِ

ومنها :

فيا عَبْلَةَ الساقِ لا أشتكى [إليك(٦)] / سوى وجدىَ العَنْتَرى(٧) [٥٣ ظ]

ثم ظفرت بكتاب الزهر الباسم من أوصاف أبى القاسم(٨) ، وهو بعضُ

---

(١) فى الديوان ، وفى أعيان العصر (رقم ١٠٩٤ تاريخ بدار الكتب المصرية جـ ٢ ورقة ٢٢٠) الفجر .

(٢) السليم : الصحيح واللديغ . (٣) رواية هذا البيت فى الديوان هكذا :

أغيد مذ همت به روضة أعل جسمى لأكون النسيم

(٤) يشير إلى قصة أهل الكهف المعروفة .

(٥) فى الديوان : فأذر . (٦) زيادة من الديوان سقطت من الأصل .

(٧) العنترى : نسبة إلى عنتر ، ذكره مشاكلة مع كلمة عبلة فى أول البيت .

(٨) هو أبو القاسم بن حمود المعروف بابن الحجر ، وقد وصفه ابن جبير بأنه زعيم أهل الجزيرة من المسلمين فى عصر النورمان بصقلية ، وأثنى عليه بكثرة الصنائع والصدقات .

القواد بجزيرة صَقَلِّيَةَ فأطْلَعْتُ فيه وأطْلَعْتُ فى فَلَكِ الخريدة نجومَ معانيه .
فأول ما بدأ فيه بوصف الكتاب ، كلامٌ أصفى ديمةً من دَرِّ السَّحابِ ، وأوفى قيمةً من دُرِّ السِّخابِ . فمن ذلك :

هــذا كتابٌ نظمتُ فريدَهُ فى عِقْدِ الكرم ، وجلوتُ فِرِنْدَهُ فى عَضْبِ الهِمَمِ ، واستخلصتُ بنار الطبع تبرَهُ ، وشحذت من لَسَنِ الذهن تَبْرَهُ ، وأنبتُّ ٥
فى روض الشرف أزاهره ، وأثبت فى سماء العز زواهره ، ووسمت عواتق المجــدِ بحمائله ، ورقمتُ دمائثَ[1] الحمد بخمائله ، ناضرةً[2] مُشْرِقة اللألاء ، بل مشرقة الآلاء[3] . وهذا السَّيِّدُ الأَيَّدُ — وإن عَظُمَ سُوره ، وكبر صُوره[4] ، وشرُفَ نسبه ، وظرُفَ نَصَبه[5] ، واجتلى من مجالس الفضل ، ومفارس النبل — منتدى
صدور إيوانها[6] ، ومبتدأ سطورِ ديوانها ، فإن مثلى وإياه كراعى سنين عجاف ، ١٠
وداعى مُشبِتين لإيجاف[7] ، طواه إدقاع ، وأجراه صفصف قاع ، فاحتل بوَهْد ، رهين جهد ، ماله بالسحاب وأذيال السحاب من عهد ، قد لفته النكباء فى شملتها ، وأتلفته بتفصيلها وجملتها ، فلما[8] يبست مراتعه ، ويئست مطامعه ، أتتْ أُكيلةُ ليثٍ فَسَامها ، وعنَّت مَخِيلةُ غَيْثٍ فشَامها ، وأصاخَ ليستمع أين موقعُه ، وينتجعَ
ما ينفعُه ، وإذا هو نبتٌ ، فى رمل خَبْتٍ ، قد أرضعته بدَرِّها الأمطارُ ، ورصَّعته ١٥
بدُرِّها الأزهار ، واندفقت[9] أنهارُه ، وسجعت أطياره ، بما خَرَقَ له مُخَارِقٌ[10]

---

(١) دمائث : جمع دميثة وهى ما سهل ولان من الأرض .
(٢) فى الأصل : حادرة . (٣) فى الأصل : اللألاء .
(٤) الصور : النفير الذى ينفخ فيه .
(٥) النصب : حدود البيت ، وهى كناية . (٦) فى الأصل كيوانها .
(٧) المسبت : الذى لا يتحرك ، والإيجاف : الاضطراب والحركة ، وفى المثل أوجف فأعجف وفى الأصل : لايخاف .
(٨) فى الأصل : فلا . (٩) فى الأصل : أندفت .
(١٠) مخارق : مغن مشهور فى العصر العباسى .

نجيبَ الإبداع وانحطَّ به ابنُ جامعٍ[١] عن درجة الإجماع ، فوقع اختيارُهُ بما أداه إليه اختباره ، على شجرةٍ أصلُها فى الماء ، وفرعها فى السماء :

يَصيفُ إلى مُرتقَى مُنْتَقَى ويُشْتِى[٢] إلى مُجْتَلَى مُجْتَنَى
وتأتى على حالتىْ سَوْمِها[٣] لذا بالمَنُـــونِ وذا بالمُنَى

وهو — أيده الله — تلك النخلةُ ذاتُ الظلِّ المديد ، والتمر الجديد ، من الطلع النضيد ، وأنا ذلك الراعى الذى هَجَرَ مَلأَهُ ووجد كَلأَه . وسائر الكرام وإن كانوا كنَبْقَةٍ [فى] تلك الحديقة الأنيقة ، ففى كل شجر نار ، واستَمجد المَرْخُ والعَفَار[٤] .

ومنها : والعصر ، إن فى لَمصر[٥] ملكاً استملك رقَّ المِدَح ، واستهلك المِحَنَ بالمِنَحِ ، نقلَ الدهرَ إلى نقشِ خاتمه ، وجعل موطئَ كَعْبِهِ هِمَّةَ « كَعْبِه » وباهى بنهضة من عُمْرِهِ نهضاتِ « عُمَره » ، وكم نَقَّى مثار عِثْيَرِه[٦] ، ممن يصول « كعنتره » ، وكم استبله فى باسِهِ ممن يضحك « بإياسه » . فما زال مَرتعُ آمالى فى ذُرَاه خَصِيبًا ، وسهم مطالبى فى ثغر النجاح مصيبًا ، وأمانىَّ لا تجدُ « لابن ليلى » دونه فى بيت « نُصَيْب[٧] » نصيبًا .

وإنما لقيتُ من وعثاء السفر ، ولقاء[٨] الخطر[٩] ، وابتغاء الظفر ، قبل

(١) ابن جامع : مثل مخارق ، وكانا يغنيان فى عصر الرشيد .
(٢) فى الأصل هكذا : وسى .
(٣) السوم : فى المبايعة .
(٤) فى الأصل : واستجمد المرج والعقار . والمرخ والعفار : نوعان من الشجر يتخذ الزند منهما . وهو مثل يضرب فى تفضيل بعض الشىء على بعض .
(٥) فى الأصل : مصر .
(٦) العثير : الغبار .
(٧) يشير إلى مديح نصيب لابن ليلى وهو عبد العزيز بن مروان ، والى مصر لأخيه عبد الملك ، وكان ممدحاً الشعراء يؤمونه من الحجاز والعراق ونجد .
(٨) فى الأصل : والقاء . (٩) فى الأصل : الحضر

حلولى بهذه الحضرة النضرة حضرة القائد أبى القاسم الأجل الذى إن ألبس قلمه المداد، عَرِى من الفصاحة « قُسُّ إياد »، وأنطقَ طِرْسُه الرسائلَ، أخرس عن الخطابة « سحبان وائل ». يلزم لديه « ابنُ العميد » سَمْتَ العبيد، ويغدو عليه « عبد الحميد » غير حَمِيد، ويقول له « الصاحب » أنا عبد لا صاحب، ونهاية « الصابئ » أنه بألفاظه صابئ؛ حتى لو انقلب الديوانُ ديوانَ شعر، والقرطى[1] أقراطَ شَذْر، لكان هو المقرِّظ المعلَّى والمقرظ المحلَّى — ما أوجبَ ذاك الشكو الذى دخل بهذا الشكِّ، وجاء بهذا الشكر. فالحمد لله حمداً تقصر الألفاظُ عن حصر معانيه، ويعيى النيةَ منتهاه عن قدر وسعها فتمانيه، وصلى الله على محمد وآله ما خفق آل، وحقق الآمال فى هـذا الحساب مال ومآل.

ومنها فى وصف البحر ·

إنى لما تسنَّمتْ[2] الأمواجَ فى ذات الألواح، وتنسَّمت الإزعاجَ من ذات الأرواح[3]، قلت السلامة إما ميلاد[4]/ ومَعاد، أو يوم معاد، وعجبت من حالى، فى حلى وترحالى، فتشـوقتُ الوطنَ والوطر، وكلَّفتُ الخـاطرَ وصف ذلك الخَطَر، فقال :

[٥٤و]

لو لم يحرِّم على الأيام إنجادى	ما واصلتْ بين إتهامى وإنجادى[5]
طوراً أسيرُ[6] مع الحيتان فى لجج	وتارةً فى الفيافى بين آساد
إما بطائرةٍ فى ذا ورازمةٍ[7]	أو فى قتادٍ على هـــذا وأقتاد[8]

(١) كذا فى الأصل ولعلها والقريض.
(٢) فى الأصل : اقتسمت . (٣) ذات الأرواح : الرياح .
(٤) فى الأصل : ميلا، ومعاد : رجوع، ويوم المعاد : يوم القيامة يكنى به عن الموت .
(٥) إنجاد الأولى : من النجدة، والثانية : من نجد وكذلك إتهامى : من تهامة .
(٦) فى الديوان : أطير .
(٧) الرازمة : الناقة المهزلة من كثرة السير، وفى الأصل : وطارمة .
(٨) القتاد : شجر له شوك كالإبر، والأقتاد : جمع قتد، وهو خشب الرحل .

والناس كُثْرٌ ولكنْ لا يقدَّرُ لى ... إلا مرافقةُ للملَّاحِ والحادى
هذا وَلَيْتَ طريقَ ما رُميتُ[1] به ... مسلوكتان لرُوَّاد ووُرَّاد
وما أسيرُ إلى رومٍ ولا عربٍ ... لكنْ لريحٍ وإبراقٍ وإرعاد
أقلعتُ والبحرُ قد لانت شكائمه ... جداً وأقلعَ عن موجٍ وإزباد
٥ فعادَ لا عادَ ذا ريحٍ مُدَمِّرَةٍ ... كأنها أختُ تلك الريح فى عاد[2]
ولا أقولُ أبى لى أن أفارقكم ... لحيثما سرتُ يلقانى بمرصاد
وقد رأيتُ به الأشراطَ[3] قائمةً ... لأن أمواجه تجرى بأطواد
تعلو فلولا كتابُ الله صحَّ لنا ... أن السمواتِ منها ذاتُ أعماد
ونحن فى منزلٍ يَسْرى بساكنه ... فاسمعْ حديثَ مقيمٍ بيتُه غادِى

١٠ ومنها:

لا يستقرُّ لنا جنبٌ بمضجعه ... كأن حالاتنا حالاتُ عُبَّاد[4]
فكم يُعفِّرُ[5] خدٌّ غير منعفرٍ ... وكم يخرُّ جبين غير سَجَّادِ
حتى كأنا وكف النَّوْءِ تُقلقنا ... دراهمٌ قَلَّبَتْها كفُّ نقَّاد
وإنما نحنُ فى أحشاء جاريةٍ ... كأنما حَمَلت منَّا بأولاد

١٥ ومنها:

يا إخوتى ولنا من ودِّنا نَسَبٌ ... على تباين آباء وأجداد
نقرا حروفَ التهجِّى عن أواخرها ... ونحنُ نخبطُ منها فى أبى جاد
ولا تلاوةَ إلا ما نكرره ... من مبتدا النحلِ أو من منتهى صاد

(١) فى الديوان: مهرت .
(٢) يشير إلى ما جاء فى القرآن الكريم من وصف ريح عاد وأنها كانت صرصراً عاتية
(٣) يريد أشراط الساعة .
(٤) هكذا فى الديوان ، وفى الأصل أعياد .
(٥) هكذا فى الديوان ، وفى الأصل : فلم يصعر .

متى تُنَوِّرُ آفاقُ المَســـرة لى ... بكوكبٍ فى ظلام الليل وقّاد
وألحظُ للشُّرفاتِ البيضَ مشرقةً ... كالبيضِ مشرقةً فى هام أنجاد
وأستجدُّ من الباب القديم هَوىً ... عن الـكنيسة فيه جلُّ إسنادى
بحيث أنشُدُ آثاراً وأنشِـــدُهَا ... فيُبلغ العـذْر نشدانى وإنشادى
القصرُ فالنخلُ فالجمّاء بينهما(١) ... فالأَثْلُ فالقصباتُ الخضرُ فى الوادى ٥
متى(٢) أروحُ وأغـدو فى معاهدها ... كما عهدتُ سماها الرائحَ الغادى
متى تقرُّ(٣) ديارُ الظاعنين بهمْ ... والبينُ يطالبهمْ بالماء والزاد

ومن النثر فى وصف المركب وأهله :

ثم إن البحر تخبّطَه شيطانُ الموجِ من مسِّ الريح ، فلو رأيته وقد شابَ فى عنفوان شبابه ، وشابَهَ فروعَ الأطواد بأصولِ هضابه ، والحِنيَّة(٤) تدوَّى بأهلها ، ١٠ كالخليَّة بنحلها ، ونحن نصلى لمؤنس يونس وعلى لوح نوح ، لاسترشدتَ رأىَ من آثرَ الجبلَ فى العصمة وما لحقتَ(٥) بأبيه — لولا وحى الله عز وجل — وقلت الصخر ، يقى أنّى حضر . هل غنَّى لجنوبته(٦) عليه إلا المنية ؟ ولم يزل يدنو كالمجنون ، وتداريه من الجنون ، حتى كسته الرُّخاء ثوبَ وقارها ، وأمسكت الزعزعُ عنه كأسَ عُقارها ، فصحَّ وصحا بعد جنونه وسكره ، ونطق منا بلسان المجاز بالحقيقة بعد ١٥

(١) شطر من بيت لأبى قطيفة الذى نفاه ابن الزبير عن المدينة إلى دمشق ، فمكث يكتب فيها متشوقا ومن شعره :

القصر فالنخل فالجماء بينهما ... أشهى إلى القلب من أبواب جيرون

والقصر قصر سعيد بن العاص فى المدينة ، والجماء : مرتفع صخرى تسيل منه المياه ، ويشتهر العقيق بجماوات ثلاث . وجيرون : دمشق .

(٢) فى الأصل : عنى . (٣) فى الديوان : تعود .

(٤) الحنية : المركب لانحناء شكلها وتقوسها وفى الأصل : الحلية .

(٥) فى الأصل : وألحقت . (٦) المجنونة : يريد بها السفينة .

المجاز[١]، فوصلنا طرف الجزيرة بمَسِّين[٢] غرّة شعبان سنة ثلاث وستين وخمسمائة.

بلدٌ أعارتْهُ الحمامةُ طوقَها وكساهُ حُلّةَ ريشه الطاووسُ
فكأنما الأنهارُ منه سلافةٌ وكأن ساحاتِ الديارِ كؤوسُ

ومن شعره فى الزهر الباسم قصيدة[٣] مطلعها :

٥ راقها مطربُ الأغاريدِ فاسترقَتْ هِزّةَ الأماليدِ[٤]
ودَبَّ خمرُ السُّرى بأذرعها فَهْى على البيدِ فى عرابيد
وغادرتْها الصبا بمهلكةٍ[٥] تفجّرُ الماء فى الجلاميد
تحملُ عن روضِ عالجٍ[٦] خبراً تسنده عن ظبائه الغيد
أجرى عليه السحابُ دمعَ شجٍ ومزّقَ البرقُ جَيْبَ مَعْمود
١٠ فأغرقَ الريحَ بين أربعها موجُ وجيفٍ ببحر توحيد

ومنها :

فى ذمة الشوق مهجةٌ ركضتْ تتبعُ زُوراً من المواعيد
أهدَوْا إليها الخيالَ إذ كحلُوا جفونَ أحداقِها بتسهيد
وانعطفوا للأراكِ وَهْىَ عَلَى عهدٍ من البانِ غيرِ معهود
١٥ عذرٌ يهزُّ الجفاه دوحتَه تحت صَدوح الملالِ غِرّيد
/ وناصحٍ يمحض المودةَ لى وليس فى نصحه بمودود [٥٤ظ]
ظنَّ فؤادى معى فأنبَهَهُ وَهْوَ من الوجدِ غيرُ موجود
سار وجيشُ الغرامِ يتبعه تحت لواء عليه معقود

(١) المجاز : يعنى به المضيق الواقع بين صقلية والبر الإيطالى .
(٢) مسينى : بلد بجزيرة صقلية فى ركنها الشرقى ولها مرسى كبير تجتمع إليه السفن الكبار والمسافرون والتجار .
(٣) هذه القصيدة ليست فى الديوان ، والديوان فى حقيقته مختارات .
(٤) الأماليد : الأغصان الناعمة . (٥) المهلكة : المفازة .
(٦) عالج : موضع به رمل .

ومنها :

عَرَّجَ عنها الصباحُ منطلقاً وغادرَ الليـــلَ رهنَ تقييد
لا يعرف الشطبُ القيم بها لولا الثريا مكانَ عنقـــودِ
من عُلَّقَ البيضَ صارمَتْ يَدَهُ حبالُ تلك الغدائرِ الســـود
وَعِمَّةُ الشيبِ لا خُدِعْتَ بها أخلقُ شيء أوانَ تجديد ٥
واللهوُ خدنُ الصبا فَمُذْ[1] فُقِدَتْ أيامُهُ لم يكنْ بمحمـــود
وأغبنُ النـــاس من أَلَمَّ به فَقْدُ سوادٍ وفوْتُ تسـويد[2]
وفى بنى الدهر كلُّ مُعْضِـلَةٍ من التى فات والمواجيـــد
إن أسكرونى بخمر لومِهِمُ فقد رَموا عِرْضَهُم لعربيـد
ومُوعِدٍ صـاح بى فقلتُ له ربَّ وعيـدٍ يَطيحُ فى البيد ١٠
قد أقسم الحمـدُ لا يسيرُ إلى غيرِ أبى القـاسم بن حَمُّودِ
فى يده للنوالِ معـــركةٌ أرَى بها البخـلَ صارمَ الجيد
وعنده للضـــيوفِ نارُ قِرًى تعرفها البُزْلُ[3] كلما يُودِى[4]

ومنها :

وتلتقى كُتْبُه الـكتائبَ فى جيشٍ من الخطِّ صائدِ الصـيد ١٥
بكلِّ لفظٍ كأنه نَفَسٌ غـــيرُ مُملِّ بطولِ ترديد
صحَّتْ معانيه فاقتسمنَ إلى فضـلِ ابتكار وحسن توليد
وربما استضحك الخميسُ به عن أهرتَ[5] المـاضغين صنديد

---

(١) فى الأصل : فقد .

(٢) السواد : سواد الشعر كناية عن الشباب والتسويد : الخضاب .

(٣) البزل : الإبل .

(٤) يريد كلما ذبح البزل للضيفان . (٥) أهرت : من الهرت وهو التمزيق .

يهوى قَوامَ القناة ذا هيَف ووجنةَ العَضْب ذات توريد

ومنها :

دوحةُ مجدٍ تميدُ ناضرةً لمحسناتٍ بحسنٍ تجديد
عرضتُ منها لنار تجربتى عودًا فقاحت روائحُ العود

٥ ومن قصيدته الموردَة الثانية كلّة مطلعها :

نَعَمْ هُوَ البرقُ على الأنعُمِ[1] فاشْقَ به إن شئت أو فانْعمِ
لاح بأعلى هضبة خافقًا خَفْقَ لواء البطل المُعْلَمِ
وزلّ عن صَهْوَةِ طِرْفِ الدجى سقطةَ جُلٍّ الفَرَسِ الأدْهَمِ
حتى إذا قابلَ وادى الغضا أغضى على مدمعه المثجم[2]
١٠ واستقبلَ السفحَ وكم فوقه من مقلةٍ سافحةٍ بالدمِ
فجينا شقّ كنوز الربى عن ذلك الدينار والدرهم
فام نسله[3] الحى يجنينةُ بين فرادى منه أو توأمِ
فأشكل النُّوران من مَبْسِمٍ تَعْبَقُ ريّاه ومن مَنْسِمِ[4]
واشتبه الروضان فى نضرة إلى حياه وحيّا ينتمى
١٥ ما بين جنّاتٍ إلى أعينٍ وبين خيْرِىّ[5] إلى حَيْرَمِ[6]
ومعركٍ بينهما لم يزلْ يفتكُ فيه الظبىُ بالضيغم

(١) الأنعم : موضع فى عالية نجد .
(٢) المثجم : من أثجمت السماء : سال مطرها ودام .
(٣) فى الديوان : فرادى .
(٤) منسم : من نسم المكان : عبق بالأريج .
(٥) الخيرى : نوع من الزهر .
(٦) الحيرم : البقر الوحشى ، وفى الأصل : حرم .

بين حِمًى بات كليبٌ[1] به مجرّدًا من شملةِ المحتمى
يمنعُ ضيفَ العين منه القِرَى وهو مباحٌ ليـدٍ أو فم
يا عاقرى النيبِ[2] لضيفانهم غلطتُمْ فى كبدِ المغـرم
أتلفتمُ قلبى فماذا الذى خفّفَ عنكمْ ثِقَلَ المَغْرَم
كم من دمٍ باتَ به[3] حيُّكم كأنه ملتقط العنـدم ٥
وكم عيونٍ أصبحت عندكم معدودةً من جملة الأسهم
لا طَرَقَتْ ربعَكُمُ غارةٌ يَسْأَلُ فيها معشرى عن دمى
ولا سرتْ نحوكمُ أسْرةٌ تأميرُ بالداهيةِ الصيلم[4]
من كل من تصدُرُ أسيافُهُ بضربةٍ مثل دم الأهتم[5]
يقول إن جرَّ كعوبَ القنا تأبّطَ الضيغمُ بالأرقم ١٠
لو لم تكنْ من فَتَكاتِ الهوى شَقَّتْ على الحافرِ والمنسم
ما هذه أوّل ما ردّنى عنه بلا أجرٍ ولا مغنم
خلِّ عن عتبك لى إنها شِنْشِنَةٌ تُعْرَفُ من أَخْزَم[6]
أقسمتُ بالله ولولا علا مجدِ أبى القاسم لم أقسم
إن أبنَ حمّودٍ له راحةٌ تستجلب الحمدَ من المرزم[7] ١٥
المجمِلُ[8] النعمُ إن حُبِّرَتْ مدائحٌ فى المجمل المنعم

---

(١) يشير هنا إلى كليب وما كان عليه من زهو شديد فكان يحمى مواقع السحاب ، فلا يرعى حماه ، ولذلك يقال فى المثل (أعز من كليب) .

(٢) فى الديوان : البيت وهو تحريف .

(٣) هكذا فى الديوان وفى الأصل : بكم . (٤) الصيلم : السيف .

(٥) الأهتم : لقب سنان بن خالد لأن ثنيته هتمت يوم الكلاب .

(٦) مثل يضرب فى قرب الشبه .

(٧) المرزم : نوء ونجم من الشعريين وهما من نجوم المطر .

(٨) المجمل : الذى يصنع الجميل .

والكعبةُ الغـــراء لـكنها[1] تُحِلُّ ما يَحْرُمُ للمحـــرم
فى كل يومٍ لوفود النــدى ببابه[2] مُجْتَمَـــعُ الموسم
للمالِ من راحتـــه عندهم أضعافُ ما للمــاء من زمزم
/ يفيض بحرُ الجود من كفِّـهِ فَيَزْدَرِى بالزاخـر الخِضْرِمِ [٥٥ و]
٥ سائِلُهُ أو سَـــــلْهُ تجد عندهُ هُدَى جهولٍ وغِنَى مُعْـدِمِ

ومنها :

ولو أعارَ الليـــلَ آراءه ما احتاجَ ساريه إلى الأنْجُم
فضائلٌ كادتْ لإفراطِهـــا تُنْطِقُ بالشـكرِ فمَ الأبكم
ما بدأ الإحسانَ فاحتاج أن يقول راجيـــه لهُ تَمِّمِ
١٠ يا من يجـاريه إلى غايةٍ سالِمْهُ وأَرْجِعْ دونَه تَسْلَمِ
لا يرتقى للنجم ذو سُـلَّمٍ فـكيف من كانَ بلا سُـلَّمِ
يا سـيدًا أفعالُهُ غُرَّةٌ فوق جبـينِ الزمن الأدهم
صُمْ وافرَ الأجْر وصِمْ[3] حاسدًا يشجوه قولى لك صُمْ أو صِمِ
وابقَ وزدْ واعلُ وسُدْ واصطنعْ وأردفْ[4] وجُدْ وابدأْ[5] وعِدْ واسْلَمِ

١٥ وله من قصيدة :

زَهَرْنَ[6] فاعجب لروضٍ ماله زَهَرُ إلا المباسمُ والألحاظُ والطرَرُ
ولا تسلْ لهبُ الوجناتِ يَحْرِقُها فللعـذارِ[7] على أرجائهـا نَهَرُ

(١) فى الديوان : لـكنه . (٢) فى الديوان : بنائه .
(٣) صم : من الوصمة وهى العيب والعار .
(٤) فى الديوان : وارق .
(٥) فى الديوان : وابد .
(٦) فى الديوان : سفرن ، وستر وزهر : أشاء . (٧) فى الديوان : فللعقود .

أحْسِنْ بها غُرَرًا قالت محاسنهـــا ... بالنفسِ يُحْمَدُ فى أمثالىَ الغَرَرُ[(١)]

سفرْنَ[(٢)] والليلُ طِرفٌ أدهمٌ فَجرَتْ ... فيـه الحجولُ من الأنوارِ والغُرَرُ

وقُمْنَ[(٣)] يَخْطِرْنَ فى الأجفانِ مرهفةً ... لو كانت البيضَ قلنا إنهــا البُتُرُ

وكان من فعلها بالسحرِ أنْ فعلت[(٤)] ... على العِشَاء بمـا يأتى به السَّحَر

فمـا ارتقبتُ الدرارى إذ سهرت لهـا ... إلا كأصدافِ يَمٍّ[(٥)] حشوُهَا دُرَر

ولا اجتليتُ بدورَ الأفق عن كَلَفٍ ... إلا بمن أتلفَتْ فى صَوْنِهِ البِـدَرُ

وفى الحشا والحشايا صبـوةٌ كَبرتْ ... فزادها عنفـــواناً ذلك الـكِبَر

تورى زنادَ اشتياقى ما استطارَ به ... لى من مشيبىَ بل من أدمعى شَرَر

وفى فؤادىَ لا فَوْدِى قتير[(٦)] هوىً ... لم يُخْفِهِ الشَّعْرُ إن لم يبده الشِّعَر

ومنها :

أنا المحبُّ وما بى من يقـــالُ له ... أولى لك العذلُ لا أولى لك العُذُر

إن قلتُ ماسَ فمـا قصدى به غُصُنٌ ... أو اســتنارَ فمـا قصدى به قَمَرُ

المـالُ عند ذوى الإقتارِ[(٧)] مُحْتَقَبٌ ... وللـالُ عنـــد ذوى الأقْدارِ محتقر

فإن عدمتُ الذى صاروا به عُدَمًا ... فمـا افتقرتُ وعندى هــذه الفِقَر

ولم أُقَلْقِلْ ركابى أنْ نأى[(٨)] وطَنٌ ... ولا أطلتُ اغترابى أن نبـا وطر

لـكن بنو الحجَرِ استدعت مكارِمُهُمْ ... عَزْمى وقد كاد يُسْتَدْعَى بها الحَجَر

نادى لسانُ النـدى منهمْ فأسمعنى ... فقمتُ أعبر بحرًا[(٩)] كله عِـبَر

---

(١) الغرر : الخطر
(٢) فى الديوان : ولحن .
(٣) فى الديوان : وقلن .
(٤) فى الديوان : هجمت .
(٥) فى الأصل : صم .
(٦) القتير : الشيب .
(٧) فى الأصل : الأقدار ، وفى الديوان : الأوزار .
(٨) فى الأصل : نبا .
(٩) فى الديوان : سحر .

ومنها :

ترى المواخرَ تجرى فى زواخرِه ... فترتقى فى أعاليـــه وتنحدرُ
من كل سوداء مثلِ الخال يحملها ... بوجنةٍ منـه فيها للضحى خفَرُ
لذاك جادوا نَدًى فيه أجَدْتَ بنا ... فليس يُعْرَفُ لا حَصْرٌ ولا حَصَرُ

٥ ومنها :

والشعرُ منـه قصيرٌ عمره زَهَرٌ ... يَذْوى ومنه طويلٌ عمره زُهُرُ[١]
وكالمواعظِ سهلٌ صَوْغُها زُبُرٌ ... وكالحديدِ ثقيـلٌ وزنه زُبَرُ[٢]
أو كالعيونِ فهذى حظُّها حَوَلٌ ... يَغُضُّ منها وهذى حظُّها حَوَرُ

ومنها :

١٠ لله درُّ حَياء[٣] حزته وحِبًا[٤] ... كأنك العضْبُ منه الأثْرُ والأثَرُ
وفى يمينك يجرى كيف تأمره ... ما يحسد الذكرَ عنه الصارمُ الذَّكَرُ

ومنها :

أنالنى فى اغترابى كلُّ مُغْربة ... فما النفيرُ بمعدومٍ ولا النَّفَر
وشد أزرى فما أخْفَى بنائبةٍ ... تقولُ أبياتهـا هيهات لا وَزَرُ
١٥ من بعد ماقرَّعَتْنى كلُّ قارعة ... أيامها الحر[٥] من أعيانها الحُمُرُ
وبت أضرب بالأشعارِ طائفةً ... لو أنهمْ ضُربوا بالسيف ماشعروا
إذا نحتُّ القوافى من مقاطعها ... قالوا تكلفْتَ لنا أنْ يَفْهمَ البقَرُ

(١) زهر : نجوم كناية عن الخلود .
(٢) الزبر الأولى : الكتب ، والثانية : قطع الحديد .
(٣) فى الديوان : حياً قد حزته .
(٤) الحبا : العطاء .
(٥) الأيام الحر : الشديدة أو المجدبة .

وقال من قصيدة يصف فيها البحر وركوبه وقَصْدَه أيام وفوده :

سَفَرَتْ عنكَ أوجُـه الأَسْفَارِ   وجَرَتْ بالمنى إليك الجـوارى
فرفعنا إليكَ الـكواكب يا بد   رَ الدياجى على الهـلالِ السارى
وركبنا على عَذَاب بحـــــارٍ   أنزلتنا على عِذَابِ بحـــــار
واعتسافُ الأخطار[1] يجمُلُ[2] ما كا   ن طريقاً إلى ذوى الأخطار ٥
ما امتطينا أخت السحائب إلا   لتوافى بنـــا أخا[3] الأمطار
كل نونٍ من المراكب فيهـــا   ألِفَاتٌ مصفوفة الصـــوارى[4]
تَقْسِمُ المـــاء والهواء لساقٍ[5]   وجناحٍ من عائمٍ طيـــار
وهى ضِدَّانِ من جوانح ليــلٍ   قد أُقيمَتْ ومن جناحَىْ نهار[6]
[٥٥ ظ] / صُوِّرت كالفيولِ لولا قلوعٌ   أبرزتها فى صورةِ الأطيـــار ١٠
عَوَّضَتْنَا الأوطانَ عنك والأو   طارَ بعد الأوطانِ والأوطار
فاستحقَّتْ بأن تُعَوَّضَ عودا   بعد عُود وعنـــبراً من نار

ومنها :

وأياديك إنهنَّ ثمـــارٌ   حَمَلَتْهَا معاطفُ الأحـــرار
ومساعيـــك إنهنَّ نجومٌ   مشرقاتٌ على سماء الفخار ١٥
أنْتَ فى الفضل فى بنى الحجر السا   دةِ مثلُ الياقوتِ فى الأحجار

---

(١) فى الأصـل : يجمل . (٢) ما : هنـا ظرفية زمانية .
(٣) فى الأصل : أخو .
(٤) رواية الديوان : ألف مستقيمة الصـوار . والصوارى : جمع صارية وهى العمد التى يشد إليها الشراع أو القلع .
(٥) فى الديوان : بساق .
(٦) يشير إلى ظاهر السفينة ، وما كانوا يضعـون عليهـا من قار ، وإلى قلاعها وشراعها .

ومنها فى القلم :

وبيمناك طَيْرُ يُمْنٍ(١) وسَعْدٍ أصفرُ الظهر أسودُ المنقـار
قـلمٌ دبَّرَ الأقاليم فالكتـ ـبُ به من كتائب المقدار(٢)
يا طرازَ الديوان والملكِ أصبحـ ـتَ طرازَ الديوان فى الأشعار
٥ وبنوكَ الذين مهما دجا الخطـ ـبُ أرَوْنَا مطالعَ الأقمار
فأبو بكرٍ الذى أحـرز المجـ ـدَ بسعى الرَّواحِ والإبتكار
وتلاه فيما تلاه أخـوه عُمَرٌ عاش أطولَ الأعمـار
ولعثمانَ حـظٌّ عثمانَ إلا فى الذى دار من حديث الدار(٣)

ومنها :

١٠ وإذا شئت فالمجـرَّةُ بحرٌ لىَ فيه بناتُ نعشٍ سمارِى(٤)
وبكفِّى من النجومِ كثيرٌ هُوَ مَا قَدْ وهبتَ من دينار

ومن نثره فيه :

ولما أذن لشوالٍ فى أن تُشَالَ(٥) الـكؤوس، ويُوضعَ(٦) فى طاعة الخمر بالرءوس، خلعنا عن سوالفِ الخلاعة عذَارَ(٧) العَذَلِ ، وركبنا خَيْلَ الفتك والمجونِ على أرض الجذَلِ ، وقلبنا لبطن العفة ظهر المِجَنِّ ، وسرنا نَبْعَجُ(٨) تحت عجاجِ النُّذُرِ(٩) ١٥ ووِدَاجَ(١٠) الدنِّ .

---

(١) هكذا فى الديوان وفى الأصل : سعد . (٢) فى الديوان : الأقدار .
(٣) يشير إلى قصة محاصرة الثوار لدار عثمان ثالث الخلفاء الراشدين ، وهى محاصرة انتهت بقتله. (٤) سمارى : جمع سمير وخفف للشعر . (٥) تشال : تحمل .
(٦) يوضع : من أوضع البعير فى السير ، وأوضع : أسرع .
(٧) فى الأصل : عذر . (٨) نبعج : نشق بالسكين .
(٩) فى الأصل : البدور ، والنذور : جمع نذر ، وهو الوعد ، وهو أيضاً العقل فى الثأر . (١٠) الوداج : عرق فى العنق .

وله فى وصف بركة :

بركةٌ بوركتْ فنحنُ لديها ... نستفيدُ الغِمارَ[1] فى مُخضاحِ

قطرتْ من قرارها بعيونٍ ... غادرتنا بأسرعِ الإلماحِ

تسرق اللحظة اختلاساً وتمضى ... نظرةَ الصبِّ خافَ إنكارَ لاحِ

قد صَفَتْ واعتلى الحَبَابُ عليها ... فَهْىَ سيانِ مَعْ كؤوسِ الراحِ

أىُّ درعٍ مصونةِ النسجِ تمتـــد السواقى فيها[2] بمثل الصفاحِ

ومنها :

ومغـــنٍّ تناولتْ يدُه العو ... دَ فعادت[3] بنا إلى[4] الأفراحِ

جَسَّ أوتارَهُ فأصلح منّــا ... صالحاً صارَ فى يدِ الإصلاحِ

بين ريحٍ من المزامير أسْرَى ... بين أجسامنا من الأرواحِ

وصِبَاحٍ قد عقدُوا طُرُزَ الليـــلِ جمالاً على الوجوه الصِّباحِ

يبعثُ الروضُ منهمُ حركاتٍ ... سَرَقَتْ بعضها طِوالُ الرماحِ

هكذا هكذا وإلا فلا لا ... طُرُقُ الجِدِّ غيرُ طُرْقِ المِزاحِ

وله فى وصف مغن :

لا أشربُ الراحَ إلاّ ... ما بين شادٍ وشادنْ[5]

وإن فَنِيتُ فعـدى ... إلى مَعَادٍ مَعَـــادنْ

قمْ يا نديمى فأنصِتْ ... والليلُ داجٍ لداجنْ[6]

---

(١) الغمار : جمع غمر ، وهو الماء الكثير . (٢) فى الأصل : عليها .

(٣) فى الأصل : لنا . (٤) فى الأصل : على .

(٥) الشادن : الغزال إذا طلع قرناه .

(٦) داجن : مغن .

غـــنَّى وناح فَنَزَّعْـ ـتُ ثوبَ خاشٍ مُخَاشِنْ[1]
طاوِعْ على القيصفِ والعزْ فِ كلَّ حاسٍ مُحَاسِنْ[2]
وانهض بجيشك عن سَمْـ ـتِ ذى وقارٍ وَقَارِنْ
هباتِ الـكُمَيتِ[3] وأهلاً منها بصافٍ وصـــافن
٥ أنورُ من ذي ومن ذا بكل غابٍ بغـــابن[4]
وإن رمتْنــى الليالى يوما بداهٍ أُدَاهِـــن

وله فى ذم زامر :

تعبتَ وما أتيتَ لنا بشيءٍ فـكيف تكون ساعةَ تَسْتَرِيحُ
فلا تُكْثِرْ علينا فى مُحَالٍ بِزَمْرِكَ ، صَحَّ أَنَّ الزمرَ ريحُ

١٠ وله :

ينافِرُ إيقاعُهُ صــــوتَهُ فهـــذا يزيدُ وذا ينقصُ
ويتبعه زامِرٌ مثـــلُهُ تبيعٌ[5] له نَفَسٌ أَوْقَصُ[6]
فإن قامَ ما بيننا راقصـــا فـكلٌّ إلى بيتــهِ يرقصُ[7]

وله فى مغن :

١٥ تَثَنَّى فلامَيْسَ[8] الغصونِ ولينِها ورجَّعَ أصواتاً فلا تَذْكُرِ الوُرْقَا
وأعجبُ [إذ تحتثُّ[9]] يمناهُ طارةً فتسمعها رعـداً وتبصرها برقَا

---

(١) فى أعيان العصر : حاش مجاسين . (٢) فى أعيان العصر : وحاسن .
(٣) الـكميت : الخمر والفرس . وجاء فى آخر البيت بصفتى « صاف وصافن » متناسبتين لهذين المعنيين على التتابع .
(٤) فى أعيان العصر : فى كل غاب وغابن . (٥) فى الأصل : تليع .
(٦) أوقص : قصير . (٧) يرقص : يسرع .
(٨) هكذا فى الديوان ، وفى الأصل : تثنى فلا تنس ، وهو تحريف .
(٩) زيادة من الديوان ، سقطت من الأصل ، واحتث : حرك ، والطارة : الدف .

وله القصيدة السيارة التي مطلعها :

أَلْحِقْ بنفسجَ فجرى وَرْدَتَىْ شَفَقِ[١] كافورة الصبح فتَّتْ مسكةَ الغَسَقِ
قد عطَّلَ الحسنُ[٢] من أسمار[٣] أنجمه فاعقــدْ بخمرك فينا حِلْيَةَ الأُفُقِ
قم هاتِ جامك شمساً عند مصطبح وخلّ كاسكَ نجمًا عنــد مغتبق
واقسمْ لــكل زمان ما يليقُ به فإن الزَّند حليًّــا ليس للعنق ٥
هبَّ النسيمُ وهبَّ الريمُ فاشتركا فى نكهةٍ من نسيم الروضــة العَبِق
واستَرْقَصَتْنِى كأُسترقاصٍ[٤] حاملها لخضرةُ الوُرْقِ فى خضرةِ الوَرَقِ
[٥٦ و] وبتُّ[٥] بالكأس أغنى الناسِ كلِّهم / فالخمرُ من عسجدٍ والله من وَرق
كم وَرَّدَت وجنات الصِّرفِ فى قدحٍ [فنضت بالمزج ما تعلوه من حلق][٦]
يسعى بها رشأٌ عيناه[٧] مذ رمقت لم يُبْقِ فىَّ ولا فيها سوى الرمق ١٠
حبابُها وأحاديثى ومبسِــمُه ثلاثةٌ كلها من لؤلؤٍ نَسَــقِ
حتى إذا أخذتْ منى[٨] بسَوْرتها ما يأخذُ النوم من أجفان ذى أرق
ركبتُ فيــه بحاراً من عجائبها أنّى سلمتُ ـــ ولم أشعرُ[٩] ـــ من الغرق
ولم أزل فى ارتشافى منه ريقَ فمٍ [أُطفِئتُ فى بَرْدِه مشبوبةَ الحُرَق][١٠]

---

(١) الشطر فى الديوان هكذا : ألحق ينفح فجرى وردتى شفق ، وهو تحريف .
(٢) فى الديوان وأعيان العصر ٢/٢٣٣ : الأفق .
(٣) أعيان العصر : أسماط .
(٤) هكذا فى الديوان وأعيان العصر وفى الأصل : واستعرضتنى كاستعراض .
(٥) فى الديوان : تصرت .
(٦) بياض فى الأصل ، والتتمة من أعيان العصر ، والبيت غير موجود فى الديوان
(٧) فى الديوان : إن عينه رمقت .
(٨) فى أعيان العصر : منا .
(٩) فى أعيان العصر : وما أدرى .
(١٠) فى الأصل بياض ، والتتمة من أعيان العصر ، والبيت غير موجود فى الديوان .

يا ساكنَ القلب عما قد رميت به من ساكنى الجزع[(١)] متع مافيه من قلق
[لا تعجبنَّ لكل الجسم كيف مضى وإنما أعجب لبعض الجسم كيف بقى][(٢)]
لم أسترِق بمنامى وصلَ طيفهمُ فما له صار مقطوعاً على السَّرَق

من شعر أبى محمد بن سنان الخفاجي[(٣)] حيث يقول :

٥ إذا سكنتمْ فقلبى دائمُ القلق وإن رقدتمْ فطرفى دائمُ الأَرَق
سرقتُ بالنوم وصلاً من خيالكمُ فصار نوْمِىَ مقطوعاً على السَّرَق

ومن[(٤)] قصيدة ابن قلاقس :

فى المندما[(٥)] قيل أسيافُ الحديدِ ولو لا هندُ ما قيلَ أسيافٌ من الحَدَق
وبتُّ بالجزع فى آثارهم جَزِعًا إن جُرِّدَ البرقُ إيماضاً على البُرَق[(٦)]
١٠ فى نارِ وجدِىَ معنًى من تلهبه وفى فؤادىَ ما فيه من الوَلَق[(٧)]

وله من قصيدة فى مدح وزير[(٨)] صاحب صقلية :

جرت خيلُ النسيمِ على الغديرِ ورُدَّت تحت قسطلة[(٩)] العبيرِ
وعبَّ الصبحُ فى كأس الثريا وكان براحةِ القمرِ المنير
وقام على جبين الشمس يهفو كما يهفو اللواء على أمير
١٥ ودارَ بهِ[(١٠)] على يده فكانت كطوْق الجام فى كفِّ المدير

(١) الجزع : منعطف الوادى وقرية عن يمين الطائف .
(٢) الزيادة من أعيان العصر .
(٣) من أدباء القرن الخامس الهجرة ، وهو من تلامذة أبى العلاء ، ومن أشهر مؤلفاته سر الفصاحة . توفى سنة ٤٦٦ هـ .
(٤) فى الأصل : وله من ، وكلمة له زائدة .
(٥) أعيان العصر : قد . (٦) البرق : جمع برقة وهى الروابى .
(٧) الولق : الطعن .
(٨) سماه جردنا فيما يلى وربما كان فى كلمة وزير شىء من التجوز .
(٩) فى الديوان : قسطال ، وكلاهما الغبار . (١٠) فى الديوان : بها .

ومجّتْ فى زجاج الماء لوناً هى(١) انتزعته من حَلَب العصير
فقمنا نستقيم(٢) إلى قلوبٍ تناجتْ تحت أستار الصدور
نُحقِّقُ بالمنى عِدَةَ الأمانى وتعلو بالرضى حُبُّ السرور
إلى أن غادرَتنا الكأسُ صرعى نفرٌ من الكبير إلى الصغير

ومنها :

وجرّدنا(٣) المدائح فاستقرتْ على أوصاف جُرْدَنّا(٤) الوزير
فنظّمْنا المفاخرَ كاللآلى وحلّينا المعالىَ كالنحور
وقمنا فى سماء العز نرعى جبين الشمس فى اليوم(٥) المطير
وأعجبُ ما جرى أنّا أمِنّا ونحن بجانب الليثِ الهصُور
وأرسلنا من الأقداح ريحاً(٦) تهزُّ بها المعاطفَ من ثَبير(٧) ١٠
وقلدناهُ دُرّاً جاء منه كذاك الدُّرُّ جاء من البحور

ومنها :

لهيبُ صواعقِ العزَماتِ منه يكادُ يذيبُ أفئدةَ الصخور
وماء مكارم الأخلاقِ منه يكادُ يردُّ صاعدةَ الزفير
وأغراسُ الأمانى فى يديهِ تهزُّ معاطفَ الدَّوحِ النضير ١٥

(١) فى الديوان : قد . (٢) فى الديوان : نستتم ، ولعلها محرفة عن نستتم .
(٣) فى الديوان : وجودنا .
(٤) Giordano ، وليس فيما بين أيدينا من مصادر ما يدل على أن رجلا بهذا الاسم كان وزيراً للملك غليالم الثانى ، ولكنه اسم شائع فى صقلية فى العصر النورمانى . وفى الديوان : يزجرد .
(٥) فى الديوان : الغيث .
(٦) فى الديوان : وأرسلنا من الأشعار نشراً .
(٧) ثبير : جبل بظاهر مكة .

١١ — الشيخ أبو الحسن

على بن أبى الفتح بن خلف الأموى

لا شك أنه من ساكنى صقلية فإن ابن قلاقس أورده فى الزهر الباسم ، وقال : هو حَدَقَةُ العلم الناظرة ، وحديقة الأدب الناضرة . وإنما ذكرته أنا فى أهل
٥ مصر حيث اقتضاه هذا الموضع للمكاتبات التى جرت بينه وبين ابن قلاقس .
قال : كتب لى أبو الحسن على بن خلف الأموى رقعة أنفذها لما أردت الرحيل عن صقلية :

يا ماجداً طَبْعُه أحلى من الماذِى[1] ومن يفوقُ ذكاء أهلَ بغداذ
وَهِمْتُ فى رُقْعَةٍ سيَّرْتُها عجِلاً إليك ما بين تلميذٍ وأستاذ
١٠ فابسُطْ لىَ العُذْرَ واعلم أننى قلِقٌ ذو خاطرٍ لنواكم آلِمٌ هاذى

قال : فأجبت ، ولو أطعت الخجل لاحتجبت :

هذى المحاسنُ قد أُوتيتَها هذى فكلُّ شخصٍ تعاطى شأوَها هاذى
أقسمتُ بالنحل إنَّ النحل قائلةٌ ما ذى الحلاوةُ مما يُحْسِنُ الماذى
أنفذتَ شعرًا فأنفذْتَ القوى فجرى شكوٌ وشكرٌ لإنفادٍ وإنفاذ
١٥ وقتَ لى من جفاه من صقَلِّيَةٍ بلطفِ مصرَ عليه ظَرْفُ بغداذ
إن كان طبعُكَ من ماء ورقّته فإنَّ ذاك فِرِنْدٌ بينَ فُولاذِ[2]
وما وهمتُ وفى التلميذ معرفتى حقًّا لأنك معروفٌ بأستاذى
الله يعلمُ لولا أنتَ ما جُعِلَتْ يدى على كبدٍ للبين أفلاذِ

قال : وفاض بحر آدابه فيضاً ، فكتب إلىَّ أيضاً :

أيا شمسَ الجلالِ على اقتصادٍ ويا بدر الكمال لدى اتّقادِ

---

(١) الماذى : العسل الأبيض .
(٢) هكذا فى الديوان وفى الأصل : بولاذ .

[٥٦ ظ]

ويامن بذَّ فى الأشعار مَن قد / أبادَ الدهرُ مِن أزمانِ عادِ
لقد أصبحتَ لى خلاً صَـفِيًّا وحبُّك قد تمكَّن فى فؤادى

ومنها :

يعزُّ علىّ أن تنأى وأبقى فريداً مستهاماً البعـــاد
وإن حكَمتْ بفرقتنا اليـالى وقِدْماً فرّقتْ أهلَ الوداد ٥
فودّى ثابتٌ أبداً مقيمٌ على مرّ اليـالى فى ازدياد
ولولا طِيرةٌ للبين تُخشَى لبستُ لذاك أثوابَ الحداد

قال : فأجبت ، وليتنى أجبت :

هو النادى وأنت به أنادى فيامُرْوِى الحَيَا مُورِى الزّناد
لسانُكَ أمْ سنانُك دارَ فيها أراه من الجدالِ أو الجِــلاد ١٠
تبرّزُ فى اضـطلاع واطلاع وتبرُزُ فى انتقــادٍ وانْتِقاد
وكم لك فى الفصاحة من أيادٍ مَلَـكْتَ بها الفخار على الإيادى[1]

ومنها :

مِنَ الشـعراء قلبى منك أضحى يهيمُ صـــبابةً فى كل واد
تَخِذْتُكَ من صَقَلِّيةٍ خليلاً فـكنتَ الوَرْدَ يُقطَفُ من قتاد ١٥
وَشِمْتُكَ بين أهليها صَـفِيًّا فـكنتَ الجمرَ يُقبَسُ من زِناد
فإنْ وَسِعَتْكَ حيزومٌ[2] وإلاّ فـما ضاقتْ حيازِمُ البلاد
فديتك كلها فيها غريبٌ وما نسَبٌ يضاف إلى الوداد
مُرادى أن أراك ولست أشدو (عذيرَكَ من خليلِكَ من مُرادِ)[3]

---

(١) يريد قس بن ساعدة الإيادى .
(٢) الحيزوم : الأرض الصلبة ، والصدر .
(٣) عجز بيت من الشعر يقال إن علىّ بن أبى طالب كان يتمثل بها ، رأى ابن ملجم ، وصدره : أريد حياته ويريد قتلى .

ومنها :

وإنى عنك بعـد غدٍ لغَادٍ وقلبى عن فِنائكَ غـيرُ غاد
فأبعدُ بعدنا بُعْـدُ التدانى وأقربُ قربنا قربُ البعـاد

وذكر غير هذا مما كتبه والجوابَ عنه .

١٢ — ابن المنجم

من مصر

نشو الدولة علىّ* بن مفرج المنجم

سمعت القاضى أبا القاسم حمزة[1] بن عثمان[2] سنة إحدى وسبعين بدمشق ، وقد وفد إليها بمهمّة[3] ، يقول : بمصر شاب مبرز فى الشعر مجيد وقد وَخَطه الشيب ، واتقى عن أدبه العيب ، وله بديهة مليحة ، وفكرة صحيحة ، وذكاء وقريحة ، وإنما أفسدَ حاله أنه ضمن الصابون والملاهى ، وارتكب فى عسف الناس المناهى ، فاستغاثوا منه واستعدَوْا عليه ، وامتدت ألسنتهم فيه ، فعُذِّبَ بالنفى إلى عَيْذَاب ،

(*) نشأ ابن المنجم على اللهو والمجون ، وله أخبار كثيرة فى بدائع البدائه لابن ظافر وهى تدل على أنه كان لا يكاد يفترق عن ابن الدروى وابن قلاقس وقال السيوطى فى حسن المحاضرة (طبع بولاق ١٢٩٩ هـ) ١/٣٢٦ : كان أشعر أهل زمانه وأفضل أقرانه ، مدح الملوك والوزراء ، وفيه فضائل ، ولد عام ٥٤٩ وتوفى عام ٦٢٠ هـ . وانظر المغرب لنسخة (دار الكتب) المجلد الثانى الورقة ١٧٢ ولم يزد ابن سعيد شيئا عن العماد ، وانظر ترجمة أسامة بن منقذ فى ابن خلكان .

(١) ترجم له ابن سعيد فى المغرب (نسخة دار الكتب) المجلد الثانى الورقة ١٠٠ وقال إن بنى عثمان يتقدمون حتى عصره (القرن السابع) فى الدواوين المصرية ، ثم أشار إلى أن أبا القاسم هذا كان عميد الأسرة وأنه توفى سنة ٦١٦ هـ .

(٢) هكذا فى ديوان ابن سناء الملك وفى الأصل : عمان .

(٣) فى الأصل : بمهمه .

وهذّب بها الأهداب[1] ، ثم وصل إلى الشام فى خدمة الملك المعظم تورانشاه ابن أيوب من اليمن فلقيته ، واستنشدته من شعره فأنشدنى كثيراً منه ، وعرفنى أن القصيدة العينية التى كتب بها شمس الدولة من تياء منصرفه من اليمن إلى أخيه الملك الناصر بدمشق هى له .

وتسايرنا فى طريق مصر فأنشدنى لنفسه من قصيدتين بيتين فى الخضاب ، وهما : ٥

وما خضب الناسُ البياض لقبحهِ ... فأقبحُ منه حين يظهر ناصِلُهْ
ولكنما مات الشبابُ فسُخِّمَتْ[2] ... على الرسم من حُزْنٍ عليه مَنازِلُهْ

وأما العينية التى كتبها عن شمس الدولة إلى أخيه فهى :

ولما تمادتْ مُدّةُ البين بيننا ... ونازعنى قلبٌ إلى الشام نازعُ
ركبت اشتياقاً مُوضِعًا حين شاقنى ... هوى ساكنيها لم تَسَعْني المواضع ١٠
فمل لأخى بل مالكى علمُ أننى ... إليه وإن طالَ التردُّدُ راجع
وإنى بيومٍ واحدٍ من لقائه ... لَمُلْكى على عُظْم البريّة بائع
ركبتُ إليه الليلَ وهو غياهبٌ ... وجُبْتُ إليه الأرضَ وهْىَ بلاقع
ولبّيته لما دعانى مسارعًا ... بنفسى ومالى والشوقُ مسارع
فيابرقُ طالِعْهُ بأنّىَ واصلٌ ... إليه ونجمُ القُرْبِ بالوصلِ طالع ١٥
ولم يبقَ إلاّ دون عشرين ليلةً ... وتَجْنِى المُنَى أبصارُنا والمسامع
لدى مَلِكٍ تعنو الملوكُ لبأسِهِ ... وتخشعُ إعظامًا له وهو خاشع

ومنها :

وتضطربُ الدنيا لبثّ جنوده ... سوى ما حواهُ مُلْكُهُ فهو وادِعُ

---

(١) فى الأصل : الأهداب
(٢) فى النجوم الزاهرة طبع دار الكتب ٦/ ٩٦ : فسودت .

١٣ — الفقيه البليغ

أبو عمران

موسى بن على السخاوى

من الأعمال الغربية بمصر، وسَكَنَه الإسكندرية . ذكره لى الأمير عزالدين
محمد بن مصال فى سنة سبعين وأثنى على فضائله وقرّظها، وأنشدنى من أشعاره التى
حفظها ، وذكر أنه الآن شاعر تلك المَدَرَةِ[1] ، وبسماعِ قلائده جلاء الأفهام
الصَّدِئَةِ / وصفاء القرائحِ الـكَدِرة . [٥٧ و]

فمن قصيدة له قوله :

هـذى ديارهمُ وتلك نوارُ   نأت النوى وتدانت الأوطارُ
فأرِحْ متونَ العيسِ من دَوِّيَّةٍ   تسرى الرياحُ بأرضها فتحار
يتجشّم المشتاقُ شمَّ ترابها   ويضلُّ فيها الـكوكبُ السَّيار

ومنها :

ولرب موحشةٍ قطعتُ ومؤنسى   طِرْفٌ أغرّ وكوكبٌ غرّار

وذكر بعد ذلك ليلة، ووصفها إلى أن قال :

حتى استجاشَ على نَجَاشِىِّ الدُّجى   من قيصرىِّ السُّدْفَةِ[2] الإسفَارُ
وأتى بزى الترك [يَرْفُلُ[3]] فى قَبَاً   والشهبُ حول جيوبه أزْرَارُ

ومنها :

هذا هو الخبرُ اليقينُ فإن تُرِدْ   عِلْماً فعنــد جُهَيْنَةَ الأخبارُ

وكان الممدوح قد أوقع بعرب الصعيد ومن جملتهم جهينة

---

(١) المدرة : المدينة . (٢) فى الأصل : السدفا وهو تحريف .

(٣) ساقطة من الأصل وزدناها ملائمة للسياق .

ولما وصلتُ إلى القاهرة سنة اثنتين وسبعين دخلت إلى القاضى الفاضل يوماً وعنده للبليغ السخاوى [قصيدة [1]] قد مدحه بها فى جمادى الأولى وهى جامعة للإحسان فتأملتها ، وهى :

أغْضَى وأذْعَنَ حين عَنّ الرَّبْرَبُ   حتى تَصَيَّدَهُ الغزالُ الأشْنَبُ

فطوى حشاه على جَوَى جَمْرِ الغَضَا   مما جنى من جمرةٍ تتلهّبُ

وصَبَا فأشْرَاه [2] الغرامُ وذاده   عن وِرْدِهِ وهو المزبرُ الأَغْلَبُ

وصبتْ إليه من الصبابة لوعةٌ   تُغْرِى بكلِّ مُحَرَّبٍ [3] لا يُغْلَبُ

وهى التى ما زال يجنى حُلْوَهَا [4]   من مُرِّها فعذابُها مُسْتَعْذَبُ

ويعدها من كل أحْوَى أحْوَرٍ   مامنه يرتاع الكمىُّ المُحْرَّبُ [5]

إنى على أنِّى الأبىُّ فؤادُهُ   فالرعبُ مما ليس منه يَقْرُبُ

أدنو وأشجع إذ دَنَتْ أُسْدُ الشرى   وتعنُّ لى العِينُ الحسان فأرْهَب

وأميلُ من خجل إلى وجلٍ به   أَضْنَى فذا يكسو وهذا يَسْلُبُ

وأهابُ من أهوى فأستجدِى كما اسْ   تَجْدَى لفضلِ الفاضلِ المُسْتَصْعِبُ

المستبدُّ بكل فضلٍ فضلُهُ   فجنابه للآمولُ أخضرُ مُخْصِبُ

والمسترقُّ حرائرَ الشِّيَمِ التى   أبداً تُصَانُ عن الأَنام وتُحْجَبُ

مُتَحَسِّدٌ من لفظِهِ وبلاغةٍ   طَفِقَتْ بأبكار المعانى تَثْعَبُ [6]

---

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) فى الأصل : فأسره ، وأشرى : أمال .

(٣) المحرب : الأسد والشجاع .   (٤) فى الأصل : حولها .

(٥) المحرّبه : القوى هله على ما يغنمه من الحرب .

(٦) تثعب : تسيل .

كالنارِ إلا أنهـــا لا تنطفى · والبحر إلا أنه لا يَنْضَبُ
وعليه من نورِ السكينةِ حُـــلَّةٌ وَثِقَ الزمانُ بأنَّهـــا لا تُسْلَبُ
يَسِمُ البراعة بالبراعـــةِ وَسْمَةً عند[1] الخطوب وحين يُعْرِبُ يُغرِبُ
ويقولُ إلا أنه القولُ الذى أعيـــا وأعجزَ فهْوَ لا يُتعقَّبُ
٥ أضحى على سحبانَ يسحَبُ ذيلَهُ تيهاً وعن إعراب يَعْرُبَ يُعْرِبُ
وحســـامُه القلمُ الذى لم يُمْضِهِ إلا وذلَّ له الحســـام المِقْضَبُ[2]
عارٍ وليس بمُخْـــرِمٍ ، ومُنَطَّقٌ تلقاه وَهْو أصمُّ أبكمُ يَخطُبُ
يَقْرِى[3] بريقته المنـــايا والمنى أبدًا ويُرْضى إذ يُهَزُّ ويُغضِبُ
كالحية النضـــناضِ إلا أنه يَسْعَى فيُرْجَى حيث كانَ ويُرْهَب
١٠ وتراه يصمتُ حين يُرجى راجلاً أبدًا وينطق راكبًا إذ يَشْرَبُ
ويظلُّ ينظرُ من ظلامٍ فى ضُحًى فكأنما لحظُ النهـــار الغيهَبُ
واشٍ[4] بمكنون الضمير وعلمُهُ عنـــه وعن فِطَنِ الأنام مُغيَّبُ
فإذا وَشَى [وشْيَ[5]] المهارقَ أحرفًا هن الرياض أصـــابهن الصَّيِّبُ[6]

ومنها :

١٥ وإذا الكرام الـــكاتبون تصفَّحوا صفحاتِه كُتِبَتْ رَضُوا ما يكْتُبُ[7]
وتشرّفَ الخطُّ الأَصيلُ بأنَّهُ يُعْزَى إلى عبد الرحيم ويُنْسَبُ
فلذاكَ سالَمَهُ الزمانُ ولم يكن إلا على أحكامه يتقلَّبُ
وتقاصرت همُمُ الرجالِ عن الذى لم يرضَ مركبه وعنا يَرْكَبُ

(١) فى الأصل : غرو .
(٢) المقضب : القاطع .
(٣) فى الأصل : يعدى .
(٤) فى الأصل : وشى .
(٥) ساقطة من الأصل .
(٦) الصيب : السحاب الممطر .
(٧) فى الأصل : يكتبوا .

وعَنَتْ له الدنيا ودانت وهْيَ إذْ   مَلَأَتْ يدَيْهِ بعضُ ما يَسْتَوْجِبُ

وذكرها جميعها وهى طويلة[1] :

قال : وسمعت الملك الناصر يثنى على بلاغته ، وبديهته فى براعته ، وأنه سمى بليغا لنثره الذى هو أحسن من شعره . وتوفى فجأةً — وُجِدَ ميتاً فى فراشه فى منزله فى ذى الحجة سنة اثنتين وسبعين .

١٤ — الصالح أبو الغارات
طلائع* بن رُزِّيك

سلطانُ مصرَ فى زمان الفائز وأول زمان العاضد . مَلَكَ مصر ، واستولى على صاحب القصر ، ونفق فى زمانه النظم والنثر ، واسترقَّ بإحسانه الحمدَ والشكر

(١) يظهر أن هذه العبارة من كلام الناسخ فهى مزيدة على الخريدة ، ويكون معنى ذلك أنه اختصر القصيدة .

(*) هو طلائع بن رزيك الأرمنى كان واليا بمنية خصيب فى الصعيد فلما قتل عباس الصنهاجى الخليفة الظافر كما أسلفنا لجأ إليه أهل القصر واستصرخوه ، فأقبل ، وملك مصر واستقل بالأمور فى عهد الخليفة الفائز (٥٤٩ — ٥٥٥ هـ) ولما مات الفائز وبويع العاضد استمر ابن رزيك وزيره ، وزوجه ابنته ، وكان صغيراً ، فاستبد بالأمر دونه ، وقطع أرزاق الخاصة فدبرت له مؤامرة لقتله ، فقتل سنة ٥٥٦ هـ . ووزارته صفحة مشرقة فى تاريخ مصر قبل استيلاء صلاح الدين الأيوبى عليها ، إذ وجه كل همه لحرب الصليبيين وأجلاهم عن بلاد كثيرة فى فلسطين ، ولذلك لقب أبا الغارات . وكان شاعراً مجيدا ، ويقول ابن خلكان إنه رأى ديوان شعره فى مجلدين ، وفى عقد الجمان للعينى أن أكثر أشعاره فى مدح أهل البيت ، وفى الوافى بالوفيات أنه كان يجمع العلماء ويناظرهم على الإمامة وكان يرى القدر وصنف كتابا سماه (الاجتهاد فى الرد على أهل العناد) يقرر فيه قواعد الرفض ، وفى ابن الأثير أنه كان إماميا ولم يكن على مذهب العلويين المغربيين . انظر ترجمته فى عقد الجمان النسخة المصورة بدار الكتب المصرية فى وفيات سنة ٥٥٦ وكذلك فى النجوم الزاهرة ، وابن الأثير ، وفى ابن خلكان ٣٣٧/١ وفى الوافى بالوفيات النسخة المصورة بدار الكتب الجزء الخامس فى القسم الأول منه الورقة ٢١٣ والمغرب لابن سعيد نسخة الجامعة العربية الورقة ١١ وما بعدها ، ويقول ابن سعيد إنه كان ينسب نفسه إلى غسان ويمدحه الشعراء بذلك . وترجمته أول ترجمة افتتح بها صاحب الجنان كتابه ، وقد بنى عمارة اليمنى كتابه النكت العصرية عليه وعلى حياته وأمجاده . .

/وقرّبَ الفضلاء ، واتخذهم لنفسه جُلَساء ، ورحل إليه ذوو الرجاء ، وأفاض على [٥٧ ظ]
الدانى والقاصى بالعطاء . وله قصائد كثيرة مستحسنة أنفذها إلى الشام ، يذكر
فيها قيامه بنصر الإسلام . وما يصدّقُ أحدٌ أن ذلك شعره لجودته ، وإحكام
مبانى حكمته ، وأقسام معانى بلاغته ، فيقال إن المهذبَ[1] بن الزبير كان ينظم له
وإن الجليس بن الحباب كان يعينه ؛ وله ديوان كبير ، وإحسان كثير . مَلَكَ
سنة تسع وأربعين ، وقُتِلَ به فى دهليز القصر فى سنة ست وخمسين وخمسمائة
بالقاهرة ؛ وانكسفت شمس الفضائل الزاهرة ، ورخص سِعْرُ الشعر ، وانخفض عَلَمُ
العِلْم ، وضاق فضاء الفضل ، واتسع جاهُ الجهل ، وانحلّ نظام أهل النظم ، وانتثر
عِقْد ذوى النثر ، واستشعر [الفاقة[2]] الشعراء ، وعدم البُلْغَة البلغاء ، وعُدَّ الفضل
١٠ فضولا ، والعقل عقولا . وظل الفحل القارح من قريحةِ الحبابِ مقروحاً مجنوباً ،
وطلب المهذَّبُ مذهباً فى الذهاب محبوباً ، ومركبا فى النجاة مجنوبا ، وأضلَّ[3]
الرشـيدُ طريقَ رشده فاحترق بشرار شرِّ شاور من بعـده ، وعاد ابن الصياد إلى
حرفة أبيه ، ونبا المقام بالنبيل النبيه ، وعجّلَ ابنُ رواحة الرواح ، حين تأمل
دفتر تأميله فلاحَ أنْ لا فلاح . [وعضل المهذب[4]] بالشام أخت الـكافيّة

(١) ستأتى ترجمة المهذب وكذلك الجليس بن الحباب وغيره من الشعراء المصريين الذين أشار إليهم .

(٢) ساقطة من الأصل .

(٣) ستأتى ترجمة الرشيد وقد قتله شاور .

(٤) فى الأصل بياض وقد وضعنا الزيادة ملائمة للسياق وذلك أن المهذب عبد الله بن أسعد الموصلى الشافعى مدح طلائع بقصيدة كافية ، ويقول العماد فى ترجمته له بالخريدة بين شعراء الموصل : الفقيه المدرس بحمص ، وقد سارت كافيته بين فضلاء الزمان كافة فشهدت بكفايته وسجلت بأن أهل العصر لم يبلغوا إلى غايته ، ثم أنشدها العماد . وأشار إليها أيضا الصفدى فى ترجمته لطلائع .

الكافية لما علم كفؤها الأيد[1] ، وحص الحصكفى[2] الكفى عدة قصائد فلم يسمعها[3] من قريبه تعطر[4] مصر البعد ، وطفق فضلاء الحضرة ينيبون لحضور النافصين ، وكرب أدباء[5] تلك المدرة يذوبون لجود الغامضين الغامصين ، وعاد البر شُورى ، والعيدُ عاشورا ، والسخف منشورا ، والصف مأثورا ، والقريض مقروضا ، ويد الرفض مقبوضة ، وعين الحمد مغضوضة ، وعمَّ رزء ابن رُزِّيك ، وملك صرفُ الدهر ذلك المليك ، فلم تزل مصر بعده منحوسة الحظِّ منسوخة[6] الجدِّ ، منكوسة الراية ، معكوسة الآية ، إلى أن ملكها يوسف الثانى ، وجعلها مغانىَ المعانى ، وأنشر رَميمها ، وعطَّر نسيمها ، وأرَّجَ ريَّاها ، وبلج مُحيَّاها ، وأعلى سَناها ، وأحلى جَناها ، وأعادماءها ، وأباد أعداءها ، وافترع عُذْرتها ، وفرع ذِروتها ، ونفى سُودَها[7] ، وعنى أُسودها ، وخلَّص فتوحها ، ولخص شروحها ، وتسلم قصرها ، والتزم[8] خصرها . فليفتح الصالح عينه ليعاين مُلْكَ الصلاح ، ناهضا بجَناح النجاح ، خافقا فى الخافقين بقَوادم الإقدام ، طائرًا من قُدَّام بأسه بخَوافى الخوف قلبُ الباسل الهمام . قال : جرى لى جود الخاطرِ فى جواد البيان ، ومضمار هذا الميدان ، وأخرجنى من شرط الكتاب ، إلى بسط هذا الباب ، فلنقطع أطناب الإطناب ، ولنورد ما نلتقطه[9] من الأشعار المنسوبة إليه ، فمن جيده القصيدة الطائية التى كتبها إلى الأمير مؤيد الدولة فى جواب قصيدة طائية كتبها إليه ، ومطلعها فى غاية الحسن ، وهى قوله :

(١) فى الأصل : إليه .

(٢) هو يحيى بن سلامة خطيب ميافارقين من كبار الأدباء والشعراء فى عصره وكان ضريرا توفى سنة ٥٥١ .

(٣) فى الأصل : يسمعها . (٤) فى الأصل : يقصد .

(٥) فى الأصل : وكرما . (٦) فى الأصل : منحوسة .

(٧) يعنى ما كان فى مصر من السودان فى العصر الفاطمى .

(٨) التزم : عانق . (٩) فى الأصل : نلتقطها .

هى البدرُ لكنَّ الثريا لها قُرْطُ ... ومن أنجمِ الجوزاء فى نحرِها سِمْطُ
مشتْ وعليها للغمامِ ظلائلٌ ... تُظِلُّ ومن نَسْجِ الربيع لها بُسْطُ
تؤم صريعًا فى الرجال كأنه ... من السقم، والأيدى تقلبُه، خَطُّ
فما أخضرَّ ثوبُ[1] الأرض إلا لأنها ... عليه إذا زارت بأقدامها تخطو
٥ ولا طابَ نشرُ الأرض إلا لأنه ... يُجَرُّ عليه من جلابيبها مِرْط
ولا طار ذكر الظَّبى إلا وقد غدا[2] ... يصدُّ كما صَدَّتْ ويَعطو كما تعطو
من البيضِ مثلُ الصبح ما الظلام فى ... محاسنها — لولا ذوائبها — قِسْط
إلى العَرَبِ الأمحاض يُعْزَى[3] قبيلها ... وقد ضمها فى الحسنِ مَعْ يوسفٍ سِمْطُ
ولما غدت كالعاج زَيَّنَ صَدْرُها[4] ... بحُقَّيْنِ منها قد أجادهما الخَرْط
١٠ وأرسِلَ فوق الخدِّ صُدْغٌ مُكَلَّلٌ ... كما أُرْسِلَتْ فى الروض حَيَّاتُهُ الرُّقْطُ
ذوائبُ زان الخصرَ منهنَّ فاحمٌ ... تحدَّرَ لا جعدُ النَّبات ولا سَبْط

ومنها وهى طويلة:

وظلماء للشهب الدرارى إذا سَرَتْ ... هنالك مع السارين فى جُنْحها خَبْطُ
كما أوّلُ الفجرين سَقْطٌ يُسَلُّ مِن ... /حشاها كذاك البرق فى جوّها سَقْط[5] [٥٨ و]
١٥ سللنا بها البيضَ السيوفَ فلاح فى ... شباب الدجى لما بدا لَمْعُها[6] وَخْطُ
سيوفٌ لها فى كل دِرْعٍ وجُنَّةٍ ... إذا ما اعتلت قَدٌّ[7] أو اعترضت قَطُّ

(١) هكذا فى الأصل ويمكن أن تقرأ أيضا: ترب.
(٢) فى الأصل: عدا.
(٣) فى الأصل: معزى.
(٤) فى الأصل: صدورها.
(٥) فى الأصل: مقط، وسقط النار ما يسقط منها عند القدح وكذلك الولد ما يسقط قبل تمامه.
(٦) فى الأصل: إلفها.
(٧) فى الأصل: قدا، والقد: الشق طولا، والقط: القطع عرضا.

ومنها :

وحربٌ لها الأرواح زاهقةٌ لِمَا تُعاينُ والأصوات من دَهَشٍ لَغْطُ
إذا أرسلت قرعًا من النقع فاحمًا أثيثًا فأسنانُ الرماح لها مُشْط
كأن القنا فيها أناملُ حاسب أجدَّ بها فى السرعة الجمعُ واللقط

٥ ومنها فى القطع وذكر القصيدة :

على أنها تشتط إن هى ساجلت أحبةَ قلبى إن تدانَوْا وإن شَطوا
يشير إلى مطلع قصيدة مؤيد الدولة[١] .

ومن شعر الصالح فى الغزل :

ومهفهفٍ ثَملِ القوام سَرَتْ إلى أعطافِهِ النَّشَواتُ من عينيهِ
١٠ ماضى اللحاظِ كأنما سَلّتْ يدى سيفاً[٢] غداةَ الروع من جفنيه
الناسُ طوع يدى وأمرى نافذٌ فيهمْ وقلبى الآنَ طوعُ يديه
فاعجبْ لسلطان يَعُمُّ بعدله ويجورُ سلطانُ الغرام عليه
قد قلتُ إذ كتبَ العذارُ بخدِّهِ فى وَرْدِهِ[٣] أَلِفَيْهِ لا لاميه
ما الشَّعْرُ لاح بعارضيه وإنما أصداغه نفضَت على خدَّيْهْ
١٥ والله لولا أسمُ الفرار وأنّه مستقبحٌ لفررتُ منه [إليه[٤]]

(١) يريد أسامة بن منقذ الشيزرى أحد أبطال الحروب الصليبية وشعراء عصره المهمين ، دخل مصر أواخر العصر الفاطمى فكان مؤمرا مشاراً إليه بالتعظيم ، واشترك فى المؤامرات ، وفر مع عباس الصنهاجى إلى الشام ، ولحق عصر صلاح الدين وتوفى سنة ٥٨٤ هـ .

(٢) ذكر أغلب من ترجموا لطلائع هذه الأبيات وجاءت فيها هذه الكلمة : سيفى .

(٣) فى الأصل : وردتى وفى ابن خلكان والوافى بالوفيات وغيرهما من المراجع :

قد قلت إذ خط العذار بمسكه فى خده ألفيه لا لاميه

(٤) فى الأصل بياض ، والزيادة فى كل المراجع .

وقال فى الزهد :

خُضْ بحار الموتِ فى الثُّقْــلةِ من دارِ الهوانِ
وأحملِ النفسَ من الصبــر على حدِّ السنانِ
وأجتهد ألاّ يراك النــاسُ مبسوطَ البَنانِ
٥ فعسى الرحمن يُغْنى عن فلانٍ وفلانِ

ونقلت من دَرْج بخط الصالح بن رزيك قصيدة له أعارنيه ابن أخته مما نظمه سنة خمس وخمسين ، أوّلها :

أبى الله إلا أن يكون مؤيّدا مدى الدهر منصورَ اليدين على العِدَا
وكم جاهلٍ قد زاده الحلمُ عزةً على غيره لما فَسَحْتُ له المَدَى
١٠ فأوردته من راحتى موردَ الندى ولما أسرَّ الغَدْرَ أوردْته الرَّدَى
وهاجَرَ فاستدرجتُه ودفعتُه بحلمى أناةً وانتظارًا به غـدَا
عسى هو أن يَصْحو من الجهل أو يُرَى عليه الحسامُ المشرفىُّ مُعَرْبِدَا

ومنها فى وصف حسام :

فعاجَلَهُ مستحكِمُ الرأىِ قد غَدَا لقَهْرِ الأعادى فى الحروبِ مُؤَيَّدَا
١٥ رميتُ به سهمًا مصيبًا وإنه لدى الحرب مازال القويمَ مُسَدَّدَا
هو الأسَدُ الوَرْدُ الذى عاد سَبْقُهُ إلينا من الضربِ الدراكِ الموردا
فلا يغترِرْ بى بعدها ذو جهالة فليثُ الشَّرَى يُخْشَى و إن كان مُلْبِدَا

وأعارنى درجاً فيه بخط الصالح قصيدة أخرى منها :

توالت علينا فى الكتائب والكُتْبِ بشائرُ من شرقِ البلاد ومن غَرْبِ
٢٠ بشائرُ تهــدى للمُوَالى مَسَرَّةً وتُحْدِثُ للباغين رُعبا على رعب

فنى[1] كبدٍ من حرها النارُ تلتظى وفى كبد أحلى من البارد العـــذب

ومنها :

جعلنا جبالَ القدس فيها وقد جرَتْ عليها عتاقُ الخيل كالنفنفِ[2] السُّهْبِ
فقــد أصبحتْ أوعارُها وحُزُونها سهولاً تُوَطًّا للفوارس والرَّكب
ولما غــــدتْ لا ماء فى جنباتها صببنا عليها وابلاً من دمٍ سَكْبِ[3] ٥
وجادت بها سُحْبُ الدروعِ من العِدَا نَجيعاً فأغْنَتْهَا الغَدَاةَ عن السُّحْبِ
وأجْرَتْ بحاراً منـــه فوق جبالها ولـكنْ بحارٌ ليس تَعذُبُ للشرب
فقــد عمَّها خِصْبٌ به من رءوسهم بها ولـكم خصْبٍ أضرّ من الجدْبِ
وقد روَّعَتْها خيلنا قبل هــــذه مراراً وكانت قبلُ آمِنــةَ السِّرْبِ
وأخفى صهيلُ الخيل أصواتَ أهلها فماقَتْ نواقيسَ الفرنج عن الضَّرْبِ ١٠

ومنها :

وأبطالِ حربٍ من كُتَامة[4] دوَّخُوا بلادَ الأعادى بالمسوَّمَةِ[5] القُبِّ
وعادوا إلينـــا بالرءوس على القنا وأغنامُ كسبُ الثناء عن الـكسب

ومنها :

وإنا بنو رزِّيكَ ما زالَ جارُنَا يحُلُّ لدينا بالـكرامة والخِصْبِ ١٥
ونفنِكُ بالأموال فى السِّلْمِ دائماً كما نحن بالأعداء[6] نفتك بالحرب

(١) هكذا فى المغرب وفى الأصل : أفى .
(٢) النفنف : المفازة ، والسهب : المستوى من الأرض .
(٣) فى الأصل : ساب .
(٤) هكذا فى المغرب وفى الأصــل : كنانة وكتامة قبيلة مغربية جاءت مع الفاطميين من بلاد المغرب .   (٥) المسومة : المعلمة ، والقب : جمع أقب وهو من الخيل الضامر .
(٦) هكذا فى المغرب وفى الأصل : فى الأعداء .

وذكر عمارة اليمنى قال دخلت عليه السادس [عشر[١]] من شهر رمضان سنة ست وخمسين قبل موته بثلاثة أيام بعد قيامه من السماط فدخل وخرج وفى يده قرطاس قد كتب فيه بيتين من شعره قد عملهما فى تلك الساعة :

نحن فى غفلةٍ ونومٍ وللموْ تِ عيونٌ يقظانةٌ لا تنامُ
قد رحلنا إلى الحِمَامِ سنيناً ليت شعرى متى يكون الحِمَامُ؟

/ قال عمارةُ : ومن عجيبِ الاتفاقِ أنى أنشدتُ ولده فى تلك الليلة [٥٨ ظ] قصيدة منها :

أبوك الذى تسطو الليالى بحده [وأنتَ[٢] يَمِينٌ] إن سطا وشمالُ
لرتبته العُظْمَى وإنْ طالَ عمره إليكَ مصيرٌ واجبٌ ومآلُ
تخالسك اللحظ[٣] المصون ودونها حجابٌ شريفٌ لا انقضى[٤] وحِجَالُ

فانتقل الملك إليه بعد ثلاثة أيام

ومن شعر الصالح فى مملوك له رآه يوم العيد ، فى السلاح لابس الحديد[٥] :

لبس الحديدَ فزاد فى إعجابهِ بدرٌ تَظَلُّ الشمس من حُجَّابهِ
لا مطمعٌ فى أنْ يرقَّ وقلبُهُ أقسى على العُشَّاق من جلبابه
قد كان يُغْنِيهِ سيوفُ لحاظه عن حمل صارمهِ ليوم ضِرَابه
لو جاد لى فوق الشام بقبلةٍ تشفى فؤادَ الصبِّ من أوصابه
رَوَّيْتُ ظامئةَ الرماحِ من العِدَا وضَنِيتُ من ظمإٍ لبَرْدِ شَرَابهِ

(١) فى الأصل بياض والزيادة من النكت العصرية لعمارة اليمنى طبع درنبرغ ص ٤٩ .
(٢) فى الأصل بياض والزيادة من النكت .
(٣) هكذا فى النكت وفى الأصل : تجالسك اللحظ .
(٤) هكذا فى النكت وفى الأصل : الانقضا وهو تحريف ، والحجال : جمع حجلة ، وهى البيت الذى يزين للعروس .
(٥) فى الأصل : الجديد .

وقال :

عاذلى عذلُكَ سهمٌ فى الحشَا ‏ ‏ كيف كتمانى وسرِّى قد فشَا
صار مابى من غرام كامنٍ ‏ ‏ ظاهراً ينقـــله واشٍ وَشَى
من رأى قبلىَ ياريمَ الفَلاَ ‏ ‏ أســـداً يقْنِصهُ لحظُ رَشَا

ومنها : ‏ ٥

وجهُكَ الرَّوْضة آتَتْ نَرْجِسًا[1] ‏ ‏ وجَنِىُّ الوَرْدِ فيهـــا فُرِشَا
خفتَ أن يُجْنَى فوَكَّلْتَ بها ‏ ‏ عَقْرَبًا طوراً وطوراً حَنَشَـــا

وقال :

ألا إن أشواقى بقلبىَ بَرَّحَتْ ‏ ‏ فأصبحتُ فى بحرٍ بعيدٍ من الشاطى
قَلِقْتُ وقد جدَّ الفراق لبُعْدِكُمْ ‏ ‏ كأنى على جمرِ الغَضَا بَعْدَكُمْ واطى ‏ ١٠
ولا غروَ فيكم أن أُقِضَّتْ مضاجعى ‏ ‏ وقد بانَ فى حُبِّى لـكُمْ وجهُ إفْرَاطى

وقال :

وفاتر الطرف فى الخدِّ الأَسيلِ له ‏ ‏ وردٌ جَنِىٌّ حَمَتْهُ أسْهُمُ المُقَلِ
نَهَبْتُهُ بفَمِى لَثْماً وقـــد غَفَلَتْ ‏ ‏ عينُ الرقيب وكَلَّتْ أَلْسُنُ العَذَلِ
وخاف أنْ يفطنَ الواشى بنا وبه ‏ ‏ فعادَ يُخْلِفُ ما قد مَنَّ بالخجل ‏ ١٥
إن مال عنى فقد مال النعيمُ وإن ‏ ‏ يَمِلْ إلىَّ أجِدْه غايةَ الأمل
هابتْ سطَاىَ ليوثُ الغاب غاديةً ‏ ‏ ورحت من لحظاتِ الظَّبْىِ فى وَجَلِ
فرَّجْتُ ضَنْكَ الوغى فى كلِّ معركةٍ ‏ ‏ بحدِّ سيفى وضاقَتْ فى الهوى حِيَلِى

(١) آتت ، أثمرت .

وقال :

ظبي مُحَيِّرٌ في الملاحة كلما كرّرْتُ طرفي في بديع فنونهِ
أشكو إليه صبابتي فيجيبني وِرْدٌ يُبَرِّدُ لوعتي بمَعِينه
قسماً به وبوردةٍ في خدِّه وتمامِ قامته وسحر جفونه
٥ لو أن ركباً في الفلاة تحيروا لسَرَوْا بضوء من هلالِ جبينه

وأنشدني زين الدين بن نجا[١] الواعظ الدمشقي له في غلام سابق على حصان أخضر أشقر :

ولما حضرنا السباق تبادرتْ خيولٌ ومن أهواه أقدَمُها سبقَا
على أشقرٍ شِبهِ اللهيب توقداً ولوناً فقلنا البدرُ قد رَكِبَ البَرْقَا

١٠ وأنشدني زين الدولة الحسين بن الوزير أبي الكرام قال : كتب الصالح ابن رزيك إلى والدي بعد عوده من مصر إلى الشام سنة إحدى وخمسين :

أحبابَ قلبيَ إن شطَّ المزارُ بكمْ فأنكم في صميم القلب سكّانُ
وإن رجعتمْ إلى الأوطانِ إنَّ لكمْ صدورَنا عِوَضَ الأوطانِ أوطانُ
جاورتمُ غيرنا لما نأتْ بكمُ دارٌ وأنتم لنا بالودِّ جيران
١٥ وكيف ننساكمُ يوماً لبعدكمُ عنا وشخصكمُ للعين إنسان

وأنشدني له :

وإذا تشبُّ النارُ بين أضالعي قابلتُها من أدمعي بسيول
فأنا الغريقُ بل الحريقُ أموتُ في هذا وذا كذبالة القنديل

وكان قد ذكر عنده بيتاً من نظم عوام بغداد مِنْ كَانْ وكَانْ[٢] وهو :

(١) هو زين الدين أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نجا الحنبلي الواعظ ، وله شهرة مدوية في عصره ، توفي سنة ٥٩٩ هـ

(٢) ذكر ابن ظافر في بدائع البدائه ص ١٣٣ هذه الحادثة ؛ وقال إن بعض جلساء الصالح أنشده بيتا من الأوزان التي يسميها المصريون الزكالش ، ويسميها العراقيون كان وكان .

النارُ بين ضـــــلوعى وأنا غريقُ مدامعى
كأنى[1] فتيلة قنــــديلٍ أموتُ حــــريقُ غريقِ[2]

فأنشد ابن الحباب أبو المعالى الجليس فى المعنى :

هل عاذرٌ إن رمتُ خلعَ عذارى فى شمّ ســــالفةٍ ولثم عِذار
تتآلفُ الأضدادُ فيه ولم تزلْ فى سالفِ الأيام ذاتَ نِفَارِ ٥
فله من الزفرات لفحُ صواعقٍ تُرْدى وبالعــــبرات سحُّ بحار[3]
كذبالة القنديل قدِّرَ هُلْكها ما بين ماء فى الزجاج ونار

فقال المهذب بن الزبير فى المعنى :

كأنى وقد فاضت[4] سيولُ مدامعى فشبَّتْ[5] حريقاً فى الحشا والترائب
ذبالةُ قنــــديلٍ تعومُ بمائها وتُشْعَل فيها النارُ من كل جانب ١٠

/ وحدثنى أبو الذكاء[6] البعلبكى ، وكان رسولاً بمصر ، قال : لما جلس الصالح بن رُزِّيك فى دست الوزارة نظم هذه الأبيات :

أُنْظُرْ إلى ذى الدارِكمْ قد حلَّ ساحتَها وزيرُ
ولــكمْ تبختر آمناً وَسْطَ الصفوفِ بها أميرُ
ذهبــــوا فلا والله ما بقىَ الصغيرُ ولا الـكبيرُ ١٥
ولمثلِ ما صاروا إليـــــه من الفناء غداً نصيرُ

(١) الشطر فى البدائع : كأنى . (٢) فى البدائع : غريق وحريق .
(٣) الشطر فى البدائع : وله من العبرات لج بحار .
(٤) فى البدائع : سالت . (٥) فى البدائع : فأذكت .
(٦) ذكره السلفى فى معجمه (نسخة دار الكتب المصورة) الورقة ٣٣٢ ، وقال أبو الذكاء فهم بن حسان بن أحمد اليمنى الدمشقى كان من أهل الفهم والأدب قدم الثغر ، وسافر إلى الأندلس ، ثم رجع إلينا وتوجه إلى الشام .

قال زين الدين الواعظ : عمل فارسُ المسلمين أخو الصالح له دعوةً فى شعبان من السنة التى قتل فيها فصل هذه الأبيات وسلمها إلىّ :

أنست بكمْ دهراً فلما ظَعَنتمُ أَسْتَقَرّتْ بقلبى وَحْشَةٌ للتفرق

وقال :

٥ وأعجبُ شىء أننى يومَ بينكمْ بقيتُ وقلبى بين جَنْبَىَّ ما بقى
أرى البعدَ ما بينى وبين أحبتى كبُعْدِ[1] المدى ما بين غربٍ ومَشْرِقِ
ألا جَدِّدى يا نفسُ وجداً وحسرةً فهذا فراقٌ بعدَهُ ليس نلتقى

قال : فلم يبق بعدها لهم اجتماعٌ فى مسرة ، وقتل فى شهر رمضان . قال : ومما نظمه :

يادهرُ حَسْبُكَ ما فعلتَ بنا أَتُراكَ تَطْلُبُ عندنا إحَنَا
١٠ كم تَتَّقِيك بكل سابغةٍ وسهامُ كيدك تخرق الجُننا[2]
ما تنفعُ الدرع الحصينةُ مَنْ عمَّا قليل يَلْبَسُ الكفنا
كلا ولا الأيام تَقْبَلُ عن أرواحنا رَشْوًا ولا ثمنَا
لو بالثُّرَيَّا حلَّ مُعْتَصِمٌ منها لكانَ له الثَّرَى وَطَنَا
ولقد يهوِّنُ ما أصابكمُ فقدُ الحسينِ الطهرِ والحَسَنَا
١٥ وبَنِيهمُ إذ طوَّحَتْ بهمُ أيدى زمانهمُ هُنا وهُنا
وأرى الأئمةَ جار دهرهمُ فى فصله بهمُ فكيف أنا
لِى أسوةٌ بهمُ الغداةَ إذا أصبحتُ فى الأجداثِ مُرْتَهِنَا

وقال :

يا راكباً ظَهْرَ المعاصى أوَمَا تخافُ من القصاصِ
٢٠ أوَمَا ترى أسباب عمرك فى انتقاضٍ وانتقاصِ

(١) فى الأصل : لبعد . (٢) الجنن : جمع جنة وهى ما يستتر فيه من سلاح .

وقال :

يا نائماً فى هـــذه الـــدنيا أما آن انتباهُكْ
للمآل(١) لا يُغنيـــك فى الـ أخرى ولا يُنْجِيكَ جاهُكْ

وقال :

مشيبُكَ قد نَضَا صبغَ الشبابِ وحلَّ البازُ فى وَكْرِ الغُرَابِ(٢) ٥
تنامُ ومقلة الحـــدثانِ يَقْظَى وما نابُ النوائبِ عنك نابِ
وكيف بقاء عمرك وهْوَ كنزٌ وقد أنفقتَ منـــه بلا حساب

وقال :

أيا دهرُ أينَ الملـــوكُ الذيـــن كانوا فأضْحَوْا كأنْ لمْ يكونوا
وكانت قصــــورهمُ لا ترامُ فتلك قبـــورهمُ لا تَبِينُ ١٠

وقال :

أيها المغرورُ لا تَغْـــتَرّ فمرعاكَ خبيثُ
سائقُ الموت وإن طا ل بنا السيرُ حثيثُ
إنَّ من جادت على الخلـــق بجـــدواه غيوثُ
وأولو المجد القديم الـــعهد منهم والحديثُ ١٥
أصبحَ اليوم حديثاً وغداً نحن حديثُ(٣)

---

(١) فى الأصل : لا المال . (٢) فى الوافى : العقاب .

(٣) الى هنـا تنتهى نسخة نور عثمانية وجاء فى آخرها هـذه العبارة (تم الجزء التاسع من كتاب خريدة القصر وجريدة العصر ، ويتلوه فى الجزء العاشر منه إن شاء الله تعالى شعر الأمير أبى الهند حسام بن قضة بن مبارك العقيلى من المصريين) .

١٥ — الأمير أبو المهند حسام (*) بن مبارك بن قفنة العقيلى

لم يكن فى مصر أفخم منه شأنا ، وأعظم سلطانا ، أيام سلطنة ابن رزيك وهو ابن أخت الصالح ، كان مقدم عسكره ، فى مورده ومصدره ، وحسامه الفاصل .

من شعره من أبيات عاتب بها خاله :

٥ أُجِلُّكَ أَنْ يُلِمَّ بكَ العِتَابُ ... وأَنْ يَخْفَى —وحاشاكَ— الصَّوَابُ

ومنها :

وإِنِّى فى يَمِينِكَ حينَ تَسْطُو ... حُسَـــامٌ لا يُفَلِّلُهُ الضِّرَابُ

وكَمْ أَرْسَلْتَنِى سَهْماً مُصِيباً ... فأَحْرَقَ ضِدَّكُم مِنِّى شِهابُ

١٦ — أبو القاسم (*) هبة الله بن عبد الله بن كامل

١٠ كان داعى الدعاة بمصر للأدعياء ، وقاضى القضاة لأولئك الأشقياء ، يلقبونه بفخر الأمناء ، وهو عندهم فى المحلة العلياء ، والمرتبة الشماء ، والمنزلة التى فى السماء ،

(*) نقلنا هذه الترجمة عن عود الشباب لعلى الرضا وهو مختصر الخريدة ، وفى دار الكتب المصرية نسخة منه ، وكذلك فى التيمورية تحت عنوان طبقات العلماء لابن أبى طى ، وهو خطأ ، وقد ترجم عمارة اليمنى فى النكت العصرية لصاحب الترجمة (ص ١٠٩) وأشاد به طويلا ، وقال إنه كان يلى بعض مراكز الصعيد ، ثم ولى البحيرة ، ثم الصعيد ثانية ، وذكر عمارة له فيه شعراً كثيراً يصف فيه كرمه وشجاعته .

(*) نقلنا هذه الترجمة عن كتاب الروضتين ١ / ٢٢٤ حيث روى الترجمة عن العماد بنصها ، ولابن كامل ترجمة مقتضبة فى مختصر الخريدة ، وترجم له المغرب لابن سعيد نسخة دار الكتب فى الورقة ١٦٢ من المجلد الثانى ومقدمة الترجمة منقولة عن العماد لكنها مختصرة أيضاً وإن كان قد زاد بعد بيتى العماد أبياتاً أخرى نقلها عن ابن أبى الإصبع وغيره ، أما البيتان اللذان رواهما العماد فقال إنهما لابن القابلة السبتى ، ولعل هذا هو السبب فى أن ابن كامل كان ينكرهما وترجم له أيضاً الصفدى فى الوافى بالوفيات نسخة دار الكتب ، ولم يذكر البيتين اللذين شك فيهما ابن سعيد (انظر المجلد الثانى من الجزء السابع الورقة ٣١٠) ، وكذلك ترجم له ابن العماد فى شذرات الذهب ٤ / ٢٣٥ .

حتى انكدرت نجومهم ، وتغيرت رسومهم ، وأقيم قاعدهم ، وعضد عاضدهم ، وأخليت منهم مصرهم ، وأجلى عنهم قصرهم ، فحرك ابن كامل ناقص الذب عنهم والشد منهم ، فأمال قوما على البيعة لبعض أولاد العاضد ، ليبلغوا به ما تخيلوه من المقاصد ، وسوّلوه من المكايد ، فأثمرت بجثتهم الجذوع ، وأقفرت من جسومهم الربوع ، وأحكمت فى لحومهم النسوع[1] . وهذا أول من ضمه حبل الصلب ، وأمه فاقرة الصلب ، وهذا صنع الله فيمن ألحد ، وكفر النعمة وجحد ، وذلك غرة رمضان سنة تسع وستين وخمسمائة . سمعت الملك الناصر صلاح الدين يذكره وقد ذكروه عنده بالفضل والأدب ونسبوا إليه هذين البيتين فى غلام رفاء وأنشدهما الملك الناصر وذكر أنه كان ينكرهما :

يا رافيًا خَرْقَ كلِّ ثَوْبٍ ويا رَشًا حُبُّهُ اعتِقَادى[2]
عَسَى بكفِّ[3] الوصال تَرْفُو ما مَزَّقَ الهَجْرُ من فؤادى

١٧ — الوجيه* ابن الذِّرْوى أبو الحسن على بن يحيى

شاب نشأ فى هذا الزمان ، موصوف بالإجادة والإحسان ، له فى أحدب :

يا أخى كيف غيّرتكَ الليالى وأحالتْ ما بيننا بالمِحَالِ

---

(١) النسوع : جمع نسع وهو سير من جلد .

(٢) فى المغرب : اعتمادى . (٣) فى المغرب : بخيط .

(*) نقلنا هذه الترجمة عن المغرب لابن سعيد نسخة دار الكتب المجلد الثانى الورقة ١٧٠ ولم ننقلها عن مختصر الخريدة ، لأنه أشد اختصاراً ويبدو من المغرب أن هذا كل ما قاله العماد فى الخريدة ، وقد عقب عليه بنقول أخرى من كتاب الذيل والسيل للعماد وهو ذيل له على الخريدة ، وبنقول ثانية من ديوان ابن الذروى نفسه وقال : إنه قرأ فى ديوانه مدح العاضد الفاطمى ، وصلاح الدين ، والقاضى الفاضل ، وابن شكر ، ونقل أيضاً فى ترجمته من كتب أخرى . وفى كتاب الروضتين أشعار له كثيرة وأكثرها فى مدح القاضى الفاضل . وقد توفى ابن الذروى سنة ٥٧٧ هـ . انظر ترجمته فى المغرب وفى كتاب الروضتين ٢ / ٢٧ ومواضع متفرقة منه وفوات الوفيات (طبع بولاق سنة ١٢٩٩ هـ) ٢/٩٤ وحسن المحاضرة ٣٢٦/١ .

حاشَ لله أن أُصافى خليلا فيرانىْ فى ودِّه ذا اختِلال
زعموا أننى أتيتُ بهجوٍ معربٍ فيك عن شَنيع المقال
كذبوا إنما وصفتُ الذى فيـك من النُّبْلِ والسَّنا والكمال
لا تظنَّنَّ حَدْبةَ الظهر عَيْبًا فَهْى للحسْنِ من صفات الهلال
٥ وكذاك القسىُّ مُحْدَوْدِباتٌ وهْىَ أنكى من الظُّبا والعوالى
ودنانى[1] القُضاةِ وهْىَ كما تعلَمُ كانتْ موسومةً بالجمال
وأرى الإنحناء فى مِنْسِر الكا سر يُلْفَى ومِخْلَبِ الرِّئبال
وأبو الغُصْنِ أنت لا شك فيه وهْوَ ربّ القوام والإعتدال[2]
كوّنَ الله حَدْبَةً فيك إن شئـ ـتَ مِنَ الفضل أو من الإفضال
١٠ فأتت ربوة على طود حلـمٍ منك أوموجة ببحر نوال
ما رأتْها النساء إلا تمنّتْ لو غدَتْ حِلْيةً لكل الرجال
وإذا لم يكن من الهجر بُدٌّ فعسى أن تزورنى فى الخيال

وهذه الأبيات لم يقل مثلها فى أحدب وهى فى ابن أبى حصينة الذى أصله من المعرة . وله فى المهذب جعفر المعروف بشلعلع[3] :

١٥ لا تَصْحَبَنَّ سوى المهذّب جعفرٍ فالشيخُ فى كل الأمور مُهَذَّبُ
طَوْرًا يُغَنِّى بالرَّباب وتارةً تأتى على يده الرَّبابُ وزينبُ

(١) دنية القاضى : قلنسوته .
(٢) بعد هذا البيت فى الروضتين:
قد تحليت بانحناء كأنك الـ ـسرا كم المستمر فى كل حال
وتعجلت حمل وزرك فى الظهـ ـر فأمناً فى موقف الأهوال
إن حمل الذنوب أهون فى الدنـ ـيا على أنه من الأثقال
(٣) أحد شعراء الدولة الأيوبية ، وله ترجمة فى المغرب نقلها عن العماد . وستأتى ترجمته فى الخريدة .

١٨ — القاضي الجليس * أبو المعالي عبد العزيز بن الحسين ابن الحباب الأغلبي السعدي التميمي

جليس[1] صاحب مصر ، فضـــله مشهور ، وشعره مأثور ، وقد كان أوحد
عصره في مصره نظما ونثراً ، وترسلا وشـعراً ، ومات بها في سنة إحدى وستين ،
وقد أناف على السبعين . ومن شعره : ٥

لا تعجبي من صَـدِّهِ ونفارِه   لولا الشيبُ لـكنت من زُوّارِهِ
لم تترك الســتون إذ نزلتْ به   من عهد صبوتِهِ سوى تذكارِهِ

وله :

حَيَّى بتفاحةٍ مخضَّـــبةٍ   من شَفَّني حبُّهُ وتيَّمني
فقلتُ ما إن رأيتُ مشبهها   فاحمرَّ من خجلة فـكذَّبني ١٠

ومن شعره :

وبما يكفُّ الحافظُ الـــمنصورُ عنا المَحْلَ كَفَّا
آوَاهُمُ كرمًا وصـــا نَ حريمهمْ فعفَا وعَفَّا

(*) أول هــذه الترجمة غير موجود في النسخة المصورة بدار الـكتب وقد أخذناه عن الروضتين ١ / ١٤١ ومختصر الخريدة والمغرب نسخة الجامعة العربية الورقة ١٠٩ ، فقد احتفظت كل من هذه النسخ بترجمة الجليس ناقلة لها عن الخريدة . والجليس من ذرية بني الأغلب التميميين سلاطين إفريقية تولى ديوان الإنشاء مع الموفق بن الخلال الذي سيأتي ترجمته للخليفة الفاطمي الملقب بالفائز (٥٤٩ — ٥٥٥ هـ) في عهد وزيره طلائع بن رزيك . وقد أشاد به عمارة اليمني في النكت العصرية ص ٤٣ ومدحه بأشعار مختلفة وقال : إنه دخل اليمن (انظر ص ٥٩٠) ولعله ذهب إلى هناك برسالة فاطمية . وانظر ترجمته في فوات الوفيات لابن شاكر الـكتبي ١ / ٢٧٨ والنجوم الزاهرة ٥ / ٢٩٢ وكذلك ٥ / ٣٧١ وحسن المحاضرة ١ / ٣٢٤ .

(١) هو الفائز فقد كان يجالسه ويسامره ، وفي النجوم الزاهرة : كان يجالس خلفاء مصر من بني عبيد فسمي الجليس .

وأنشدنى له الأمير نجم الدين بن مصال من قصيدة يقول فيها :

ومن عجبٍ أن السيوف لديهمُ تحيضُ دماءً والسيوفُ ذكورُ
وأعجب من ذا أنها فى أكفهمْ تأجّجُ ناراً والأكفُّ بحور

وأنشدنى له الشريف إدريس[1] الإدريسى قصيدة سيّرها إلى الصالح بن

٥ رزيك قبل وزارته يحرّضه على إدراك ثأر الظافر ، وكان عباس وزيرهم قتله وقتل أخويه يوسف وجبريل ، يقول فيها :

فأين بنو رزيك عنها ونصرهم وما لهمُ من منعة وزياد
فلو عاينتْ عيناك بالقصر يومهمْ ومصرعهمْ لم تكتحلْ برُقَادِ
تداركْ من الإيمان قبلَ دُثُورِه حُشَاشَةَ نفْسٍ آذنت بنفَاد
١٠ فرِّقْ جموعَ المارقين فإنها بَقَايا زُرُوعٍ آذنت بحصَادِ

وله فيه من أخرى فى هذه الحادثة :

ولما ترامى البربرىُّ بجهلهِ إلى فتكةٍ ما رامَها قطُّ رائمُ
ركبْتَ إليه مَتْنَ عزمتك التى بأمثالها تلقَى الخطوبُ العظائم
وقُدْتَ له الجُرْدَ الخفَافَ كأنما قوائمُها عند الطِّرَادِ قَوادِم[2]
١٥ / وتنصلُ منها والعَجاجُ خضابُها هواد لأركان [البلادِ هَوا] دِمُ [١ و]
تجافتْ عن الماء القَرَاحِ فريُّها دماء العِدَا فهى الصوادىْ الصوادم
وقمتَ بحقِّ الطالبيِّينَ طالبًا وغيرُكَ يُغْضِى دونه ويُسالِمُ
أعدت إليهمْ مُلْكَهُم بعد ما لوى به غاصبٌ حقَّ الأمامةِ ظالِمُ

(١) ترجم له ابن سعيد فى المغرب ولم يزد عن أن العماد ترجم له فى (الذيل والسيل) وأنشد له بعض الشعر مما ذكره العماد . انظر الورقة ٩ من نسخة الجامعة العربية .

(٢) الى هنا ينتهى النقل عن المراجع السابقة ، وتبدأ نسخة باريس ويتبين من تسلسل أرقام صفحاتها أنها ورق دشت ، وقد رتبناها على أساس مختصر الخريدة الذى أشرنا إليه مراراً .

فما غالبٌ إلا بنصرك غالبٌ   وما هاشمٌ إلا بسيفك هاشم
فأدرِكْ بثأرِ(١) الدِّينِ منه ولم تزلْ   عن الحقِّ بالبيضِ الرِّقاقِ تُخاصِمُ

وأنشدني الأميرُ العضدُ مرهفٌ(٢) للجليس(٣) يخاطبُ الرشيدَ بن الزبير في معنى [نكبة(٤)] خالِهِ الموفَّق:

تسمَّعْ مقالىَ يا ابن الرشيدِ   فأنت حقيقٌ بأن تَسْمَعَه
بُلينا بذى نَشَبٍ سائلٍ   قليلِ الجَدَا في أوانِ الدعَه
إذا ناله الخيرُ لم نَرْجُه   وإن صفعوه صُفِعْنا معه ٥

وأنشدني بعض فضلاء مصر لابن الحباب :

سيوفُكَ لا يُفَلُّ لها غِرارُ(٥)   فنومُ المارقين بها غِرارُ(٦)
يُجَرِّدُها إذا أُخرِجْتَ سُخْطٌ   على قومٍ ويُغمِدُها اغتفار ١٠
طَرِيدُكَ(٧) لا يفوتُكَ منه ثأرٌ   وخصمك لا يُقالُ له عِثار
وفيما نلتَه من كلِّ باغٍ   لمن ناواك — لو عَقَلَ — اعتبار
فدُمْ يا صالحَ الأملاكِ(٨) فينا   بما تختارُه ، فلكَ الخيارُ
فقد شَفَعَتْ إلى ما تَبْتَغيه   لك الأقدارُ والفَلَكُ المُدار

(١) في الأصل : ثأر .

(٢) الأمير مرهف : هو مرهف بن أسامة بن منقذ وقد تقدم التعريف بأبيه ، وهما من أعيان شيزر .

(٣) في الأصل : الجليس .

(٤) زيادة يدل عليها الكلام في ابن خلكان إذ يقول : كان الموفق يوسف بن الخلال على ديوان الإنشاء في أواخر العصر الفاطمي ، وكان يعاونه القاضي الجليس والرشيد بن الزبير وهو ابن أخته ، ويستطرد ابن خلكان فيقول : إن ابن الحباب كان حصل له بسبب نكبة ابن الخلال صداع ، فنظم هذه الأبيات .

(٥) الغرار : حد السيف .   (٦) الغرار : النوم القليل .

(٧) في الأصل : طريد .

(٨) يريد طلائع بن رزيك وكان يلقب بالملك الصالح ، فهذه الأبيات في مدحه .

/ ولو نوتِ النجـومُ له خِلافاً هَوَتْ فى الجو [يذروها[١]] انتثارُ [١ ظ]

ومنهـا :

عدلتَ وقد قَسَمْتَ وكم ملوكٍ أرادوا العدلَ فى قَسْمٍ فجاروا
ففى يدِ جاحدِ الإحسانِ غُلٌّ وفى يد حامدِ النعمى سِوَار
لقد طَمَحَتْ بطرخانٍ[٢] أمانٍ له ولمثله فيهـــا بوار ٥
وحاول خطةً فيهـــا شماسٌ على أمثـــاله وبها نِفار
هل الحسبُ القوىُّ بمستقلٍ إذا ما عزَّهُ الحسب النضـار
أتيك بجانٍ قدماهُ سعيًا كما يَسْعَى إلى الأُسدِ الحمــار
وشان قرينَـــه لما أتاه كما قد شـــان أسرته قُدَارُ[٣]

١٠ وأنشدنى بمصر ولده القاضى الأشرفُ أبو البركات عبد القوى لوالده الجليس من قطعةٍ كتبها إلى ابن رزيك فى مرضه يشكو طبيبًا يقال له ابن السديد[٤] على سبيل المداعبة :

وأصْـلُ بليتى من قد غزانى من السقم المُلِحِّ بعَسْكَرَيْنِ
طبيب طِبُّـهُ كغرابِ بين يفرِّقُ بين عافيـتى وبينى
أتى الحمى وقد شاخَتْ وباخَتْ فردَّ لها[٥] الشـباب بنسختين ١٥
ودبَّرَها بتـــدبيرٍ لطيفٍ حكاهُ عن ســنانٍ[٦] أو حُنَين[٧]

(١) بياض بالأصل

(٢) هو طرخان بن سـليط والى الإسكندرية ثار على طلائع فجرد له جيشا بقيادة الأمير أبى الهند حسام بن مبارك العقيلى الذى مرت ترجمته ، فقضى عليه (انظر النكت العصرية ص ٧٣ ، ١١١ ، ١١٣ ، ٣٣١) إذ انتهت ثورته بصلبه . (٣) قدار بن سالف عاقر ناقة صالح .

(٤) فى الأصل هكذا : ابن سدرنه . وابن السديد كان طبيب الخلفاء الفاطميين وعاش بعدهم طويلا حتى توفى سنة ٥٩٢ هـ .

(٥) فى المغرب : فألبسها ، وفى الفوات : فعاد لها .

(٦) هو سنان بن ثابت بن قرة . (٧) هو حنين بن إسحق .

وكانت نوبةً في كلِّ يومٍ فصيّرها بحذقٍ نوبتين

[٣٢و] /وأنشدني أيضاً لوالده في مدح طبيب :

يا وارثاً عن أبٍ وجدٍّ فضيلةَ الطبِّ والسدادِ
وكاملاً ردَّ كلَّ نفسٍ همّت[1] عن الجسم بالبعاد
أقسمُ أنْ لو[2] طببتَ دهراً لعادَ كوناً بلا فسادِ ٥

ورأيتُ من كلامه في خطبة ديوان الصالح بن رزيك : هو الوزير الكافي والوزيرُ الكافل ، والملكُ الذي تُلْقَى بذكره الكتائب ، وتهزم باسمه الجحافل ، ومن جدّدَ رسومَ المملكة ، وقد كاد يخفيها دثورُها ، وعاد به إليها ضياؤها ونورُها :

وقد خَفِيَتْ من قبله معجزاتُها فأظهرها حتى أقرَّ كفورُها[3]
أعدْتَ إلى جسمِ الوزارة روحَهُ وما كان يُرْجَى بعثُها ونُشُورُها ١٠
أقامتْ زماناً عند غيرك طامثاً وهذا أوانُ قُرْئِها وطَهورها
من العدلِ أن يحيا بها مُسْتَحِقُّها ويخلعها مردودةً مُسْتَعيرها
إذا خطبَ الحسناءَ من ليس أهلَها أشارَ عليه بالطلاق مُشيرُها

فقد نشرتِ أيامه مطويَّ الهمم ، وأنشرت رفات الجودِ والكرم ، ونفقتْ بدولتِهِ سوقُ الآداب بعد ما كسدت ، وهبّتْ ريحُ الفضلِ بعد ما ركدت . ١٥
إذا لَهَا الملوكُ بالقيان والمعازف ، كان لَهْوُهُ بالعلوم والمعارف ، وإنْ عَمَرُوا أوقاتهم بالخمْر والقَمْر[4] ، كانتْ أوقاته معمورةً بالنَّهْيِ والأمْرِ :

(١) هكذا في الفوات ، وفي الأصل : سمت .
(٢) في الفوات : لو قد بدلا من : أن لو .
(٣) في الروضتين ١ / ١٤٢ أن هذه الأبيات تمثل بها الجليس وهي لصردر في ديوانه من قصيدة يمدح بها وزير الخليفة ببغداد فخر الدولة أبا نصر محمد بن محمد بن جهير ويهنئه بعودته إلى الوزارة .
(٤) القمر : القمار .

مليكٌ ، إذا ألهى الملوكَ عن العُلا خُمارٌ ، وخمرٌ ، هاجر الدَّلَّ والدَّنا
/ ولم تُنسه الأوتادَ أوتار قينــةٍ إذا ما دعاه السيفُ لم يَثْنِه المَثْنَى [٣٢ظ]
ولو جادَ بالدنيا وعادَ بضعفها لظنَّ من استصغاره أنه ضنَّا
ولا عيبَ فى إنعامه غيرَ أنهُ إذا مَنَّ لم يُتْبِعْ مواهبَهُ مَنَّا
٥ ولا طعنَ فى إقدامه غيرَ أنه لبُوسٌ إلى حاجاته الضربَ والطَّعْنَا

لاشكَّ أنّ هذه الأبيات لغيره .

ومن أبياته فى الغزل :

ربَّ بيضٍ سللن باللحظ بيضاً مرهفاتٍ جفونُهُنَّ الجفونُ
وخدودٍ للدمع فيها خدودٌ(١) وعيونٍ قد فاض منها عيونُ

١٠ وله :

تُرَى أخلَسَتْ فيه القلاَ بعضَ ريَّاها فهاتَ فتيتَ المسكِ نشرُ خزاماها
ألمّتْ بنا(٢) والليلُ يُزْهى بلمة دجوجيّةٍ لم يكتحلْ بعــدُ فَوْداها
فأشرقَ ضــوء الصبحِ وهْو جبينها وفاحتْ أزاهيرُ الرُّبا وهْىَ ريَّاها
إذا ما اجتنتْ من وجهها العينُ روضةً سفحْتُ(٣) خلالَ الروض بالدمعِ أمواها
١٥ وإنى لأستسقى السحابَ لربعها وإن لم تكن إلا ضلوعِىَ مأْوَاها
إذا استعرتْ نارُ الأسى بين أضلعى نضحتُ على حرِّ الحشا بردَ ذكراها
ومابىَ(٤) أنْ يَصْلَى الفؤادُ بحرِّهَا ويُضْرَمَ لولا(٥) أنَّ فى القلبِ مأواها(٦)

---

(١) الخدود : الشقوق .
(٢) هكذا فى المغرب والفوات ، وفى الأصل : بها .
(٣) فى المغرب والفوات : أسالت .
(٤) هكذا فى المغرب والفوات ، وفى الأصل : لى .
(٥) هكذا فى المغرب وفى الأصل : إلا .
(٦) فى المغرب : مثواها وفى الفوات : سكناها .

وله فى غلام تركى :

ظبيٌ من الأتراكِ أجفانهُ تسطو على الرامحِ والنابلِ
سيان منه إنْ رنا أو رمى ليس من السهمين من وائل[1]
يفرُّ منه القِرْنُ خوفاً كما يفرُّ ظبيُ القاعِ من حابلِ
ياويحَ أعدائك ما هالَهمْ من غُصُنٍ فوقَ نقاً هائل ٥
لا تفرَقوا صَولةَ نُشّابِهِ فربَّ سهمٍ ليس بالقاتل
وحاذروا أسْهُمَ أجفانه فسحرُ ذا النابلِ من بابل

وله فى النرجس :

وَفَدَ الربيعُ على العيونِ بنرجسٍ يحكى العيونَ فمد حباها نفْسها
علقتْ على استحسانِهِ أبصارُنا شغفاً إذِ الأشياءُ تعشقُ جنسها ١٠
يُلهِي ويُؤْنِسُ مَنْ جفاهُ خليلُه كم مِنَّةٍ فى أُنسِهِ لم أنْسَها
فارضَ الرياضَ بزورةٍ تلهو بها واحْثُثْ على حَدَقِ الحدائقِ عَكْسَها[2]

وله :

زارَ وجنح الليلِ مُحْلَوْلِكٌ داجٍ فحيَّاه مُحَيَّاهُ
مُلْتَثِماً يُبْديه لألاؤُهُ والبدرُ لا يكتمُ مَسْراهُ ١٥
نمَّ عليه طِيبُ أنفاسِهِ كما وشَى بالمِسْكِ رَيَّاهُ

وله :

قد طُرِّزَتْ وَجَناتُهُ بعِذارِهِ فكساه[3] روضُ الحَزْنِ من أزهارِهِ

---

(١) وائل : مخلص وعاصم . (٢) عكس الحدق : القدح .

(٣) يشير شعراء العرب دائماً إلى جمال روض الحزن وتفوقه على روض السهل ، ولهذا اختار هنا روض الحزن .

وتألّفتْ أضـــداده فالماء فى خَــدَّيْهِ لا يُطفِى تَلَهُّبَ نارِهِ
/ وحكيتُهُ فـدامِى تَهْمِى على نارِ الحَشَا وتزيدُ فى استعارِهِ [٢٣٣ظ]

ومنها :

وإذا بدا فالقلبُ مشغولٌ بهِ وإذا انثنى فالطرفُ فى آثاره
٥ فتى أعانَ على هواه بنَصْرَةٍ وجوانحى الحَيْنِ من أنصارِه

وله من قصيدة :

وكم طامحِ الآمال هَمَّ فقصّرتْ خُطَاهُ به إن العلا صَعْبَةُ المَرْقَى
وظنَّ بأن البُخْلَ أبقى لوَفْرِهِ ولو أنه يدرى لـكانَ النَّدَى أبْقَى
ظهرتَ فـكنتَ الشمسَ جلّى ضياؤُها حنادسَ شِرْكٍ كان قد طَبّقَ الافْقَا
١٠ علوتَ كما تعـــلو ، وأشرقتَ مثلما تضىء ، ونرجو أنْ ستبقى كما تبقى
وهُنِّئَتِ الأعيادُ منك بماجـــدٍ تباهتْ به العَلْيا ، وهامتْ به عِشْقَا
مواسمُ قد جاءتْ تباعاً كأنما ترى الفجرَ فى لُقْيَاكَ يا خيرَ من يُلْقَى
توالتْ بدارٍ تمضيكَ كأنَّما(١) تروم لفرط الشوق أن تُحْرِزَ السبقا
وكان لها الأضحى إماماً أمامَها فأرهقـــه النوروزُ(٢) يَمْنَعُهُ الرفقا
١٥ وكم هَمَّ أنْ يعـــدو سِراراً فَرُعْتَهُ فأبقى ، ولولا فَرْقُ بأسِكَ ما أبقى
أبى اللهُ فى عصرٍ تـكونُ عميدَهُ وسائسَهُ أن يسبق الباطلُ الحقَّا
فجاءك هــــذا سابقٌ جالَ بَعْدَهُ مُصَلٍّ وكانا للذى تبتغى وفْقَا
وأعقبه عيدُ الغديرِ(٣) فلم نَخَلْ لِقُرْبِ التدانى أنَّ بينهما فَرْقَا

(١) فى الأصل : كما .

(٢) النوروز : أول يوم فى السنة القبطية وكانت تتعطل فيه الأسواق وتفرق فيه الـكسوة لرجال الدولة والرسوم من المال وحوائج النوروز (خطط المقريزى طبع بولاق ١ / ٤٩٣)

(٣) كان فيه تزويج الأيامى وفيه الـكسوة وتفريق الهبات وعتق الرقاب وغير ذلك ، وهو من أعياد القبط المهمة ، وكان الفاطميون يحتفلون به احتفالا مشهوداً (خطط ١ / ٤٩٢)

وقوله :

[٣٤و] / خُذْهَا إليكَ بمـاء الطبعِ قد شَرِقَتْ لو مازجَ البحرَ منها لفظة عَذُبَا

جوّالةٌ بنواحى الأَرضِ مُمعِنَةٌ فى السير لا تشتكى أيْناً ولا نَصَبَا

ألفاظُها الدُّر تحقيقاً ومن عَجَبٍ تُملِى[1] على البحرِ درَّ البحرِ مُجْتَلَبا

وقوله من قصيدة أولها : ٥

دعِ البينَ تحـدونا حثاثُ رِكابه فنيرى من يشجوه صوتُ غرابِهِ

سأركبُ ظهرَ العزْمِ أوأرْجِعَ المنى برجعـةِ موفورِ الرجاء مُثَابِهِ

فإمّا حياةٌ يسحبُ المرء فوقَها ذيولَ الغنى والعزُّ بين صحابه

وإما مماتٌ فى العُـلا يتركُ الفتى يقالُ ألا لِلّهِ درُّ مُصَـابِهِ

ومنها : ١٠

وأروعَ يشكو الجودُ طولَ ثَوَائِهِ لديه ، ويشكو المالُ طول اغترابِهِ

تَصُدُّ الملوكُ الصيدُ عن قصدِ أرْضه فيَرْجِعُهَـا محروبةً[2] بحرابه

ويَعْطِفُهَا ميلَ الرِّقَابِ مهابةً ولم تكتحل أجـفانُهُ بترابه

وأغْزُو بأبكارِ القصائدِ وَفْرَهُ فأرجعُ قد فازتْ يدِى بِنِهَابِهِ

وقوله : ١٥

أما وجيادِك الجُرْدِ العَوَادى لقد شَقِيَتْ بِعزْمَتِكَ الأعادى

رأوا أن الصيدَ لهم مـلاذٌ فلم يَحْمِ الصيدُ من الصِّعَادِ[3]

[٣٤ظ] / وراموا من يدَيْكَ قِرًى عتيداً فأَهْدَيْتَ الحُتُوفَ على الهوادى

(١) فى الأصل : على . (٢) محروبة : مسلوبة .

(٣) الصعاد : جمع صعدة ، وهى القناة المستوية .

وقوله وقد جمع ثمان تشبيهات فى بيت واحد :

بدا وأرانا منظراً جامعاً لِمَا تفرّقَ من حُسْنٍ على الخلق مُونِقَا
أقاحاً وراحاً تحت وردٍ ونرجسٍ وليلاً وصُبْحًا فوق غصن على نَقَا

وقوله يصف الخمر :

٥ معتقةٌ قد طالَ فى الدنِّ حَبْسُهَا ولم يَدْعُهَا شُرَّابُهَا بنتَ عامِها
وقد أشبهتْ نارَ الخليلِ لأنها حكتها لنا فى بَرْدِهَا وسَـلَامِها

وذكر ابنُ الزبير فى كتابه أنه كَتَبَ إليه مع طيبٍ أهداه :

بعثتُ عِشاءً إلى سـيدى بما هو مِن خُلْقِهِ مُقْتَبَسْ
هديةَ كلِّ صحيحِ الإخاء جرى منه وُدُّكَ مجرى النَّفَس
١٠ فَجُدْ بالقبولِ وأيقِنْ بأنــّ لفَرْطِ الحيـاء أتتْ فى الغَلَس

وله يصف خيلاً :

جنائبُ[(١)] : إنْ قِيدَتْ فأُسْدٌ ، وإن عَدَتْ
بأبطالها فَهْىَ الصَّـــبَا والجَنَائبُ
أثارتْ بأكنافِ المُصَلَّى عجاجةً دَجَتْ وبَدَتْ للبيضِ منها كواكب

١٥ وله يهجو :

وكم فى زَبيدٍ[(٢)] من فقيه مُصَدَّرٍ وفى صَدْرِه بحرٌ من الجهل مُزْبِدُ
إذا ذابَ جسمى من حَرُورِ بلادكم عَلِقْتُ على أشـعارِكم أتبرَّدُ

وله يصف معركة :

/ تـكادُ من النقـعِ المثارِ كُماتُها تَنَاكَرُ أحيانا وإن قَرُبَ النَّحْرُ [٣٥و]

(١) الجنائب : الخيل ، وأيضاً : الرياح الجنوبيه .
(٢) مدينة باليمن أحدثت فى أيام المأمون ، ولعل فى هذا ما يدل على ما قلناه فى التعريف به من أنه زار اليمن .

عجاجٌ يظلُّ الملتقى منه فى دُجًى ... وإن لمعتْ أسيافُه طلَعَ الفجر
وخيل يلف النشْرَ بالترب عَدْوُها ... وقتلى يعافُ الأكلَ من هامِها النسر

ومن شعره يرثى بعض أهله :

ما كان مِثْلَكَ من تغتالُه الغِيَرُ ... لو كان ينفع من ضَرْبِ الرَّدى الحَذَرُ

ومنها : ٥

قد أعلن الدهرُ ، لكن غالنا صَمَمٌ ... عنه ، وأنذرنا ، لو أغنتِ النُّذُرُ
يَغُرُّنا أمَلُ الدنيا ويخدعنا ... إن الغرور بأطماعِ المُنَى غَرَرُ

ومنها :

قد كان أنفسَ ما ضنَّتْ يداهُ بهِ ... لو كان يعلمُ ما يأتى وما يَذَرُ
أغالبُ القولَ مجهودًا وأيسرُ ما ... لَقِيتُه مِن أذاه العِىُّ والحَصَرُ ١٠

وقال يرثى أباه ، ومات غريقا فى البحر لريح عصفت :

وكنتُ[1] أهدِى مع الريح السلامَ لهُ ... ما هبت الريحُ فى صُبْحٍ وإمساءِ
إحدى ثقاتى عليه كنتُ أحسبُها ... ولم أخَلْ أنها من بعضِ أعدائى

ومن شعره فى العتاب والاستبطاء والشكوى قوله :

كم من غريبةِ حكمةٍ زارَتْكَ مِن ... فكرى فما أحسنْتَ قطُّ ثَوَابَها ١٥
جاءتْكَ ماطرَقَتْ وفودُ جَمَالِها الْـ ... أسماعَ إلَّا فُتِّحَت أبوابُها
[٣٥ظ] / فتَنَتْكَ إعجابًا فحين هَمَمْتَ أنْ ... تَحْبو سويداءَ الفؤادِ صَوابَها
وافتكَ من حَسَدٍ وساوسُ حكمةٍ ... جعلت لعينك كالمشيب شبابَها
فثَنَيْتَ طرْفَكَ خاشيًا لا زاهدًا ... ورددتَها تشكو إلىَّ مآبَها

(١) فى المغرب : قد كنت .

وأراكَ كالعنِّينِ همَّ بكاعبٍ بِكرٍ وأعجــزه النكاحُ فعابَها

وله فى النوزَل :

أشجّعُ النفسَ على حربكم تقاضيًا والسلمُ يَزْويها

أسومها الصبرَ وألحاظكم قد جعلَتْها من مراميها

وكيفَ بالصبرِ على أسْهُمٍ تَصْــلَها بالجمْرِ راميها

٥

١٩ — القاضي الرشيد أحمد* بن على بن الزبير

من أهل أسوان الساكن بمصر

كان ذا علمٍ غزيرٍ ، وفضلٍ كثيرٍ . أنشدنى الأميرُ نجمُ الدين بن مصال بن سليم بن مصال له ، ونحن فى الخيّمِ الملكى الناصرى بظاهر بَعْلَبَكَّ فى ثانى رمضان سنةَ سبعين وخمسمائة ، من قصيدة :

١٠

إذا ما نَبَتْ بالحُرِّ دارٌ يَوَدُّها ولم يرتحلْ عنها فليس بذى حَزْمِ

وَهَبْهُ بها صبًّا ألم يَدْرِ أنها(١) سيزعجه منها ألحِمَامُ على رغْمِ

(*) من أسرة أسوانية اشتهرت بالعلم والشعر ، ولد بأسوان وهاجر منها الى مصر فاتصل بملوكها ومدح وزراءها وتقدم عندهم ، وأنفذه الخليفة الحافظ الى اليمن داعياً له سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، ويقال إنه حاول أن يدعو لنفسه بالخلافة هناك فضربت له السكة ، ثم قبض عليه وأرسل الى مصر فعفى عنه . وكان من أفراد الدهر فضلا فى فنون كثيرة من العلوم وله رسالة (منية الألمعى وبلغة المدعى) وهى مطبوعة وتدل على معرفته بالفقه والنحو واللغة والأنساب والمنطق والهيئة والموسيقى والطب . وكان الى ذلك شاعراً مجيداً ، وهو ابن أخت الموفق بن الخلال كبير كتاب ديوان الإنشاء الفاطمى كما مر ، ولعل ذلك سبب العفو عنه . وقد تقدم فى عهد طلائع ابن رزيك ، وولى النظر بثغر الإسكندرية فى الدواوين السلطانية سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، وقتله شاور سنة اثنتين وستين (وفى ابن خلكان سنة ثلاث وستين) ظلماً لميله لأسد الدين شيركوه . انظر ترجمته فى معجم الأدباء لياقوت ٤ / ٥١ وابن خلكان (طبع ديسلان) ١ / ٧٥ والطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد طبع المطبعة الجمالية بمصر ص ٤٧ وشذرات الذهب ٤ / ١٩٧ و ٤ / ٢٠٣ ومعجم السلفى (نسخة مصورة بدار الكتب المصرية) الورقة ٢٢ .

(١) فى الطالع السعيد وابن خلكان : أنه .

ولولا الأجلُ الكامل المَلْكُ أرقلَتْ[1] بِىَ العيسُ فى البيداء والسفْنُ فى اليمّ
[٣٦و] ولم تكنِ الدنيا تضيقُ على فتًى يرى الموتَ خيراً من مقامٍ على هَضْم

لم يعملْ بشعرِهِ ، ولم يرحل من ضُرِّه ، وهذا ممدوحُهُ الكاملُ ولد شاور الذى لم ينجُ من شره ، فإن شاورَ قتله صبراً فى سنة اثنتين وستين ونَسَب إليه أنه شارك أسدَ الدين شيركوه فى قصده ، فكافأه مكافأة التمساح وجعل قتله له مقام رِفْدِه .

وله الرسالةُ التى أوْدَعَها من كلّ علم مُشْكِلَهُ ، ومن كلّ فنٍّ أفضلَهُ . ذكره لى محمد[2] بن عيسى اليمنى ببغداد سنة إحدى وخمسين وقال : وفد اليمنَ رسولاً وأقام بها سنتين قال : وهو أستاذى فى علم الهندسة . وأنشدنى لنفسه باليمن :

لئن خاب ظنّى فى رجائك بعد ما ظننتُ بأنى قد ظفرتُ بمنصفِ
فإنّكَ قد قلّدْتنى كلَّ مِنَّةٍ ملكتَ بها شُكرى لدى كلِّ موقفِ
لأنّكَ قد حذّرْتنى كلَّ صاحبٍ وأعلمتنى أنْ ليسَ فى الأرض من يفى

وأنشدنى الشريف إدريس الإدريسى الحسنىّ بدمشق سنة إحدى وسبعين للقاضى الرشيدِ بن الزبير فى مدح الصالح بن رزيك من قصيدة أولها :

ما للغصون تميدُ سكرا هل سُقِّيَتْ بالمُزْنِ خمرا

منها فى المدح :

[٣٦ظ] /جارى الملوكَ إلى العلا لكنهمْ ناموا وأسْرَى

---

(١) أرقلت : أسرعت ، والكامل المذكور فى البيت هو الكامل شجاع بن شاور وقد قتله العاضد بعد قتل والده سنة ٥٦٤ هـ .

(٢) فى النكت المصرية لعمارة اليمنى ص ٥٦٦ : ورد بغداد فى سنة خمسين وخمسمائة ، وهو فاضل مهندس ، لكن له طبع شرس ، . وترجم له العماد فى الخريدة ، القسم الخاص باليمن .

سائلْ به عَصَبَ النفـــا ق غداةَ كان الأمرُ إمْرا(١)
أيامَ أضحى النكرُ معـــروفاً وأمسى العُرْفُ نكرا

ومنها :

قسماً بمن طافَ الحجيـــجُ ببيته شُـــعْثا وغُبْرا
٥ لولا طــــلائعُ لم نكنْ نرجو لمَيْتِ الدينِ نَشْرا

وأنشدنى ابن اخته القاضى محمد بن القاضى محمد بن إبراهيم المعروف بابن الداعى من أسوان وقد وفدتُ إلى دمشق سنة إحدى وسبعين قال : أنشدنى خالى الرشيدُ ابن الزبير لنفسه من قصيدة :

تواصَى على ظلمى الأنامُ بأسْرِهِمْ وأظْلَمُ من لاقيتُ أهلى وجيرانى
١٠ لكل امرئٍ شيطانُ جِنٍّ يَكيدُهُ بسوء ولى دون الورى ألفُ شَيْطانِ

وقد صنَّفَ كتاب جنان(٢) الجنان ورياض الأذهان ، وذيل به اليتيمه ، وطالعتُ منه جزءاً ، ذكر فيه شعرا .

٢٠ — ولده على* بن أحمد بن الزبير

رأيته فى الحضرة السلطانية(٣) فى القاهرة سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة وقد
١٥ وقف ينشد الملك الناصر قصيدة قد اتخذها لقصده ذريعة / وجرّ بها وفودَ النجح [٣٧و]

---

(١) إمرا : شديداً أو عصيباً وفى القرآن الكريم « لقد جئت شيئاً إمرا » .
(٢) سينقل المؤلف كثيراً عن هـذا الكتاب ، وهو من أهم الكتب التى ألفت عن الشعر المصرى فى العصر الفاطمى واعتمد عليه العماد فى الخريدة ، وابن سعيد فى المغرب ، وكل من كتبوا من السابقين عن شعراء هذا العصر .
(*) ذكره الإدفوى فى الطالع السعيد ص ١٩٧ ولم يزد فى ترجمته عما ذكره العماد .
(٣) فى الأصل : السلطان .

إلى آماله فى تلك الشريعة شريعة ، وكشفتُ بجواره حُوَارَ[١] أدَبِه ، وفصمت بسراره سِوارَ أَرَبه ، فما أحاطت معرفتى له بمعرفة ، ولا حصل لى من قدر قدره مَرَقُ رَمَقٍ فى مِغْرَفَة . لكننى لكونه ولدَ ذاك الكبير ، أوردت من القصيدة التى أحضرها أبياتاً تناسب عَرْفَ العبير .

مطلعها : ٥

شَيَّدْتَ بالبيضِ والسُّمْرِ الذُّبُلِ مجداً أنافَ على النَّسْرَيْنِ والحَمَلِ[٢]

ومنها :

تَخْضَرُّ[٣] أكنافُ أرضٍ إن نَزَلْتَ وإن نازلْتَ تَحْمَرُّ[٤] أرضُ السهلِ والجبلِ

ما زلتُ أفرى دجى ليلِ التمام سُرًى ونورُ وجهك يَهْدينى إلى السُّبُلِ

بكل مهمهةٍ يبكى الغمامُ بهـــا خوفاً ويخفق قلبُ البرق من وَجَلِ ١٠

تخشى الرياحُ النوارى[٥] من مهالكها فما تهبُّ بهـــا إلا على مهلِ

حتى أنَخْتُ المطايا فى ذُرَى مَلِكٍ يبشِّرُ النجح فى تأميـــله أَمَلى

ومنها :

خدمتكمْ ليكونَ الدهرُ من خَدَمى فما أحالَهُ عن حالاته الأُوَلِ

إنْ لم تَكُنْ بكمُ حالى مُبَدَّلَةً فما انتفاعى بعلم الحالِ والبَدَلِ[٦] ١٥

---

(١) فى الأصل : عوار ، والحوار : النتاج .
(٢) النسران : كوكبان والحمل : برج فى السماء .
(٣) هكذا فى الطالع السعيد وفى الأصل : تخضر .
(٤) هكذا فى الطالع السعيد وفى الأصل : عمر .
(٥) هكذا فى الطالع السعيد وفى الأصل : الدرارى .
(٦) تصنع لاصطلاحات نحوية .

٢١ — المهذب أبو محمد الحسن*

ابن على بن الزبير

/هوأخوالرشيد ، مُحْـكَمُ الشعر كالبناء المَشِيد ، وهو أشعرُ من أخيه ، وأعرف [٢٣٧ظ]
بصناعته و إحكام معانيه . توفى قبل أخيه بسنة ، لم يكن فى زمانه أشعر منه أحد
٥ وله شعر كثير ، ومحلٌ فى الفضل أثير . أنشدنى له نجم الدين بن مصال ببعلبك
فى رمضان سنة سبعين من قصيدة فى الصالح بن رزيك يعرِّضُ بشاعره
المعروف بالمفيد(١) :

لقد شكَّ طرفى والركائبُ جُنَّحُ ... أأنت(٢) أم الشمسُ المنيرة أمْلَحُ

ومنها فى الغزل :

١٠ يَظلُّ جَنَى العُنَّابِ فى صحنِ خدِّهِ ... عن الوردِ ماء النرجسِ الغضِّ يَمْسَحُ

ومنها :

فياشاعرًا قد قال ألفَ قصـيدةٍ ... ولـكنها من بيته ليس تَبْرَحُ
ليهنِكَ — لا هُنِّئْتَ — أنّ قصائدى ... مع النجم تسرى أو مع الريح تَسْرَحُ

أنشدنى زين الحاج أبو القاسم(٣) قال: أرسلنى نورُ الدين إلى مصر فى زمان

(*) هو أخو الرشيد بن على بن الزبير ، وقد اختص بطلائع بن رزيك ، ويقول ابن خلـكان فى ترجمته لأخيه الرشيد : أول شعر قاله سنة ست وعشرين وخمسمائة ، وقال ياقوت فى ترجمته : صنف المهذب كتاب الأنساب وهو كتاب كبير أكثر من عشرين مجلداً ، وهوغاية فى معناه ، وقال الإدفوى : له تفسيرفى خمسين مجلدة ، ويقول ابن خلـكان: إن الرشيد أعلم منه فى سائر العلوم ، وقد دخل اليمن كما دخل أخوه . وحصـل له من طلائع مال جم . توفى سنة ٥٦١ هـ . انظر ترجمته فى معجم الأدباء ٩ / ٤٧ وابن خلـكان ١ / ٧٥ وفوات الوفيات ١٢٤/١ والطالع السعيد ص ١٠٠ والنكت العصرية ص ٣٥ وحسن المحاضرة ٣٢٤/١ .

(١) فى الأصل هكذا : الفيد ، والفيد هو ابن الصياد أحد شعراء طلائع وسيترجم له العماد فيما بعد .

(٢) فى الأصل : إليك .

(٣) يلقب بأمين الدين ، وكان متولى الديوان عند نور الدين .

الصالح بن رزيك فلقيت للمهذَّب بن الزبير فأنشدنى لنفسه :

وشادنٍ ما مثله فى الجنـــانْ   قد فاق فى الحسن جميع الحسانْ
لم أرَ إلا عينه جنبــةً   للسيف والنصلِ وحدِّ السِّنانْ

[٣٨و] ووجدت فى بعض الكتب له / من قصيدة فى مدح الصالح طلائع بن رزيك بمصر :

وتلقى الدهرَ منــه بليث غابٍ   غَدَتْ سمرُ الرماح له عَرِينا ٥
تخالُ ســيوفَه إمّا انتضاها   جداولَ والرماحَ لها غصــونا
وتحسبُ خيلَهُ عِقْبانَ دَجْنٍ   يَرُحْنَ مع الظلام ويغتدينا
إذا قَدَحَتْ بجنح الليل أوْرَتْ   ســنًا يُغشى عيونَ الناظرينا
وإن جَنَحَتْ مع الإصباح عَدْوًا   أثارَتْ للعجــاج به دُجُونا
كأنّ الشمس حين تُثير نقعًا   تحاذرُ من سطاهُ أن تبينا ١٠
وما كُسِفَتْ بدورُ الأفْقِ إلاّ   أسًى إذْ أبصَرَتْ منه الجبينا
وما اضطربت رماحُ الخطِّ إلاّ   مخافةَ أن يُحطِّمها مُبِينا[1]
وما تنــدقُّ يومَ الرَّوْعِ حتى   يَدُقَّ بها الــكواهلَ والمتونا
عجبتُ لها تصافحُ مِنْ يَدَيْهِ   — وتوصَفُ بالظَّما — بحرًا مَعِينا
ويوردُها ولا يُخْطِى برأْيٍ   نِطافًا من دروع الدارعينا ١٥
وهل يَشْفَى لهـا أبدًا غليــلٌ   وقد شَرِبَتْ دماء الـكافرينا
إذا لَقِيَتْ عيونَ الروم زُرْقًا   حسِبْتَ نصالَها تلك العيونا
وقائعُ فى العُداةِ له تُبَارى   صنــائعَ فى العُفاة المجتدينا
وإرغامٌ به أبكى عيــونًا   وإنعامٌ أقرَّ به عيــونا

(١) هكذا فى الأصل وربما كانت محرفة عن : ثبينا أى جاثمات .

[٣٨ظ] / وله فيه قصيدة :

أَقْصِرْ — فَدَيْتُكَ — عن لَوْمِى وعن عَذَلى

أوْ لا فخذ لى أماناً من يد[1] المقلِ

من كلِّ طَرْفٍ مريضِ الجفنِ تنشدنا   ألحاظُه « رُبَّ رامٍ من بنى ثُعَل»[2]

٥ إنْ كان فيه لنا وهْو السقيمُ شِفاً   فربما صحَّتِ الأجسامُ بالعِلَلِ[3]

إن الذى فى جفونِ البيضِ إذ نَظَرَتْ   نظيرُ ما فى جفون البيض والخِلَلِ[4]

كذاك لم يشتبه فى القول لفظهما   إلا كما اشتبها فى الفعل والعمل

وقد وقفتُ على الأطلال أحسبها   جسمى الذى بعدَ بُعْدِ الظاعنين بُلِى

أبكى على الرسم فى رسم الديار فهلْ   عجبتَ من طَلَلٍ يبكى على طلل

١٠ وكلّ بيضاء لو مَسَّتْ[5] أناملُها   قميصَ يوسفَ يوما قُدَّ من قُبُلِ

يُغنى عن الدُّرِّ والياقوت مَبْسِمُها[6]   لِحُسْنِها فلها حَلْىٌ من العَطَلِ

بالخدِّ مِنّىَ آثارُ الدموع كما   لها على الخدِّ آثارٌ من القُبَلِ

كأنّ فى سيفِ سيفِ الدين من خَجَلٍ   من عزمه ما به من حُمْرة الخجل

هو الحسامُ الذى يسمو بحامله   زهوًا فيفتكُ بالأسياف والدول

١٥ إذا بدا عاريًا من غِمْدِه خَلَعَتْ   غِمْدَ الدماء عليه هامةُ البطل

وإن تقلّدَ بحرًا من أناملِهِ   رأيتَ كيف اقترانُ الرزقِ بالأجل

---

(١) فى الفوات والطالع السعيد : ظبا .

(٢) رواية الشطر فى الفوات : (يارب رام بنجد من بنى ثعل) وهذا الشطر مضمن من قصيدة لامرىء القيس يقول فيها :

رب رام من بنى ثعل   مخرج كفيه من ستره

وبنو ثعل طائيون وهم مشهورون بجودة الرمى .

(٣) تضمين لشطر من قصيدة للمتنبي وصدر البيت :   لعل عتبك محمود عواقبه

(٤) فى الطالع السعيد : والحلل ، والخلل : جمع خلة وهى جفن السيف ، أو بطانة مطرزة بالذهب

(٥) هكذا فى الطالع السعيد وفى الأصل : أمست .

(٦) هكذا فى الطالع السعيد وفى الأصل : لبتها .

من السيوفِ التى لاحتْ بوارقُها | فى أَنْمُلٍ هى سُحْبُ العارضِ الهَطِلِ
فجاءنا لبنى رُزِّيكَ مُعجِزُها | بآيةٍ لم تكن فى الأعصُرِ الأُوَلِ
[٣٩و] / تبدو شموسًا همُ أقمارُها وترَى | شُهْبَ القنَا فى سماء النقع لم تَفِلِ[1]
قد غايَرَت فيهمُ السمرَ الرقاقَ رقا | قُ البيض خلفَ سُجوف النقع فى الكِلَلِ ٥
إن عانقوا هذه فى يوم معركةٍ | لاحتْ لهم بتلظّى تلك كالشُّعَلِ
وقد لقوا كلَّ من غاروا بمُشْبِهه | حتى لقوا النُّجْلَ عند العَرْضِ بالنُّجُلِ[2]
وضارب الرومَ رومٌ من سيوفهمُ | وطاعَنَ العُرْبَ أعرابٌ من الأَسَلِ
وهزّهم لصهيل الخيل تحت صهيـ | ـلِ البيضِ ماهزَّ أعطافَ القَنَا الخَطِلِ[3]
فالدمُ خمرٌ وأصواتُ الجيادِ لهمْ | أصواتُ مَعْبدَ[4] فى الأهزاجِ والرَّمَلِ ١٠
والخيلُ قد أطرَبتْها — مثلما طربوا — | أفعالُهمْ ، فهى تمشى مِشْيَةَ الثَّمِلِ
من كل أجردَ مختالٍ بفارسِهِ | إلى الطِّعان جريحِ الصَّدْرِ والكَفَلِ
وكلُّ سَلْهَبَةٍ[5] الريحِ نِسْبَتُها | لكنها لو بَغَتْها الريح لم تَنَلِ
أفارسَ المسلمين اسمعْ فلا سَمِعَتْ | عِداكَ غيرَ صليل البيض فى القُلَلِ ١٥
مقالَ ناءٍ غريبِ الدار قدعدم الـ | ـأنصارَ لولاكَ لم يَنْطِق ولم يَقُلِ
يشكو مصائبَ أيامٍ قد اتسعتْ | فضاقَ منها عليهِ أوسعُ[6] السُّبُلِ
يرجوكَ فى دفعها بعد الإله وقد | يُرْجَى الجليلُ لدفع الحادث الجَلَلِ

(١) تفل : تأفل .
(٢) النجل : الأولى : العيون والثانية : الطعنات .
(٣) الخطل : من الخطَل ، وهو الاضطراب والتحرك .
(٤) مغن مشهور فى العصر الأموى .
(٥) السلهبة من الخيل : ماعظم وطال عظامه .
(٦) فى الطالع السعيد : واسع .

وكيفَ ألقى من الأيام مرزئةً جلّت ولى من بنى رزّيك كلُّ ولى
لولاهمُ كنتُ أفرى[١] الحادثات، إذا نابت، بنهضة ماضى العزم مرتجل ؟
وكيف أخلع ثوبَ الذلّ حيث كفيـ ـلُ الحرِّ بالعزِّ وَخْدُ الأينُقِ[٢] الذُّلُلِ
/ فما تخافُ الردى نفسى وكم[٣] رضيتْ بالعجز خوفَ الردى نفسٌ فلم تُبَل [٣٩ظ]
٥ إنى امرؤٌ قد قتلتُ[٤] الدهر معرفةً فما أبيتُ على يأسٍ ولا أمَل[٥]
إن يُرْوِ ماء الصِّبا عودى فقد عجمتْ منى طروقُ الليالى عودَ مكتهِل
تجاوزتْ بى مَدَى الأشياخ تجربتى قِدمًا وما جاوزتْ بى سنَّ مقتبِل
وأولُ العمر خيرٌ من أواخره وأين ضوءُ الضحى من ظلمة الأُصُل
دونى الذى ظنّ أنى دونَه فلهُ تعاظمٌ لينال المجدَ بالحِيَلِ
١٠ والبدرُ تعظم فى الأبصار صورتُه علوًّا ويصغُرُ فى الأفهام عن زُحَلِ
ما ضرَّ شِعرىَ أنى ما سبقتُ إلى (أجابَ دمعى وما الداعى سوى طلل[٦])
فإن مدحى لسيف الدين تاهَ به زهوًا على مدحِ سيفِ الدولة البطَل

فشعراء المهذّبين المُذهّبينَ للذهب، على هذا الوزن للمعجز المعجب، قصائد، فرائد، قلائد. وهذا مُهذّبُ مذهبهم إذ هو وحيدُ العصر، مجيد النظم والنثر.

١٥ واستعرتُ من الأمير عز الدين[٧] حسام جزءاً فيه قصيدة بخط المهذب بن الزبير مدح بها الصالح بن رزيك سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ويصف أسطوله ونصرته فى البحر على الروم :

---

(١) فى الطالع السعيد : أفدى، ومعنى أفرى، أقطع.
(٢) الوخد للنوق : الإسراع وسعة الخطو.
(٣) فى الطالع السعيد : وقد. (٤) فى الطالع : بلعت.
(٥) فى الطالع : ملل.
(٦) هذا الشطر للمتنبى يقول ما ضر شعره أنه لم ينظم ما نظمه المتنبى كناية عن أنه لا يقل عنه.
(٧) هو الأمير أبو المهند حسام بن مبارك بن قضة العقيلى الذى ترجم له قبلا.

أعلمتَ حين تجاورَ الحيانِ — أنَّ القـــلوبَ مواقدُ النيرانِ

[٤١ و] /وعرفتَ أنَّ صدورنا قد أصبحتْ — فى القومِ وهْىَ مَرابضُ الغزْلان

وعيوننا عِوَضَ العيون أمَدَّها — ما غادروا فيها من الغُدْران

ما الوَخْدُ هزَّ قبابهم بل هزَّها — قلبى عشـــيةَ سار فى الأظعان

وبمهجتى قمـــرٌ إذا ما لاح للسّـارى تضاءلَ دونه القمران ٥

قد بانَ للعشّـــاق أنَّ قوامَهُ — سَرَقَت شمائِلَهُ غصونُ البان

وأراكَ غصناً فى النعيم [تميل[1]] إذ — غُصْنُ الأراكِ يميدُ فى نَعْمانِ[2]

الرمح نضـــلٌ واحد ولقدِّه — من ناظريه إذا رنَا نَصْلانِ

والسيفُ ليس له سوى جَفْنٍ وقد — أضحى لصارم طَرْفه جَفْنانِ

والسهمُ تكنى القوسُ فيه وقد غدا — من حاجبيه للحظه قوسان ١٠

ولربَّ ليلٍ خلتُ خاطفَ بَرْقِهِ — ناراً تَلَفَّعُ للدُّجى بدخانِ

كالمائلِ الوسنان من طول السُّرَى — جَوْزاؤهُ ، والراقصِ السكرانِ

ما بانَ فيه من ثُرَيَّاهُ سوى — إبهامِها والدَّالُ فى الدَّبَرانِ[3]

وترى المجرةَ فى النجوم كأنَّها — تَسْقِى الرياضَ بجدولٍ ملآنِ

لو لم يكنْ نهراً لما عامت به — أبداً نجومُ الحوت والسرطان ١٥

نادمتُ فيـــه الفرقدين كأننى — — دون الورى — وجَذِيمةَ أخَوان[4]

وترفعتْ هِمَمِى فما أرضَى سوى — شُهْبِ الدجى عوَضاً من الخلاَّن

وأنِفْتُ حين فُجِعت بالأحباب أن — ألْهو عن الإخوان بالخوّان

[٤١ ظ] /واعتضتُ من جود الوزير مواهباً — أسْلَتْ عن الأوطارِ والأوطان

(١) ساقطة من الأصل وقد زدناها من الطالع السعيد .

(٢) نعمان : واد وراء عرفة .

(٣) الدبران : منزل القمر .

(٤) قيل : كان جذيمة الأبرش ملك الحيرة لا ينادم إلا الفرقدين تكبراً عن منادمة الناس .

ومنها يحثه على قصد شام الفرنج :

يا كاسرَ الأصنام قُمْ فانهض بنا حتى تصيرَ مُكَسِّرَ الصُّلْبان
فالشامُ مُلْكُكَ قد ورثت تُراثَهُ عن قَوْمِكَ الماضين من غَسَّان
فإذا شككتَ بأنها أوطانُهُمْ قدماً فسلْ عن حادثِ الجوْلانِ[1]
٥ أوْ رُمْتَ أن تتلو محاسنَ ذكرهم فاسْنِدْ روايتها إلى حَسَّان[2]

منها فى وصف الزلزلة :

ما زلزلتْ أرضُ العِدا بل ذاكَ ما بقلوبِ أهلِها من الخفقانِ
وأقولُ إنَّ حصونَهم سجدتْ لِما أوتيتَ من مُلْكٍ ومنْ سلطانِ
والناسُ أجدرُ بالسجود إذا غدا لجلالكَ يسجدُ شامخُ البُنيانِ
١٠ ولقد بعثتَ إلى الفرنج كتائباً كالأُسْدِ حين تصولُ فى خَفَّانِ[3]
لَبِسوا الدروع ولم تَخَلْ مِنْ قبلِهِمْ أنَّ البحارَ تحُلُّ فى غُدْرانِ
وتيمَّموا أرضَ العدو بقفرةٍ جرداء خاليةٍ من السكانِ
عشرين يوماً فى القفار وليلةً يَسْرون تحت كواكبِ الخرْصانِ[4]
حتى إذا قطعوا الجفارَ[5] بجحفل هو فى الحديد ورملُهُ سِيَّانِ
١٥ أغريتهمْ بحمى العِدَا لجعلْتَهُ بسطاكَ بعد العزِّ دارَ هوانِ
عجّلْتَ فى تلك السجول قِراهُمُ ـــ ومُ لك الضيفانُ ـــ بالذِّيفَانِ[6]

---

(١) اسم إقليم فى شمال شرق الأردن مقترن باسم الغساسنة كما يقترن باسم قريتهم أو مدينتهم « جابية الجولان » وكان طلائع ينسب إلى الغساسنة ومن هنا قال الشاعر ما قال .
(٢) هو حسان بن ثابت الذى اشتهر بمدحه الغساسنة قبل الإسلام وخاصة جبلة بن الأيهم .
(٣) خفان : مأسدة قرب الكوفة .
(٤) الخرصان : جمع خرص وهو الرمح .
(٥) الجفار : الفلاة بين العريش ومصر .
(٦) الذيفان : السم القاتل .

[٤٠ و] / لما أبوا ما فى الجفان قريتهم ... بصوارم سُلّتْ من الأجفان
وثللتَ فى يوم العريش عروشهم ... بشبا ضرابٍ صادقٍ وطعان
ألجأتهم للبحر لما أن جرى ... منه ومن دمهم معاً بحران
مُدِحَ الورى بالبأس إذ خضبوا الظُّبَا ... فى يوم حربهمُ من الأقران
ولأنت تخضب كلَّ بحرٍ زاخرٍ ... ممن تحاربُ بالنَّجيعِ القانى
حتى ترى دمهم وخضرةَ مائه ... كشقائقٍ نُثِرتْ على الرَّيحان

فى وصف الأسطول :

وكأنَّ بحرَ الرُّوم خُلِّقَ وَجْهُهُ ... وطَفَتْ عليه منابتُ المَرْجان
ولقد أتى الأسطولُ حين غزا بما ... لم يأتِ فى حينٍ من الأحيان
أَحْبِبْ إلىَّ بها شوانىَ[1] أصبحتْ ... من فتكها ولها العُداةُ شوانى
شُبِّهْنَ بالغربانِ فى ألوانها ... وفعلن فعلَ كواسر العقبان
أوقرتها[2] عُدَدَ القتالِ فقد غدتْ ... فيها القنا عوضاً من الأشطان
فأتتكَ مُوقَرَةً بسبىٍ بينه ... أسراهُمُ مغلولةَ الأذقان
حربٌ عوانٌ حكَّمَتْكَ من العدا ... فى كلِّ بكرٍ عندهمْ وعوان
وأعدتَ رُسْلَ ابنِ القسيمِ[3] إليه فى ... شعبانَ كى يتلاءمَ الشعبان
والفألُ يشهد باسمه أن سوف يغـ ... ـدو الشامُ وهو عليكما قِسْمان

منها فى مدح نور الدين :

[٤٠ ظ] / وأراكَ من بعد الشهيد أباً له ... وجعلته من أقرب الإخوان
وهو الذى ما زال يفعلُ فى العدا ... ما لم يكنْ لِيُعَدَّ فى الإمكان

---

(١) الشوانى : السفن الحربية .
(٢) أوقر: حمَّل .
(٣) هو نور الدين صاحب الشام فى عصر طلائع وأستاذ صلاح الدين الأيوبى ومولاه .

ومنها فى وصف قتله البرنس ويصف رأسه على الرمح بمعنى بديع :

قَتَلَ البِرِنْسَ ومن عَسَاهُ أعانه لما عَتَا فى البغى والعُدْوان
وأرى البريةَ حين عادَ برأسه مُرَّ الجَنَى يبدو على المُرَّان
وتعجبوا من زرقةٍ فى طرفه وكأنَّ فوق الرمح نصلاً ثانى
٥ فليهنه أنْ فازَ منك بسيدٍ أوْفَى برتبته على كيوانِ[1]
قد صاغَ من[2] أرماحه لمسامع الـأملاك أقراطا[3] من الخِرْصَانِ
والخيلُ تعلمُ فى الكريهةِ أنَّه قد حط هيكلها[4] على الفرسان
عَجَباً لجودِ يديه إذْ يبنى العلا والسيلُ يَهْدِمُ ثابتَ الأرْكَانِ

[ومنها] يصف شعر الصالح :

١٠ وَلَنَارُ فطنته تُرِيكَ لشعره عذباً يُرَوِّى غُلَّةَ الظمآن
وعقودَ درٍّ لو تُجَسَّمَ لفظها ما رُصِّعَتْ إلا على التيجان
وتنزهتْ عن أن تُرَى أفْرَادُهَا لمواضع الأقراط والآذان
من كل رائقةِ الجمال زَهَتْ بها بين القصائدِ عِزَّةُ السلطان
سيارةٌ فى الأرض لا يعتاقها فى سيرها قَيْدٌ من الأوْزَان
١٥ / يا مُنْعِماً ما للثناء ولو غلا يوماً بما تُولِى يداهُ يَدَان [٤٢ و]
قَلَّدْتَ أعناقَ البرية كلَّهَا مِنَناً تَحَمَّلَ ثِقْلَهَا الثَّقَلاَن
حتى تَسَاوَى الناسُ فيكَ وأصبح الـقاصى بمنزلةِ القريب الدَّانى
ورحِمْتَ أهْلَ العجز منهمْ مثلما أصبحتَ تَغْفِرُ للمسىء الجانى

وأنشدنى الشريف إدريس الحسنى للمهذب بن الزبير من قصيدة فى مدح
٢٠ ابن رزيك أيضا أولها :

(١) كيوان هو زحل وهو عند العرب مثل فى العلو والبعد .
(٢) فى الأصل : فى . (٣) فى الأصل : أخراصاً .
(٤) الأصل : مذ قط سكلها .

أَمَجْلِسٌ فى محلِّ العِزِّ أَمْ فَلَكٌ هذا؟ وهل مَلِكٌ فى الدَّسْتِ أَم مَلَكُ

منها فى المدح :

أغنى عيانُ معانيه النواظرَ عن قولٍ يُلفَّقُ فى قوم ويُؤْتفَكُ[1]
يا واحدَ الدهر لا ردٌّ علىَّ إذا ما قلتُ ذلك فى قولى ولا دَرَكُ[2]
ما كان بعدَ أمير المؤمنين فتًى فيه الشجاعة — إلا أنت — والنُّسُكُ ٥
فالفعلُ منه[3] ومنك اليوم مُتَّفِقٌ والنعتُ منه ومنكِ اليومَ مُشْتَرَكُ
يُدْعَى بصالح أهل الدين كلُّهمُ وأنت صالحُ من بالدين يَمْتَسِكُ
لم ترضَ أسماء قومٍ أصبحوا رِمَماً كأَنَّ أَلقابَهمْ من بعدهم تُرُكُ[4]

ومنها :

وَافَى فأَرْدَى رجالاً بعد ما نَعِموا دَهْراً وأَحيا رجالاً بعد ما هَلَكوا ١٠

[٤٢ ظ] ليس فى هذا البيت مدح ولا ذم ، ولا له فى الثناء والإطراء سهم ، فإنه كما أحسن بالإحياء ، أساء بالإرداء ، فكفَّرَ بهلاك أولئك حياة هؤلاء ، ولو قال : أردى لئامًا بعد ما نعموا ، وأحيا كراماً بعد ما هلكوا ، لوفَّى الصنعة حق التحقيق ، وأهدى ثمرة المعنى على طبق التطبيق .

طلعتَ والبدرَ نصف الشهر فى قَرَنٍ فأشرقتْ بكما الأرضُونَ والفَلَكُ ١٥
وأسفرَ الجوُّ حتى ظَنَّ مبصرُهُ بأنَّ لَمْعَ السَّنا فى أُفْقِه ضَحِكُ
يقودُ كلَّ مُجِنٍّ[5] ضِغْنَ ذى تِرَةٍ يكادُ من حَرِّه الماذِىُّ يَنْسَبِكُ

(١) يؤتفك : من الإفك وهو الكذب والاختلاق .
(٢) الدرك : التبعة .
(٣) فى الأصل : منك .
(٤) فى البيت تورية واضحة .
(٥) فى الأصل : مسن .

حتى أعادَ بحد السيفِ مُلْكَ بنى الـــزهراء واستُرْجِعَ الحقُّ الذى تركوا

فلو يكونُ لهم أمثـــالُهُ عَضُداً فيما مضى ما غدت مغصوبةً فَدَكُ[1]

لقد أبطل فى هذا القول المؤتفَك ، وغفل عن سر الشريعة فى فَدَك ، وفضَّلَ ممدوحه على السلف فى الشرف ، وأدث به المبالغة فى الضلال إلى السَّرَف .

٥ وأنشدنى الأمير مرهف بن أسامة بن منقذ للمهذب بن الزبير من أبيات :

بالله يا ريحَ الشما لِ إذا اشتملتِ الليل بُرْدا

وحملتِ من نَشْرِ الخُزَا مَى ما اغتدى النَّدِ نِدًّا

ونسجت فى الأشجار بين غصونهنَّ هوًى ووُدًّا

/هُبِّى على بَرَدَى[2] عَسَـــاهُ يزيدُ من مَسْراكِ بَرْدَا [٤٣ و]

١٠ أحبابنــــــا ما بالكُمْ فينا من الأعداء أعْدَى

وحيـــــاةِ ودكمُ وترْ بةِ وَصْلِكُمْ ما خُنْتُ عهدا

وأنشدنى له من قصيدة أولها :

ربعَ الفؤادُ خلالَ تلك الأرْبعِ فكأنها أولى بها من أضلعى

منها فى المديح فى ابن رزيك الصالح وكان يغرى الشعراء بعضهم بالبعض :

١٥ يا أيها الَملِكُ الذى أوصافُهُ غُرَرٌ تجلَّتْ للزمانِ الأسْفَعِ

لا تُطْمِعِ الشعراءَ فىَّ فإنَّنى لو شئتُ لم أجبن ولم أتخشَّعِ

إنْ لم أكن مِلْءَ العيون فإننى فى القول يا ابن الصِّيد ملء المسمع

فليمسكوا عنى فلولا أننى أبْقى على عِرْضى إذنْ لم أجْزَعِ

(١) يشير إلى ما كان من رأى أبى بكر وعمر فى أن فاطمة لا ترث (فدك) التى تركها الرسول لقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة ، والشيعة يرون أن أبا بكر وعمر أخطآ وأنه كان يجب أن يتركاها لفاطمة .

(٢) بردى : نهر دمشق .

وأَمَّ من تجوى لهم مَدْحُ الذى يفعَ القريضَ إلى المحلِّ الأرفع
ولوأنّه نَاجى ضميرىَ فى الـكَرى طيفُ الخيال بريبةٍ لم أهجَع
وإذا بدا لِى الهجرُ لم أرَ شخصه وإذا يقالُ لىَ الخنا لم أسمع
والناسُ قد علموا بأنى ليس لى مذ كنتُ فى أعراضهم من مَطمَع

ومنها فى صفة الشعر : ٥

[٤٣ ظ] /فلأكسونَ عُلاكَ كلَّ غريبةٍ وَلَجَتْ بلطفٍ سَمْعَ مَنْ لم يَسْمَعِ
خُصت بما ابتُدِئَتْ به فتقابلتْ أطرافها بمُوشَّــحٍ ومُرَصَّعِ
والشعر ما إنْ جاء فيــه مَطلَعٌ حَسَنٌ أُضيفَ إليه حُسْنُ المَقْطَعِ
كالوردِ : أوّلُهُ بزهرٍ مُونِقٍ يأتى ، وآخرُه بماء مُمْتِعِ

وأنشدنى له القاضى الأشرف أبو القاسم حمزة بن القاضى السعيد بن عثمان ، ١٠
قال أنشدنى والدى علىّ بن عثمان المخزومى ، قال أنشدنى المهذّب بن الزبير لنفسه
فى ابن شاور المعروف بالكامل :

وخاصمنى بدرُ السّما فخَصَمْتُهُ بقولىَ ، فاسمعْ ما الذى أنا قائلُ
أنى فى اتصاف الشهر يحكيك فى البَهَا وفى النور لـكن أين منك الشمائل !
فقلتُ له يا بدرُ إنك ناقصٌ سوى ليلةٍ ، والـكاملُ الدهرَ كاملُ ١٥

وأنشدنى بعض المصريين له من قصيدة أولها :

أغارت علينا بالمحاظِ عيــونُ لها الحسنُ من خَلف النّقاب كَمينُ
وسَلَّتْ علينا من غُمُودٍ جفونها كذلك أسمــاء الغمودِ جُفُونُ

ومنها :

أعِرْ نظمَ شعرى منك عَيْنًا بصيرةً فَفِى[1] طيِّــهِ للـكيمياء كُمُونُ ٢٠

(١) فى الأصل : وفى .

/ لقد شاركتْنا فيه كفُّك إذ غدَتْ   عليه لنا عنـد العطاء تُعِين [٤٤ و]
تجودُ لنـا بالبِرِّ ثم تردُّهُ   لهـا وهْوَ دُرٌّ بالدموعِ ثمين

وأنشدنى له أيضاً :

لقد جرَّدَ الإسلامُ منك مهنَّدًا   حديدًا شَبَاهُ لا يُداوى له جُرْحُ
٥ إقامةُ حَدِّ الله فى الخلقِ حَدُّهُ   إذا سَلَّهُ ، والصفحُ عنهم له صَفْحُ

وله :

وذى هَيَفٍ يُدْعى بموسى ، بطرفِهِ   بقيةُ سحرٍ تأخذ العين والسمعا
وحيَّاتُهُ أصـداغه ، وعِذارُهُ   يُخَيَّلُ لى فى وجهـه أنها تسْعَى

وله فى غلام له خال بين عينيه :

١٠ ومهفهفٍ أسـيافُ مقلتيه   أبدًا تُرِيق من الجفون دما
عينـاهُ فى قلبى تنازعتـا   فسـوادُهُ قد ظلّ بينهما

وله فى غلام تترغرت عيناه عند الوداع :

ومرنَّح الأعطـاف تحسبُ أنَّه   رُمْحٌ ولـكنْ قدَّ قلبىَ قَدُّهُ
إن قلتُ إنَّ الوَجْهَ منه جَنَّةٌ   أضحى يكذِّبنى هنالك خَـدُّه
١٥ ولئن ترقرقَ دمعه يومَ النوى   فى الطَّرْفِ منه وما تناثرَ عِقْدُهُ
فالسيفُ أقطعُ ما يكون إذا غدا   متحـيِّرًا فى صفحتيه فِرِنْدُهُ(١)

وله :

نجْمُ نصب عينى : أنجدوا أو غاروا   ومُنَى فؤادى : أنصفوا أو جاروا

(١) فرند السيف : جوهره .

[٤٤ ظ] /وهمُ مكانَ السرِّ من قلبي وإن ... بَعُدَتْ نوىً بهمُ وشَطَّ مَزَار
فارقتهمْ وكأنهم فى ناظرى ... مما تُمَثِّلُهُمْ لىَ الأفكار
تركوا المنازلَ والديارَ فلم ... إلا القلوب منازلٌ وديار
واستوطنوا البيدَ القفارَ فأصبحتْ ... منهم ديارُ الإنس وهْىَ قفار
فلئن غدَتْ مصرُ فلاةً بعدهم ... فلهمْ بأجوازِ[1] الفلاَ أمصار
أو جاوروا نجداً فلى من بعدهمْ ... جاران : فيضُ الدمع والتذكار
ألِفوا مواصلةَ الفلا والبيدِ مُذْ ... هجرتهمُ الأوطانُ . والأوطار
بقلائصٍ[2] مثل الأهلّةِ عندما ... تبدو ، ولكنْ فوقها أقمار
وكأنما الآفاقُ طراً أقسَمَتْ ... ألّا يقر لهم عليه قرار
والدهرُ ليلٌ مذ تناءت دارهمْ ... عنِّى ، وهلْ بعد النهار نهار ؟ ١٠
لى فيهمُ جارٌ يمتُّ بحرمتى ... إن كان يُحْفَظُ للقلوبِ جِوَارُ
لا بل أسيرٌ فى وَثَاقِ وفائه ... لمْ يُفتقد قبل الوفاء إسار

ومنها :

أمنازلَ الأحباب غيَّرَكِ البلى ... فلنا اعتبارٌ فيك واستعبار
سَقْيًا لدهرٍ كان[3] منك تشابهتْ ... أوقاتُهُ فجميعه أسحار ١٥
قَصُرَتْ لىَ الأعوامُ[4] فيه فمذ نأَوْا ... طالتْ بى الأيّامُ وهى قِصَار
[٤٥ و] /يا دهرُ لا يَغْرُرْكَ ضَعْفُ تجلدى ... إنى على غير الهوى صَبّار

وله :

كأنّ قدودهمُ أنبتتْ ... على كُثُبِ الرَّمْلِ قُضْبَانَهَا

---

(١) جوز الشيء : وسطه ومعظمه .
(٢) القلائص : جمع قلوص وهى الشابة من النوق .
(٣) فى الطالع : مرقيك . (٤) فى الطالع : بى الأيام .

حججنا بها كعبةَ السرورِ   ترانا نُمَسِّحُ أركانَها

فطوراً أعانقُ أغصانهــا   وطوراً أنادم غزلانهـــا

على عاتقٍ(١) إن خَبَتْ شمسُنا   فضضنا عن الشمس أدنانَها

وإن ظهرتْ لك محجوبةً   قرأت بأنفك عنوانَها

كُمَيْتٌ من الراحِ لـكننا   جعلنا من الروح فرسانَها

إذا وخلت(٢) ءحلبةُ السرور   وكان مدى السكر ميدانَها

يطوفُ بها بابلىُّ الجفونِ   تفضحُ خـــدَّاهُ ألوانَها

إذا ما ادَّعتْ سقمًا مقلتاهُ   أقامَ بجسمى برهانَها

بكأس إذا ما علاها المزاجُ   أحالَ إلى التبر مرجانَها

كأنَّ الحبابَ وقد قلَّدتْـــهُ دُرٌّ يُفصِّلُ عقيانَها

ومُسْمِعَةٍ(٣) مثل شمس الضحى   أضافت إلى الحسن إحسانَها

وراقصةٍ رقصُها باللحونِ   عَرُوضٌ تُكَمِّـــدُ أوزانَها

ولمـا طوى الليلُ ثوبَ النهار   وجرَّتْ دياجيه أردانَها

جلونا عرائسَ مثل اللجينِ   صنعنا من النار تيجانَها

/ وصاغتْ مدامعها حِلْيَةً   عليها تُوَشِّحُ جثمانَها   [٤٥ ظ]

رماحًا من الشمع تفرى الدجى   إذا صقلَ الليلُ خُرصانَها

بها ما بأفئدةِ العاشقينَ   فليستْ تفارقُ نيرانَها

وقد أشبهتْ رُقباءَ الحبيب   فما يدخل الغُمضُ أجفانَها

وفيها دليلٌ بأنَّ النفو   سَ تبقى وتُذهِبُ أبدانَها

---

(١) العاتق : الخمر وسيفسرها هو بنفسه .

(٢) يريد فهى حلبة .

(٣) المسمعة : المغنية .

ومن شعره ما أورده أخوه فى (الجنان) وهو قوله :

لم تنلْ بالسيوف فى الحرب إلاّ مثلمــــا نلتَ باللواحظ مِنَّا
وعيونُ الظِّبا ظُبًا وبهـــذا سُمِّىَ الجَفْنُ للتشابه جَفْنـــا

وقوله :

وقد أنكروا قتلى بسيف لحاظه ولو أنصفونى ما استطاعوا له جحدا ٥
وقالوا دع الدعْوَى فما صحّ شاهدٌ عليها ولسنا نقبلُ الكفَّ والخدا
ولو كان حقًا ما تقــولُ وتدعى على مقلتيــه عاد تَوْجنها وردا
وما علموا أن الحسامَ بِسَفْكِهِ دمَ القِرْنِ يومًا عُدَّ أمضى الظُّبا حَدًّا

وقوله :

لقد طال هـــذا الليل بعد فراقه وعهدى به لولا[1] الفراقُ قصيرُ ١٠
وكيف أُرَجِّى الصُّبحَ بعدهُمُ وقَدْ تَوَلَّتْ شموسٌ منهم[2] وبدور

وقوله :

[٤٦ و] / ليت شعرى كيفَ أنتمْ بَعْدَنَا أتُرى عندكمُ ما عنــــدنا
بنتمُ والشــوق عنّا لم يَبِنْ وظعنتمْ والأسى ما ظَعَنـــا

ومنها : ١٥

قلْ لمسرورين بالبــين — وقد شفَّنَا من أجلهمْ ما شفنا —
لم يَهُنْ قطُّ علينا بُعْـــدُكُمْ مثلما هانَ عليكم بُعْـــدُنا
ولقـــد كُنّا نعزِّى النفسَ لو كنتمُ قبلَ التنائى مثلنـــا
لم تُبالوا إذْ زعلتمْ فـــلوةً أىَّ شىءٍ صَنَعَ الدهرُ بنـــا

(١) فى الفوات : قبل . (٢) فى الفوات : بعدهم .

سهرتْ أجفانُنا(١) بعـدكمُ فـكأنّا ما عرَفْنا الوسـنا
لا رأتْ عينٌ رأتْ من بعدِكمْ غيرَ فيضِ الدمعِ ، شـيئاً حسنا

ومنها :

وأخدعوا العينَ بطيفٍ مثلما تخـدعُ القلبَ أحاديثُ المُنَى

٥ وقوله :

ويا عجبـاً حتى النسيمُ يخوننى ويُضرمُ نيرانَ الأسى بهبوبِهِ
تُحمِّلُهُ سلْمَى إلينا سلامَهـا فيكتمُهُ ألّا يضوعَ بطيبـه

وقوله من قصيدة :

أترى بأىِّ وسـيلةٍ أتوسَّلُ لمْ تُجْمِلوا بى فى الهوى فتجمَّلُوا(٢)
١٠ /أشكو وجوْرُكمُ يزيدُ وما الذى يُغنى المُتيَّمَ أن يقول وتفعلوا [٤٦ ظ]
إنْ أصبحتْ عينى لدمعى منهلاً فالعينُ فى كل الفلاتِ المَنْهلُ(٣)

وقوله فى المديح من قصيدة :

عضدْتَ النَّدَى بالبأسِ تقضى على العِدَا سيوفُكَ ، أو تقضى عليكَ المكارمُ
سحائبُ جودٍ فى يديك تضمَّنتْ صواعقَ ظنُّوا أنهنَّ صوارمُ
١٥ إذا ما عصَتْ أمراً لهنَّ قلوبُهمْ ضلالاً أطاعتْ أمرَهنَّ الجماجمُ

ومنها :

وغُرٍّ على غُرٍّ جيـادٍ كأنما قوائمهـا يوم الطِّرادِ قوادمُ(٤)

---

(١) فى الأصل : أجفانكم .
(٢) تجمل : بتشديد اللام تكلف الجميل ، ولم تجملوا : أى لم تصنعوا الجميل .
(٣) هنا تورية واضحة .
(٤) قوادم الطير : مقاديم ريشه وهى عشر فى كل جناح .

إذا ابتدروا فى مأقِطٍ[١] فَرِحَتْ بهم صدورُ المذاكى[٢] والقنا والصوارم

ومنها فى صفة السيوف :

تريك بروقاً فى الأكف تدلُّنا على أنَّ هاتيك الأكفَّ غمائمُ

ومنها فى صفة الرماح :

وسُمْرٍ عوالٍ زَيَّنَتْهَا أكُفُّهمْ فقد حَسَدَتْ منها الكعوبَ اللهاذمُ[٣] ٥

إذا عقلوها خِلْتَهمْ مُتَوشِّحِى ساوخٍ وفى الأَيْمَانِ منهمْ أراقم

تلوحُ نجوماً ، فى النحور غروبها إذا جَنَّها ليلٌ مع النقع قاتم

ومنها فى المدح :

اذا صُلْتَ قال الدينُ والعدلُ : منصفٌ فإن جُدْتَ قال الجودُ والمالُ : ظالمُ

[٤٧ و] / وقوله : ١٠

مالهُ من فَتْكِ راحتِهِ كأعاديه على وَجَـــلِ

أبدًا تتلو مواهِبُـــهُ خُلِق الإنسان من عَجَلٍ[٤]

وقوله فى الوزير رضوان[٥] بن ولخشى :

إذا قابَلَتْهُ ملوكُ البلا دِ خَرَّتْ على الأرضِ تيجانُها

ولله فى أرضـــه جنَّةٌ بمصرَ ورضوانُ رضوانُها ١٥

---

(١) المأقط : ميدان القتال .

(٢) المذاكى : من الخيل التى أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان .

(٣) اللهاذم : الأعالى .

(٤) هذا الشطر اقتباس من القرآن الكريم .

(٥) هو رضوان بن ولخشى وزير الحافظ (٥٢٤ — ٥٤٤ هـ) وقد قتله عام ٥٤٣ هـ إذ استولى على شئون الدولة وحجر على الحافظ فدس عليه السودان فقتلوه (النجوم الزاهرة ٥/٢٨١) .

وقوله من قصيدة في المدح :

وقَبلَ كَفِّكَ — لازالتْ مُقبَّلةً — ما إنْ رأينا سحابًا قَطْرُه بِدَرُ[1]
أحيَيت وأرْدَتْ فمِن أنوائها أبدًا صوبُ الندى والردى في الناسِ مُنهمر
أعيَت صفاتُكَ فكرى وهى واضحةٌ كالشمس يَعجزُ عن إدراكها البَصَر

٥ وقوله من قصيدة :

جَمَع الفضائل كلَّها فكأنما أضحى لشخص المَكرُمات مِثالا
ما كان يُبْقِي عدلُهُ متظلِّمًا لو كان يُنصِفُ جُودُهُ الأموالا
لا يرتضي فى الجُودِ سَبْقَ سؤالِ مَنْ يرجوهُ حتى يَسبِقَ الآمالا

وقوله من المراثى فى كبير ، عَقِبَ موتِهِ نُزولُ مطرٍ كثير :

١٠ /بنفسيَ من أبكي السمواتِ موتُهُ[2] بغيثٍ ظَننّاهُ نوالَ يمينِهِ [٤٧ ظ]
فما استَعبَرَتْ إلا أسًى وتأسُّفًا وإلا فماذا القطر فى غير حينه ؟

وقوله :

فإن تكُ قد غاضَتْ بجودِ أكُفِّكُمْ عيونٌ ، وفاضتْ بالدموع عيونُ
وخانتكُمُ — والدهرُ يُرجى ويُتّقى — حوادثُ أيامٍ تَنِي وتخونُ
١٥ فلا تيأسوا إنَّ الزمانَ صُروفَهُ وأحداثَهُ مثلُ الحديثِ شُجون

وقوله من قصيدة :

هو الدهرُ ، فانظرْ أيَّ قِرْنٍ تحاربهْ وقد دهمتنا دُهْمُهُ وأشاهِبُهْ[3]
ليالٍ وأيامٌ يُغَرُّ بها الوَرَى وما هى إلا جُندُهُ وكتائبه

---

(١) البِدَر : جمع بدرة وهى الصرة من النقود .
(٢) فى الفوات ومعجم الأدباء : فقده .
(٣) يريد الليالى والأيام على التشبيه بالخيل .

ومنها :

وما شِيمَـــةُ غيرُ الـكرام كأنما ... مناقِبُهُمْ — عند الفَخَارِ — مثالبُهْ

ومنها :

لقد غابَ عن أُفقِ العلا كلُّ ماجدٍ ... له حاضرُ المجدِ التليدِ وغائبــــه

إذا ذكرتْهُ النفسُ بتُّ كأنَّنى ... أَسِيرُ عِدًا سُدَّتْ عليه مذاهبـــه ٥

وكم ليـــلةٍ ساهَرْتُ أَنْجُمَ أُفْقِهَا ... إذا غابَ عنى كوكبٌ لاح صاحبه

يطولُ علىّ الليـــلُ حتى كأنما ... مشارقُهُ للناظرينَ مغـــاربه

وقد أسلمَ البدرُ الكواكبَ للدجى ... وفاء لبـــدرٍ أسلَمَتْهُ كواكبه

[٤٨ ب] / يُخَيِّلُ لى أنَّ الظلامَ عجاجةٌ[(١)] ... وأنَّ النجومَ الساريَاتِ مواكبه

وأنَّ البروقَ اللامعاتِ سيوفُهُ ... وأنّ الغيوثَ الهامِيَاتِ[(٢)] مواهبه ١٠

ومنها :

فقلْ لليالى بعد ما صنَعَتْ بنا ... ألا هكذا فليَسْلُبِ المجدَ سالبه

وقوله فى العتاب والهجاء من قصيدة :

خليلىَّ إن ضاقتْ بلادٌ برُحْبِها ... ورائى فما ضاق الفضاء أماميـــا

يظنُّ رجالٌ أننى جئتُ ســائلاً ... فأسخطنى أنْ خابَ فيهمْ رجائيا ١٥

وما أنا ممن يُسْتَفَزُّ بمطمعٍ ... فيُخْلِفُهُ منه الذى كان راجيا

ولـكننى أصْفَيْتُ قومًا مدائحى ... فأصبحَ لى تقصيرُهُمْ بىَ هاجيا

فإن كنتُ لا أُلْفَى على المنعِ ساخطاً ... كذلك لا أُلْفَى على البذْلِ راضيا

محاسنُ لى فيهمْ كثيرٌ عديدُهَا ... ولـكنها كانتْ لديهم مساويا

(١) العجاجة : غبار الحرب . (٢) الهامعات : الهاطلات .

تُقَلِّدُهُمْ من دُرِّ نحرى قلائدًا ولو شئتُ عادت عن قليلٍ أفاعيا

ومنها :

ولو كنتُ أنصفتُ المدائحَ فيهمُ لصيَّرتُها للأكرمينَ مراثيا

وقوله :

٥ لا ترجُ ذا نقصٍ[1] ولو أصبحتْ من دونه فى الرتبةِ الشمسُ

كيوانُ[2] أعلى كوكبٍ[3] موضعًا وهو — إذا أنصفتَهُ — نَحْسُ

/وقوله فى ذم الزمان : [٤٨ ظ]

كم كنت أسمع أن الدهرَ ذو غِيَرٍ فاليومَ بالخُبرِ أستغنى عن الخَبرِ

ومنها :

١٠ تشابهَ الناسُ فى خَلْقٍ وفى [خُلُقٍ][4] تَشَابُهَ الناسِ والأصنامِ فى الصُّوَرِ

ولم أبِتْ قطُّ من خَلْقٍ على ثقةٍ إلا وأصبحتُ من عقلى على غَرَرِ[5]

لا تخدعَنِّى بمرأىً ومُستَمعٍ فما أُصدِّقُ لا سمعى ولا بَصَرى

وكيف آمَنُ غيرى عند نائبةٍ يوماً إذا كنتُ مِنْ نفسى على حَذَرِ

تأبى المكارمُ والمجدُ المؤثَّلُ لى من أنْ أُقيم ، وآمالى على سَفَرِ

١٥ إنى لأشهرُ فى أهلِ الفصاحة مِنْ شمسٍ وأشيرُ فى الآفاق من قمرِ

---

(١) فى الفوات : نحس .

(٢) كيوان — فى رأى العرب كما قدمنا — أبعد الكواكب علواً وفى الوقت نفسه يجعلونه كوكب النحس والشؤم .

(٣) فى الأصل كوكباً .

(٤) ساقطة من الأصل والأبيات غير موجودة فى المراجع التى بين أيدينا وقد زدنا الكلمة ملائمة للسياق .

(٥) الغرر : الخطر .

وسوف أرمى بنفسى كلَّ مهلكةٍ تَسْرِى بها الشهبُ إن سارَتْ على خَطَرِ
إمَّا العُــلَا ، وإليها مُنْتَهَى أملى أو الرَّدَى ، وإليهِ مُنْتَهَى البَشَرِ

وقوله :

لا تُنْكِرَنْ من الأنامِ تفاوُتًا إذ كان ذا عَبْــدًا وذلك سَيِّدَا
فالناسُ مثلُ الأرض منهـا بُقْعَةٌ تَلْقَى بها خَبَثًا وأُخْرَى مَسْجِدا ٥

وقوله :

ومن نكد الأيام أنّى كما تَرَى أُكابدُ عيشًا مثلَ دهرىَ أَنْكَدَا
أَمِنْتُ عِداتى ثمَّ خِفْتُ أحبَّتى لقد صدقوا ، إنَّ الثقاتِ هُمُ العِدَا

[٤٩ و] / ومن شعره فى عدة فنون قوله :

لا تطْمَعَنْ فىَّ أرضٌ أنْ أقيمَ بها فليس بينى وبين الأرضِ من نَسَبِ ١٠
حيث اغتربتُ فلى من عفَّتى وَطَنٌ آوى إليــه وأهلٌ من ذوى الأدبِ
لولا التنقلُ أعيَا أن يَبِينَ على باقى الكواكبِ فضلُ السَّبْعَةِ الشُّهُبِ

وقوله فى شمعة :

ومصفرَّةٍ لا عن هَوًى غير أنَّها تحوزُ صفاتِ المستهامِ المُعَــذَّبِ
شجونًا وسُقْمًا واصطبارًا وأدْمُعًا وخَفْقًــا وتسهيدًا وفرطَ تَلَهُّبِ ١٥
إذا جَمَّشَتْها[1] الريحُ كانت كمِعْصَمٍ يردُّ ســلامًا بالبنانِ المُخَضَّبِ

وقوله :

لئن زادنى قُرْبُ المَزَارِ تَشَوُّقًا إليك ، أذى قِلَّةَ عَدَمُ الحسِّ
فما أنا إلا مثــلُ ساهرِ ليلةٍ بدا الفجرُ فازداد اشتياقًا إلى الشمس

(١) التجميش : الملاعبة والمغازلة .

٢٢ – القاضي أبو الفتح محمود* بن إسماعيل بن حميد الفهري

وأصْلُهُ من دمياط وذكره أبو الصلت في رسالته وقال : محمود بن إسماعيل الدمياطي كاتبُ الإنشاء بالحضرة المصرية . قال القاضي الفاضل توفي سنة إحدى وخمسين ، وأنشدني له أشعارًا محكمَةَ النسج / كالدرِّ في الدرج . علق بحفظي من [٤٩ ظ] قصيدة هائية هذا البيت :

أثَرُ المشيبِ بفَوْدِه وفؤَادِهِ ... ألجاه أنْ يَبْغي لتيهاً الجاها

وأنشدني له في ابن الزبير وكان أسود :

يا شـــبه لقمانَ بلا حكمةٍ ... وخاسرًا في العـــلم لا راسخا

سلخت أشـعارَ الورى كلِّهِمْ ... فصرتَ تُدْعَى الأَسْوَدَ السالخا

١٠ وأنشدني الأمير مرهف بن مؤيد الدولة أسامةَ بن منقـذ لأبي الفتح ابن قادوس في رجل كان يُكَبِّرُ كثيرًا في الصلاة :

وفاترِ النيَّـــةِ عِنِّينِهَا ... مع كَثْرَةِ الرَّعْـــدَةِ والهزَّةْ

مُـكَبِّرٍ ســـبعينَ في مَرَّةٍ ... كأنَّهُ صلَّى على حَمْــــزَهْ

وأنشدني قوله أيضا :

١٥ ولائم يلومـــــنى ... يريدُ مِـــنِّى تَوْبتى

يقولُ لى : الموتُ غدًا ... فقلت : هـذا حُجَّتِى

وأنشدني قوله أيضاً في طبيب :

عليلُهُ منـــــه عَلَى ... حالَيْ خسارٍ يَحْصُلُ

تُؤْخَذُ منــــهُ دِيَةٌ ... وبعدَ هـذا يُقْتَلُ

(*) في حسن المحاضرة للسيوطي ١/٣٢٤ : كاتب الإنشاء بالديار المصرية وشيخ القاضي الفاضل وكان يسميه ذا البلاغتين

[١٣٥ و] / وأنشدنى قوله فى الهجو :

قد كنتَ علقًا نفيسًا سمحًا تجودُ بنفسكْ
إِذْ جاءك الحظُّ فافخرْ على أُبَيْناء جنسك
وإنْ تذكَّرَ قومٌ حديثَ أَمْسِكَ أَمْسِكْ

٥ وله من قصيدة :

قمْ قبـلَ تأذينِ النواقيسِ وأجـلُ علينا بنتَ قسِّيسِ
عروسَ دَنٍّ لم يَدَعْ عِتْقُهَا إلا شُعَاعًا غيرَ ملموسِ
تُجْلَى علينا باسمًا ثغرُهَا فلا تقابِلْهـا بتعْبِيسِ
مُذْهَبَـةُ اللونِ إذا صُفِّقَتْ مُذْهِبَـةُ الهمِّ والبُوسِ
١٠ نارٌ إلى النـارِ دعا شُرْبُهَا وشَرَّدَتْ بالعقـلِ والكيسِ
لاغروَ ما تأتيه من ريبـةٍ لأنهـا عُنْصُرُ إبليسِ
ليس لهـا عيبٌ سوى أنها حسرةُ أقـوامٍ مفاليسِ
فى روضـةٍ كانت أزاهيرُهَا كأنَّهـا ريشُ الطواويسِ
فاغتنمِ اللـذاتِ فى دولةٍ صافيةٍ من كل تَعْكيسِ
١٥ بقيتَ فى عمرٍ فسيحِ المـدى من كلِّ ما تحـذَرُ محروسِ

وله من قصيدة :

خلعتُ عذارى والتُّقَى فى هواكُمُ فأصبحتُ فيكم مُعْجَبًا بذنوبى
[١٣٥ ظ] / وما مِثْلُ هذا الحبِّ يُحْمَلُ بعضُهُ ولكنَّ قلبى فى الهوى كَقُلُوبِ

وله :

٢٠ لما تَعَلَّقَ ظبيـةً رُوداً[١] وظبياً أهيَفَـا[٢]

(١) الرود: الشابة الحسنة . (٢) أهيف : ذو هيف ، وهو ضمور البطن ورقة الخاصرة.

وتآلفـــا بفـؤادِهِ صـــار الفؤاد[١] مُصَحَّفَا

وله :

وليلةٍ كاغتماضِ الطَّرْفِ قصَّرَهَا وصلُ الحبيبِ ولم تُقْصِرْ عَنِ الأَملِ
بِتْنَا نجاذبُ أهدابَ الظلامِ بها كفَّ الملامِ وذِكْرَ الصدِّ والمللِ
٥ وكلما رامَ نُطْقاً فى معـــاتبتى سَدَدْتُ فاهُ بطيبِ اللثمِ والقُبَلِ
وبات بدرُ تمامِ الحُسْنِ مُعْتَنِقِى والشمسُ فى فلَكِ الكاساتِ لم تَغِلِ

ومنها البيت الذى سار له :

فبتُّ منها أرى النارَ التى سجدتْ لها المجوسُ ، من الإبريق تسجدُ لى
راحٌ إذا سَفَكَ النَّدْمانُ من دمها ظَلَّتْ تقهقهُ فى الكاساتِ من جَذَلِ
١٠ فقلْ لمنْ لامَ فيهـــا إننى كلِفٌ مُغْرًى بها مثلما أُغْرِيتَ بالعَذَلِ

وله :

أأحمدُ كمْ لك عندى يدٌ كما انبعثَ الماءُ من جلمَدِ
قَصَرْتُ على شكرها مَنْطِقاً رَطيبَ اللسانِ نَدِىَّ[٢] النَّدِى[٣]
فلا تقطعَنْهـــا فإنى أخافُ تطـــيُّرَ قومٍ بقطعِ اليد

١٥ / وأنشدنى الأمير مرهف بن أسامة بن منقذ له : [١٣٦ و]

أَكْرِمْ بقلبى للأحبَّةِ منْزِلا رَبَعُوا[٤] به أم أزْمَعُوا مُتَرَحَّلا
جادتْهُ أنواءُ الدموعِ فما اغْتَدَى يوماً لِمنَّاتِ الحَيَا مُتَحَمِّلا
حفظى لعهدِ الغادرين أضاعَ لى قلباً أقامَ غرامُهُ وتَرَحَّـــلا

(١) تصحيفه قواد .
(٢) فى الأصل : ند .
(٣) الندى : الصوت .
(٤) ربعوا به : وقفوا .

لا يَبْعُدَنْ زمنٌ مضى لو تُشْتَرى ساعاتُهُ بالعمر أجمعَ ما غَلَا
أيّامَ أغصانُ القدودِ ، قطوفُها تُجنى ، وأقمارُ الملاحة تُجْتَلَى
ومهفهفٍ لولا سهامُ جفونه تُصْبِى لأَدْرَكَ عاشقٌ ما أمّلا
كالبدرِ وجهاً والغـــزالِ تلفُّتاً والحِقْف[1] ردفاً والقضيب تمَيُّلا
ويكادُ من طيبِ المُقَبَّلِ يَنْثَنِى عود الأَراكِ من الثنايا مُبْدلا ٥
إن كان يحكى البدرَ وجهاً إنه يحكيه أيضاً فى البروج تَنَقُّلا
ولقد أديلُ من الصبابة همتى وأشيمُ[2] من شِيَمِى عليها مُنْصُلا
وأصونُ عقـــدَ بلاغةٍ نَظَّمْتُهُ عن أن يُرَى بسوَى عُلاكَ مُفَصَّلا
يا من تساوتْ فى العـــلا أقسامُهُ وسما بهمته فكانَ الأفضَـــلا
أرضٌ سعتْ قدماك فيها لا تزلْ لذوى الممالك قِبْـــلةً ومُقَبَّلا ١٠
ونداكَ ، كل مؤمِّلٍ ما أمّلا إلا تجهّمَ للعُفـــاةِ وأمّلا
مَلِكٌ يلاقى الطيفَ وهْوَ مُدَرَّعٌ حزماً ، ويقتنصُ الفوارس أعزلا

[١٣٦ ظ] / وأنشدنى أيضاً لابن قادوس فى الرشيد بن الزبير وكان أسود :

إنْ قلتَ من نارٍ خُلِقْـ ـتَ وفُقْتَ كل الناسِ فَهْما
قلنا صـــدقتَ فما الذى أطفاكَ حتى صِرْتَ فَحْما ؟ ١٥

وله :

مليكٌ تذِلُّ الحادثاتُ لعـــزِّه يُعيدُ ويُبدى والليالى رواغمُ
وكم كربةٍ يومَ النزالِ تكشَّفَتْ بحَمْلاتِه وهْىَ الغَواشى الغَواشِمُ
تَشِيدُ بناءَ الحمدِ والمجدِ بيضُهُ وهنَّ لآساس الموادى هوادم
رقاقُ الظُّبَا تجرى بآجالِ ذى الوَرَى وأرزاقِهِمْ ، فَهْى القواسى القواسم ٢٠

(١) الحقف : المعوج من الرمل .
(٢) شام سيفه : أستله .

[ومن قصيدة] فى صفة زاهد :

إذا قائمُ السيف انثنى فى مُلِمَّةٍ   عن الفعل أغنى وحدَهُ وهْو قائمُ

فما صَدَرَتْ عن موردِ النفس خِلْتَها   بأغمادها وَهْى العوارى العوارم

ومنها مخاطباً للزاهد :

٥ صحائفُ أعداها الشباب بصبغةٍ   فهل أنت ماحٍ ما تخطُّ المآثم

ومن محاسن ابن قادوس ، فى شعره العلق بالنفوس ، ما استخرجته من ديوانه قوله فى صفة كتاب :

/ مدادُهُ فى الطِّرْسِ لمَّا بدا   قَبَّلَهُ الصبُّ ومَنْ يزهدُ   [١٣٧ و]

كأنما قد حلَّ فيه اللَّمَى   أو ذاب فيه الحجرُ الأسود

وقوله :

مَنْ عاذرى مِنْ عاذلٍ   يلومُ فى حُبِّ رَشَـــا

إذَا نَـكِرْتُ حُبَّـــهُ   قال كَفَى بالدمع شـــا

أى شاهد .

وقوله فى صبى لم يدرك :

١٥ سالمُ الفكر من تَخَالُجِ شَكٍّ   مُصْبِحُ الرأى فى الملمِّ البهيمِ

يُولِجُ الليلَ فى النهارِ من الخـ   ـطِّ بلفظٍ كشرقاتِ النجومِ

وله من قطعة :

لقد كان جاهى عريضاً بكم   فَلِمْ صار كالخطِّ لا عَرْضَ لهْ

وكم من يدٍ لك مشكورةٍ   ومالِىَ فيهـــا ولا أنْمُلَهْ

وقوله فى ابن العلّانى المرى :

هذا ابن علّانيكمُ ، شِعْرُهُ ... يَنوب فى الصيف عن الخَيْشِ
إنْ لم يكن مثل امرئ القيس فى ... أشعاره فهْو امرؤُ القَيْشِ

وله فى أقلفٍ :

وقيتَ قِصاك من وقع القوافى ... وألفاظٍ خِفافٍ كالحِقافِ ٥
متى تُرْجى لنفعٍ أو لدفعٍ ... وقلبُكَ مثل ... فى غِلَافِ

[١٣٧ ظ] / وله :

لام العواذلُ مغرماً ... فى حبِّ مُلهيةٍ وَقَيْنَهْ
ولو أنهنَّ رأين تأْ ... ثيرَ الغرام به وَقَيْنَهْ

وله فى مرثية : ١٠

يا جنةً هى فى الجنانِ مَسَرّةٌ ... لقدومه تختال فى غرُفاتها
إنْ كان فى الدنيا عليه مآتمٌ ... فأراهُ عُرْس الحورِ فى جنّاتِها

وله :

يا من يَكرُّ على جريـ ... ـح اللحظ منه مُجْهِزُ[(١)]
ديباج خدّيه بسنْـ ... ـدُسِ عارضَيْه مُطَرَّزُ[(٢)] ١٥
وبخدِّه خالٌ لدا ... ئرةِ الملاحةِ مَرْكَزُ
قل لى ولحظُكَ صارمٌ ... فى أىِّ دِرْعٍ أبْرُزُ
أبداً بسلطان الجما ... ل وبالهوى يتعزَّزُ

(١) مجهز : من أجهز عليه أى قضى . (٢) ثوب مطرز : له مطاريف .

ويقول غِرٌّ بالتجــنى وهو فيــه مُبرِّزُ
ويَسُومنى مالا يجو زُمن الأذى فأجوِّزُ
لولا الوزيرُ وعدلُهُ لم يُغْن فيه تَحَرُّزُ
عدلٌ يَفِيض وهمةٌ تَنْهَى المذولَ وتَحْجِزُ

وله :

/ يا أمرِحاً أرمد العـــينَ من دماء الجــراحِ [١٣٨ و]
يقول طرقِىَ شـــاكٍ صدقتَ ، شاكى[(١)] السلاح

وله يهجو شاعراً :

لو كان ينصفُ حين ينْـــشِدُ شعرَهُ وَسْطَ المَلَا
صفعوه عِدَّةَ كلِّ حرْ فٍ فيـه لـكنْ جُمّلَا[(٢)] ١٠

وله يهجو :

إذا قال لا يعــدو كلامَ ابن فاعلٍ على أنَّ محْضَ الجهل حشْوُ دماغِهِ
وليس كلاماً مايقول وإنمـــا يجيب الصّدا من رأسه من فراغه

وله فى جارية سوداء :

وعاذلٍ محتفـــلٍ مجتهدٍ فى عَــذَلى ١٥
يلومُنى فى ظبيــةٍ مخلوقةٍ من كَحَل
إنّ السَّـــوَادَ عِلّةٌ من نورِ هذى المُقَل
والحَجرُ الأسودُ لم يُخْلَقَ لغــيرِ القُبَلِ
والقارُ مذ كانَ ـــوعا ء السلسبيلِ السَّلْسَلِ

(١) شاكى السلاح : له شوكة وحد فى سلاحه .
(٢) حساب الجمل : تقدير الحروف الهجائية بأرقام تختلف باختلاف الحروف .

وله :

فإن عدتُ إلى وصلـــك فالألطافُ مرجُوّهْ
وإن لجَّ بك الهجرُ فلا حولَ ولا قُوَّهْ

[١٣٨ ظ] /وله :

حوله اليــومَ أناسٌ كلُّهُمْ يُزْهى برائِهْ
وهْو مثلُ الماء فيهمْ لونُهُ لونُ إنائِهْ ٥

وله :

ابنُ فلانٍ رجلٌ صالحٌ فامتحنوه وأقبــلوا رأيى
ارموهُ فى البحرِ لكى تنظروا فإنه يمشى على الماء

وله فى ذم السواد : ١٠

أهْوِنْ بلونِ الســواد لوناً ما فيه من حُجَّةٍ لناسِبْ
لستَ ترى حُمْرَةً لخدٍّ فيه ولا خُضْرَةً لشارِبْ

وله فى فرس يستعمل فى الماء :

أأردتَها تَبْقَى وقدْ كلَّفْتَها بالمـاء قُوتَا
لـكنْ لشدَّةِ ضَعْفِها ما كان فيها أن تموتا ١٥

وله يهجو :

غِرْسُ هذا الفصيل مذ غرس النا كأُ فيهــا . . . وهْى مُبَاحَهْ
أثمرَتْ رأسُــه قروناً طِوالاً إنَّ هذا لمِنْ غريبِ الفِلاَحَهْ

وله :

يقظانُ ملتهبُ النّدَى فكأنّه مُغْرًى بإتلافِ النُّضَارِ مُسَلَّطُ

ومن شعره[1] :

ذو عارضٍ كالغُـرَابِ لونًا وشاربٍ مثـل ريشِ بَبْغَا

وله يهجو أنفاً كبيراً :

أنفُ الشريفِ دونه الآنافُ كأنما الدنيـا له غِلَافُ

ومن شعره :

قل لمن قد مَحَضتُهُ خالص الحـبِّ فلم يَجْزِنِي على قدر حُبّي

قد قَنِعنا بمنظـرٍ يُطْفِئ الوجْـدَ ولفظٍ يُلْهِي الفؤاد ويُصْبِي

ما أُحِبُّ الوصالَ إلا لهـذا فبقلبي أحبكم لا ١٠

وله فى رجل كبير الأنف :

عليك لا لك أنفٌ ظلّ مُشتَرِقا حتى غدَا بنجوم الأُفْقِ مُلتصِقا

فلا تقُلْ خلقةُ الله ازدريْتَ بها فقد يعاذُ به من شرِّ ما خَلَقا

وله فى المعنى :

كأنه السدُّ الذى بيْنَنَا وبيْنَ يأْجوجٍ ومأْجوجٍ ١٥

وله فى المعنى أيضاً :

ورُبَّ أنفٍ لصـديقٍ لنا تَحـديدُه ليس بمعلومِ

ليس على العرشِ له حاجبٌ كأنه دعوة مظـلومْ

(١) هنا فى الأصل خرم ، وقد أكملنا الترجمة من مختصر الخريدة .

٢٣ — الموفق أبو الحجاج يوسف* بن محمد المعروف بابن الخلال

هو ناظر ديوان مصر وإنسان ناظره ، وجامع مفاخره ، وكان إليه الإنشاء ، وله قوة على الترسل يكتب كما شاء ، عاش كثيراً وعطل فى آخر عمره وأضرّ ، ولزم بيته إلى أن تعوض منه القبر ، وتوفى بعد تملك الناصر مصر بثلاث أو أربع سنين . وأنشدنى مرهف بن أسامة بن منقذ ، قال أنشدنى الموفق بن الخلال لنفسه من قصيدة :

عَذُبَتْ ليالٍ بالعُذَيب خَوالى … وحلَتْ مواقفُ بالوصالِ حَوالى
ومضتْ لذاذاتٌ تَقَضَّى ذِكْرُها … تُصْبِى الحليم وتَسْتَهِيمُ السالى
وجَلَتْ مورّدة الخدود فأوْنَقَتْ … فى الصَّبْوةِ الخالى بحُسْنِ الخالِ
قالوا سراةُ بنى هلالٍ أصلُها … صَدَقوا كذاك البدرُ فرع هِلالِ

١٠

ونقلت من كتاب جنان الجنان ورياض الأذهان من شعر ابن الخلال قوله :

وأغنّ سيفُ لحاظِهِ … يَفْرى[١] الحُسامَ بحدِّهِ
فَضَحَ الصوارمَ والقَنا … نَ بقَدِّهِ وبقدِّهِ
عجبَ الورَى لما حييـ … ـت[٢] وقد منيت ببعده[٣]

* سقط أول هذه الترجمة فى الخرم المذكور وقد جئنا به من ابن خلكان إذ نقل عبارة العماد بلفظها ، ورجعنا إلى المغرب وقد نقلها هو الآخر كما رجعنا إلى المختصر بحيث رمّ النقص هنا . وابن الخلال آخر رؤساء ديوان الإنشاء فى العهد الفاطمى ، وتتردد فى صبح الأعشى رسائل له كما يتردد اسمه . ولم يزل فى ديوان الإنشاء إلى أن طعن فى السن وعجز عن الحركة وتسلم مقاليد الأمور أسد الدين شيركوه ، فانقطع فى بيته . وتولى الديوان القاضى الفاضل ويقال إنه كان يرعى له حق تخريجه ، إذ كان أستاذه وعلى يديه تخرج فى صناعة الرسائل ، فكان يجرى عليه كل ما يحتاج إليه إلى أن توفى سنة ٥٦٦ هـ . انظر ترجمته فى وفيات الأعيان وفى المغرب نسخة الجامعة العربية الورقة ١١٣ وشذرات الذهب ٤ / ٢١٩ وحسن المحاضرة ١ / ٣٢٤ .

(١) فى ابن خلكان : يغرى (٢) فى المغرب : بقيت
(٣) فى المغرب : بصده

وبقاء جسمى ناحلا يصلى بوقدة صده[1]
/ كبقاء عنبر خاله في نار صفحة خده [١٣٩ و]

وقوله فى شمعة :

وصحيفة بيضاء تطلع فى الدجى صبحًا وتشفى الناظرين بدائها
شابت ذوائبها أوان شبابها واسود مفرقها أوان فنائها
٥ كالعين فى طبقاتها ودموعها وسوادها وبياضها وضيائها

وقوله فى الشمعة أيضاً :

وصعدة لدنة كالتبر تفتق[2] فى جنح الظلام إذا ما أبرزت فلقا
تدنو فيخرق برد الليل لهذمها فإن نأت رتق الإظلام ما فتقا
١٠ وتستهل بماء عند وقدتها كما تألق برق الغيث فاندفقا
كالصب لونا ودمعا[3] والتظاوضنا وطاعة وسهادا دائما وشقا
والحب أنسا ولينا واستوا وشذا وبهجة وطروقا واجتلا ولقا

وقوله :

أما اللسان فقد أخفى وقد كتما لو أمكن الجفن كف الدمع حين هما
١٥ أصبتم بسهام اللحظ مهجته فهل يلام إذا أجرى الدموع دما
قد صار بالسقم من تعذيبكم علما ولم يبح بالذى من جوركم علما
فما على صامت أبدى لصدكم فى كل جارحة منه السقام فما

وقوله فى مرثيه بالعظات مترية[4] :

/ شيم الأيام صد بعد ود والليالى عهدها أهون عهد [١٣٩ ظ]

(١) إلى هنا ينتهى النقل من ابن خلكان والمقارنة على غيره مما ذكرناه
(٢) فى المغرب : تبرق (٣) هكذا فى المغرب وفى الأصل : ولما
(٤) فى الأصل : مترثية

إن أعانَتْ عَدَلَتْ أَوْ خَذَلَتْ ... سَلَبَتْ أَوْ وجِلت راعت بفَقْدِ
أفٍّ للدُّنيا فكم تخــدعنا ... من حِبَاهَا[1] بِعُمَارٍ مُسْتَرَدِّ
ما وَفَتْ أعوامُ قُرْبٍ بالذى ... جَنَتِ اللوعةُ من ساعةِ بُعْــدِ
يا أخا الغِرَّةِ حَسْبُ الدهرِ من ... عِظَةِ المغرور ما أصبح يُبْـدِى
تؤثرُ الدنيا فهــل نلتَ بها ... لحظــةً تخلصُ من همٍّ وكَدِّ ٥

٢٤ — الشيخ أبو الحسن على بن الحسن المؤدب

قرأت فى مجموع له :

وأهيفٍ كالقضيبِ مُعْتَــدِلاً ... باتَ بروضِ الجمال مَغْــرُوسَا
أثمر بالشمسِ والظلامِ وهلْ ... يجتمع الصبحُ والحنــاديسا
سُمِّىَ باسمِ المسيحِ وهْوَ على ... ضدِّ الذى كانَ فاعلاً عيسى ١٠
فذاكَ يُحْيِى وذا يميتُ ضَــنًا ... صبًّا عليلاً لديه لا يُوسَى
تَحَكَّمُ فى النفوسِ يملكها ... مثل سليمانَ عرشَ بلقيسا
يلتقفُ السحرَ سحرُ ناظره ... كأنما لحظُهُ عصَا موسى

وله فى ذم العذار :

اقْمَعْ غليلَ الأسَى بدمعٍ ... تُقْرِحُ أسرابُهُ الجفونا ١٥
/ محا اسمَكَ الشَّعْرُ من خُدودٍ ... أثبتَّ فى صحنها شُجُونَا [١٤٠ و]
ما دبَّ فى عارضيك حتى ... بذلتَ من نفسك المصونا
فلا علمتــا اللحى فإنَّا ... بها نروضُ الفتى الحَرُونا

---

(١) الحباء : العطاء

٢٥ — الشريف أبو الحسن

علي بن محمد الأخفش المغربي الشاعر

كنت أسمع التجار من أهل مصر وغيرهم من أهل الشام يصفونه ويُطْرونه، وعلى من بمصر من الشعراء يقدِّمُونَه، فإذا استنشدهم أحدٌ شعره قالوا ما نحفظه، لكننا لقبوله بمصر بعين الفضل نلحظه، حتى أنشدني الشريف أحمد[١] ابن حيدرة الزيدي الحسيني شِعْرَه، فوجدت موافقا لَخَبَرِه خُبْرَه. أنشدني له من قصيدة في المنبوز بالآمر[٢]:

سَقَى دِمَنَ السَّفْحين للقطرِ صيِّبُ ... وحَيَّا رُبَى حَيٍّ رَبَا فيه رَبْرَبُ

فهل لي إلى شَهْدِ اللواعسِ مَشْهَدٌ ... وهل لي إلى شِعْب الأَحِبَّةِ مَشْعَب

وما ليَ عن شرعِ الصبابة مَشْرَعٌ ... وما ليَ إلّا مذهبَ الحبِّ[٣] مَذْهَبُ

وفي الحيِّ رودٌ في عِذابٍ وُرودِهَا ... عَذابٌ يُذيب العاشقين ويَعْذُبُ

على نحره يَطْفُو على الماء جوهرٌ ... وفي خَدِّهِ تَسْعَى على النار عَقْرَبُ

إذا غَرَبَتْ في فيه شمسُ مُدَامَةٍ ... فمشرقها من خدِّه حين تغرب

بروضٍ بديعِ الحسن أمّا شقيقُهُ ... فخدٌّ وأما الأُقحوانُ فأَشْنَبُ[٤]

/ سَماهُ كَلاً للماء فيه مَجَرَّةٌ ... وللوردِ شَمْسٌ والشقائقِ كوكبُ [١٤٠ ظ]

---

(١) سيعرف به العماد فيما بعد وهو مدني الأصل مصري المولد رحل إلى العراق.

(٢) الآمر: السابع من خلفاء مصر الفاطمية تولى من سنة ٤٩٥ إلى سنة ٥٢٤ هـ

(٣) في الأصل: الحد

(٤) الأشنب: الثغر فيه رقة وبرد وعذوبة

كأنَّ غصونَ الأيكِ عادت منابرًا بهــا وكأنَّ الطيرَ فيهنَّ تخطبُ
وغنَّتْ على الأوراقِ وُرْقٌ كأنها قيانٌ بأوتارِ المعـازفِ تضرب
بليلٍ من البــدرِ المنيرِ مفضَّضٍ يُنَاطُ به شمسٌ من الصُّبحِ مذهب
تعسَّفْتُهُ لمَّا تنصَّــلَ بالضحى عن الصبحِ فَوْدٌ بالظلامِ مُخَضَّبُ
وهجَّرتِ الرمضاء والآلُ مائحٌ[1] كأنَّ على أمواجِها العيسَ مَرْكَبُ ٥
وقد زَجَلَتْ[2] جِنٌّ الفلاةِ بمهمهٍ إذا جئتَ منها سبسبًا عَنَّ سَبْسَبُ
إلى ذروةِ النـورِ العلائيِّ[3] إنَّهُ إلى ذروةِ النـورِ الإلهيِّ يُنْسَب

وأنشدني له من قصيدة أولها :

متى يشتفي المشتاقُ من لوعةِ الأسى ودائي دوائي ، والأسَى مَعْدِنُ الأسَا

ومنها : ١٠

غزالٌ كحيلُ الطرفِ أحوى[4] مُفَلَّجٌ تَدَرَّعَ جلبابَ الملاحــةِ واكتسى
ويتلو كتابَ السحرِ من لحظاتهِ كأنَّ لدينَ السحرِ فيهــا مُدَرِّسَا

ومنها :

ألا فاتَّخِـذْ تلك الرياضَ منازهًا فإن أميرَ الغيثِ فيهن عَرَّسَـا[5]
وكنْ بظلياءِ الإنسِ صبًّا متيمًا بأشنبَ معسولِ الثَّنِيَّاتِ[6] ألعَسَا[7] ١٥
له اسمٌ متى ماشئت كَشَّفَ غيوبه كما يكشفُ الصبحُ المبلَّجُ حِنْدِسَا

---

(١) الآل : السراب ، ومائح : من ماح الدلو إذا ملأها ماء
(٢) زجلت : غنت (٣) فى الأصل : العلائى
(٤) أحوى : أسود الشفة (٥) التعريس : النزول ليلا
(٦) الثنيات : جمع ثنية وهي الأسنان فى مقدم الثغر .
(٧) اللعس : لون الشفة إذا كانت تضرب إلى السواد .

/ مُدامٌ وحُورٌ ثُمَّ مِسْكٌ ودميةٌ فهذا اسم(١) ظبيٍ جلَّ أنْ يتغيَّبا [١٤١ و]

وأنشدنى له فى ولد نقيب العلويين بمصر الملقب بأنس الدولة وكان مقدماً على الشعراء لنسبه ، وشعره نازل :

سَمَتْ بابن أُنْسِ الدَّولة الرتبُ التى تطَاوِلُ قَرْنَ الشمسِ حتى تَطُولَهُ

٥ يحاولُ قولَ الشعر غايةَ جُهْدِهِ وتأبى له أعراقُهُ أنْ يَقُولَهُ

وكم قائلٍ لَمَّا ذكرتُ انتسابَه لآل رسول الله هاتِ دليلَهُ

فقلت لهم أقوى دليلٍ أقيمه عليه بأنَّ الشــعر لا ينبغى لهُ

وأنشد أيضا الأمير أسامه بن منقذ هذه الأبيات وقال : كنت فى خدمة ابن عمه وهو ينشد هذه الأبيات ، وأنشدنى له فى العذار بيتين أغرب فى معناها

١٠ على الابتكار :

وكأنَّ العذار فى حُمْرَةِ الخــــدِّ على حُسْنِ خَدِّكَ المنعوتِ

صولجانٌ من الزُّمُرُّدِ معطو فٌ على أُكْرَةٍ من الياقوت

ما أحسن هذين البيتين ، لولا أنه ذكر الخد فى البيت الأول مرتين . أقول : الشريف الأخفش ، بسماع شعره مَيِّتُ الحسِّ ينعش ، وخلى القلب يدهش ، فهو

١٥ كالديباج المنقَّش ، والبستان المعرَّش ، مذهبه فى / التجنيس مُذْهَب ، ونظمه فى [١٤١ ظ] سماء الفضل كوكب ، واستثقالى بتكرير الخد فى وصف العذار كما حُكى عن ابن العميد أنه استثقل قول أبى تمام :

جوادٌ متى أمدحهُ أمْدَحْهُ والوَرَى معى ومَتى ما لُمْتُهُ لمته وَحدِى

فقال : تكرار أمدحه ثقلُ روح ، وقابل المدح باللوم وكان يجب أن يقابل

٢٠ بالهجاء وهذا نظر دقيق .

---

(١) يشير إلى أن اسمه محمد .

ونقلت من بعض التعاليق بدمشق من قصيدة للأخفش فى عبد المجيد المنبوز بالحافظ بمصر :

ذَكَّرَ الموجَ بِشاطِى بَرَدَى وحَباباً فيه يطفو بَرَدَا
والصَّبَا تمرحُ فى أرجائه فتصوغُ الموجَ منه زَرَدَا
يَتمنَّى القِرْنُ أن يلبسه بين أبطالِ الوغى لو وجدا ٥
رَكَدَتْ سارحةُ الريح به فجرتْ خيلاً ومرَّتْ سَرَدا
ينثرُ البدرُ عليه فضــــةً وتذيبُ الشمسُ فيه عسجدا
رشأٌ لو لم تكن ريقتُهُ قهوةً صــافية ما عَرْبَدا
تحجب الكِلَّةُ منــه قمرًا ويحوزُ الدرع منه أَسَــدا
قمرٌ إن هزَّ رمحًا فى الوغى هزَّ من عطفيه غصناً أملدا ١٠
ليتهُمْ إذ منطقوا أعطافَهُ بالثريا قلَّدُوه الفــرقدا
طافَ بالراح التى لم تدَّرِعْ بحسام المزج إلا زَبَدَا
فَعَــلاَها دُرُّهُ ياقوتةً ذاب سقمًا جسمها فاطَّرَدَا

[١٤٢ و] / ومنها فى المديح ، وقد أفضى به الغلوّ إلى الـكفر الصريح :

صِرْفُ جِرْيالٍ يرى تحريمها من يرى الحافظَ فَرْدًا صَمَدَا ١٥
بَشَرٌ فى العين إلا أنَّهُ من طريقِ العقل نورٌ وهدى
جلَّ أن تدركه أعيننا وتعــالى أن تراه جَسَدا
فَهْوَ فى التسبيح زُلْفَى راكعٍ سَمِــعَ اللهُ به من حمــدا
تدركُ الأفكارُ فيــه نبأً كادَ من إجلاله أن يُعبَدا

واقتصرت على هذه أنموذجًا لشركه ، وأخَّرت الباقى من سلـكه ؛ وأنشدت ٢٠
له مطلع قصيدة :

عوجا بمنعرج السفحين أو رُوحَا . فقد قضى مَرْبَعٌ كنتم له روحا

وللشريف الأخفش من قصيدة يمدح فيها الشريف القاضى المفضل إمام ابن حيدرة بن على قاضى بلبيس — كان — وأولها :

لنجرانَ ، فالبرقُ الحجازىُّ أبْرَقَا وعُسْفانَ ، فالمُزْنُ اليمانىُّ أودقا(١)

٥ ومن جملتها :

شريفٌ يدُ الشرعِ انتقتْ منه قاضيًا فكان لهذا الدين أفضلَ مُنْتَقَى

خلائقُهُ فى العدلِ تُرْضَى وتُرْتَجَى وسطوته فى الحقِّ تُخْشَى وتُتَّقَى

إذا ما تَعَدَّى ماردٌ لسمائه أعدَّ له نجمًا من القذفِ مُحْرِقَا

/ يُثَبِّتُ مَنْ لمْ يَرْقَ فى ذروة العُلاَ ويَدْحَضُ عن عَرْشِ المعالى مَنِ ارْتَقَى [١٤٢ ظ]

١٠ وسبَّاقُ غاياتٍ بإبطاء وَثْبَةٍ ولم يُبْطِ بالتثبيت إلا ليسبقا

هو الغيثُ يَمِّمْهُ إذا كان مُمْطِرًا وخُذْ حذراً منه إذا كان مُصْعِقا

وما أصفرَّ لونُ التبرِ عند اجتماعه بكفيه إلا خيفةً أن يُفرَّقا

وآخر هذه القصيدة :

فلا طَمَحَتْ بى نحو غيركَ عَزْمَةٌ ولا باتَ بابٌ منك دونىَ مُغْلَقا

١٥ ومن شعراء بنى رزيك :

٣٦ — الخطيب المفيد أبو القاسم* هبة الله بن بدر المعروف بابن الصياد

وجدت له فى مجموع ألفه الجليس بن الحباب(٢) فى شعراء ابن رزيك والمداح فيه ، من قصيدة أولها(٣) :

(١) فى الأصل : أبرقا ، وأودق المزن : نزل .

* ترجم له ابن سعيد فى المغرب نسخة دار الكتب المجلد الثانى الورقة ١٧١ ولم يزد فى ترجمته عما ذكره العماد .

(٢) فى الأصل : الجنان وهو تحريف .

(٣) نقل ابن سعيد نص هذه العبارة فقال : « ذكره صاحب الخريدة وقال : وجدت له فى مجموع ألفه الجليس بن الحباب فى مدائح شعراء ابن رزيك قوله من قصيدة فى ابن رزيك الخ » .

بسمعى عن التَّعذالِ فيك تَصامُمٌ فجهدىَ عِصْيَانِى إذا لامَ لائمُ

منها يصف عَدُوّه :

ولما رأى الغَدَّارُ قُرْبَ حلوله تيقّنَ أن للموتَ ما منه غاصمُ

ولوكان ذا حَزْمٍ لما حَامَ قبل أن يرى الخيل بل من قبلِ تبدو الصوارم

أستخبرُ هَل من قَدَارٍ[1] لريشةٍ على هزّ بحرٍ مَوْجُهُ متلاطم ٥

[٦٧ و] / وله فيه من قصيدة :

كأنَّ اختطافَ الهام عندكَ بالظبا ابـــتهاجاً به يومَ الوغى ثَمَرٌ يُجْتَنَى

غداةَ جعلتَ البيضَ أغمادها الطُّلاَ وخَيْلَ العِدَا تُقْنَى وسُمْرَ القَنَا تَقْنَا[2]

وله من قصيدة يذكر فيها قتله أرناط[3] مقدم خيل الفرنج :

عنْ سيفِ دين الله سلْ أرناطا حيثُ المنية كأسُها يُتَعاطى ١٠

والمشرفيَّةُ قد حَـكَتْ فى جيشه فى العَلِّ والنَّهَلِ القَطَا الفُرَّاطا[4]

قد شام طيرُ الـكفرِ منه مِنسَرًا أشْغَى[5] وعاينَ مِخْلباً عَطَّاطا[6]

هو مُلْبِسٌ جُثَثَ العِدَاةِ الحربِ مِنْ حُلَلِ النجيعِ مجاسداً ورياطا[7]

لجيادُهُ تشكو مزاحمةَ القَنــــا وتردُّ خِرْصَانَ الرماحِ سياطا

هو فارسُ الإسلام يحفظ بالظُّبَا من دينه الأطرافَ والأوساطا ١٥

---

(١) قدار : قدرة .

(٢) تقنى الأولى من الاقتناء والثانية مخففه من قنأ أى يصبح لونها قانئاً .

(٣) انظر حروب طلائع فى الروضتين ١/١١٥ ، ١/١٢١ .

(٤) الفراط : المتقدم الى الورد .

(٥) المنسر الأشغى : المنسر لسباع الطير هو المنقار لغيرها ، والأشغى : الذى تختلف أسنانه طولا وقصراً وتسمى العقاب الشغواء (٦) عطاطا : حادا يشق شقاً .

(٧) الرياط : الثياب اللينة الرقيقة ، والملاءة ، والمجاسد : الثياب التى تلى الجسد .

كم قد أثارَ من الأسِـــنّةِ أنجما لما أثار من العجاج غُطَاطا[1]

فتخـــالُهُ مَلَكاً رمى بشهابه في الرَّوْعِ شيطانَ الحروب فشَاطا

وله من أخرى :

شرَّدْتَهُمْ حتى لقد قَاسَوْا على تلك العِقَابِ[2] أليمَ كلِّ عِقَابِ

٥ سِيمُوا العذابَ وذَكَّرَتْهُمْ حالَهمْ حفِظَاتُ أيامٍ سَلَفْنَ عِذَاب

هابُوكَ فانْذَعَرُوا ومِنْ أعذارِهِمْ أن السَّوامَ تهابُ ليثَ الغاب

وله من أخرى :

/ لله أنت على أقبَّ مُطَهَّمٍ[3] نَهْدٍ[4] بجوزاء السماء مُشَنَّفِ[5] [٦٧ ظ]

ومنها :

١٠ أضرَمْتَ في أكبادهمْ من بَعْدِهِ بالنصـــل نارَ تأسُّفٍ وتلهُّفِ

فؤادُ[6] ذي الجأشِ الربيطِ مخافةً يحكي جنـــاحَ الطائرِ المُتَرَفْرِفِ

وله من أخرى :

وشرَّدَهَا إشفاقُها منكَ فاغتدتْ ترى الأرضَ خوفاً وهْيَ من ضِيقِها فِتْرُ

فذلُّوا كأنَّ العزَّ ما كانَ بَيْنَهُمْ وصـاروا كأنَّ الفقرَ عندهمُ قَبْرُ

١٥ وله من أخرى :

أضْحَتْ لواتةُ[7] شُرَّدًا من بأسِهِ فلديهمُ سعةُ الفضاء مَضيقُ

(١) الغطاط : بقية من سواد الليل والسحر .
(٢) العقاب : جمع عقبة وهي المراقي الصعبة .
(٣) الأقب : من الخيل الضامر ، ومطهم : عظيم الوجنات .
(٤) النهد : الفرس الجسيم الوسيم (٥) مشنف : من الشنف وهو القرط
(٦) في الأصل : فؤادي
(٧) لواتة : قبيلة مغربية ، ومعروف أن الجيش الفاطمي كان جزء كبير منه من المغرب .

لم يضربوا طُنُباً(١) لخوفهمُ فهمْ ... مثلُ الوعولِ إذا حواها النِّيقُ(٢)
إن غابَ فيهم وجهُهُ تخيـــالُهُ ... ليلاً كما هو فى النهار طَرُوق
لو هبَّتِ الريحُ اغتدى لسماعها ... قلبُ الشجيع القلبِ وهْوَ خَفُوق
جعلوا المزيمةَ عنه بِرًّا إذ لهم ... لسواه فى شَقِّ العِصِىِّ عُقُوق

٥ وسمعت أن هذا ابنَ الصياد كان من شعراء الصالح بن رزيك . وكان سريعَ الخاطر فى النظم لا يقف قلَمُهُ ، ولا يتَّضع فيه علَمه ، ويغريه الصالح بجلسائه يهجوهم وكانوا يتعرضون به وسمعتُ أن ابن الحباب كان كبير الأنف وكان ابن الصياد مولعاً بأنفه قد هجاه بأكثرَ من ألفِ مقطوعةٍ وما كان / [٦٨ و] يصده شىءٌ عنه حتى انتصر له أبو الفتح بن قادوس فقال فيه :

١٠ يا من يعيبُ أنوفنَا الشـــمَّ التى ليست تعـــابُ
الأنفُ خلقةُ ربنـــا وقرونك الشمُّ اكتساب

٢٧ — ابن قيصر * من أهل الإسكندرية

كان كثير المنظوم ، قليل الجيد منه .

قرأت فى مجموع : كتب الفقيه الرشيد أبو الحسن على بن قيصر فى جواب

١٥ كتاب :

وصلَ الكتابُ فلا عَدِمْتُ يَدًا ... نَثَرَتْ عليه جَوَاهِرَ الكَلِمِ
وعجبتُ كيف ترَى لها أثَرًا ... وبنانُها يَنْهَلُّ كالدِّيَمِ

---

(١) الطنب : الحبال تشد بها الخيام (٢) النيق : أرفع موضع فى الجبل .

* عرف به السلفى فى معجمه (نسخة دار الكتب المصورة) الورقة ١٩٣ وقال : هو أبو الحسن على بن محمد بن عيسى الأزدى كان من أهل الأدب والفقه ويعرف بابن قيصر وكان كثيراً ما يحضر عندى وعلقت عنه مقطعات كثيرة .

ووجدتُ له فى مجموع شعراء ابن رزيك قصيدة فيه أوّلها :

الصبرُ عن بانِ الحى وعقيقِهِ فى حقِّ ساكنِهِ أجلُّ عُقوقِهِ

ظبيٌ ظُبَا ألحاظِهِ فتّاكةٌ تُغنيه يومَ الروع عن إبريقِهِ

لو قال يوم الأنس :

٥ سيانِ عندى الخمرُ فى إبريقه أو ما حواه ثغرُه من ريقـهِ

أين هذا من قول ابن حَيّوس :

فعـــلُ المُدامِ ولونُها ومَذَاقُها فى مُقْلَتَيْهِ وَوَجْنَتَيْـهِ وَرِيقِهِ

تمام قصيدة ابن قيصر :

لا فرقَ بين خيالِهِ وَوِصـــالِهِ فى سَرْدِ[1] ماطِلِهِ وفى تحقيقِهِ

١٠ /ومنها : [٦٨ ظ]

والله ما الشمس فى إشراقِها وضياء بهجتها كبعض شروقِهِ

كالرِّئم حالَ نفارِهِ ، والبدر عنـــد كمالِهِ ، والغصنِ عنـد بُسُوقِهِ

لا تجعلِ الهجران بعضَ عقوبتى فتكلِّفَ السُّـــلوانَ غيرَ مطيقِهِ

وأرفقْ فمن دينِ المُرُوَّةِ فى الهوى وعداته رفق الهوى برفيقـــه

١٥ والله ما صَدَقَ اللامُ ولا جرى ذا العذلُ عند ذوى النُّهَى بطريقه

كلُّ الجوارح فى يديه فأيُّها يُصْغى لزورِ العـذل أو تنميقه

فَذَرِ اللامَ لحبـــذاه لذكره فيه ، ملام الصبِّ فى مَعْشـوقه[2]

يا راكب المَهْرِىِّ أضحى ظلُّه فى عُرْضـــةِ البَيْداء من مَسْبوقه

بلِّغْ إلى المَلِكِ الهمامِ أمانةً تبليغُها الحرَّ من توفيقـــه

(١) سرد : نسج وصوغ .

(٢) الشطر فى الأصل : فيه قلوب الصب من معشوقه .

حتامَ حظِّى فى الحضيضِ ؟ وإنه ... فى الفضل عند الناس فى عَيُّوقِهِ
مثلى بمصرَ وأنت مالكُ رِقِّهِ ... مثلُ العُقـابِ مُغَرَّدًا فى نِيقِهِ[1]

ومنها :

والله حَلْفَةَ صادقٍ برّ بها ... يُضْطَرُّ سامعُها إلى تصديقه
لوكنتُ أرضى الشِّعرَ خطةَ فاضلٍ ... لجعلتُ عِرْضَكَ روضةً لأنيقِه ٥

ومنها :

إنّ الحديثَ صلاحُه بصلاحِ مُنْشِيهِ كذلك فُسُوقُهُ بفسوقِه
[٦٩ و] /والصيرفُ يبينُ عند محكِّهِ ... كم بين خالصِهِ إلى سَتُّوقِه[2]
ولقد أشاعَ الناس أنك فى الورى ... من ليس يَنْفقُ باطلٌ فى سوقِه
أبْطِلْ بنورِ العقلِ سلطانَ الهوى ... وأعمِلْ بكلٍّ الجهدِ فى تطليقه ١٠

فأجابه الصالح بن رزيك بقصيدة منها :

نفق التأدُّبُ عندنا فى سُوقِه ... وبدا اليقينُ لنا بلَمْعِ بروقِهِ
أهدى لىَ القاضى الفقيهُ عرائسًا ... فيها بديعُ الوشى من تنميقِه
فأجلْتُ طرْفىَ فى بديعِ رياضه ... من ورده وبَهارِهِ وشقيقه
فكأنما اجتمع الأحبةُ فانبرتْ ... يدُ عاشقٍ تهوِى إلى معشوقه ١٥
أدبٌ سعى منه إلى غاياتِهِ ... وأبَى فَسَدَّ عليه مَرَّ طريقه
ولقد علمتُ بأن فضلَكَ سابقٌ ... يُعْتَدُّ مَنْ جاراهُ مِنْ مَسْبوقه
فلذا اقتصرتُ ولم أرَ الإمعانَ فى ... شأوِ امرىءٍ أصبحتُ غيرَ مطيقه
وأرى الزمان جرى على عاداته ... فى جمعه طورًا وفى تفريقه
والشوقُ فى قلبى تضرّمَ وهجُهُ ... فمتى أراه يكفُّ عن تحريقه ٢٠

(١) النيق : أعلى مكان فى الجبل . (٢) الستوق : الزائف .

والدمعُ من عينى يَسُحُّ فهل يُرَى ... من بحره يومًا نجاةُ غريقـه
نَزَّهْتُ فى بستانِ نظمك ناظرى ... فَحَظِيتُ من زَهْرِ الرُّبَى بأنيقـه
يا من تَدُلُّ فنـونُ ما يأتى به ... من حَلْىِ مَنْطِقِه على توفيقـه
أنت امرؤٌ مَن قال فيك مقالةَ آلـغالى[1] فكلُّ الخلقِ فى تصديقه
٥ /وأنا أرَى تقديمَ حاجةِ صاحبى ... من دون حاجاتى أقلَّ حقوقه [٦٩ظ]
وكذا الكريمُ فمهمِلٌ لأموره ... لا مُهمِلٌ أبدًا أمورَ صديقه
هذا التجاحُ ، فكل ما قد رُمْتَهُ ... قد تمَّ[2] فانظرْ منه فى تحقيقـه

٢٨ — محمد* بن هانئ

هو أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن مفضل الأزدى الأندلسى موضـعه مع
١٠ شعراء الأندلس واتفق إيراده ها هنا وينسب إلى ابن هانئ المغربى الأندلسى .

كان فى العصر الأقرب ، وهو معروفٌ بالنظم المهذب ، وتوفى فى آخر أيام الصالح بن رزيك قبل سنة ستين ، على ما سمعته من المصريين ، وطالعت ديوانه بمصر فنقلت منه ما انتقدته ، وعقلت ما عقـدته ، ونسخت ما نسخ السحر ، ونسجَ الزهر ، وانحلَّتْ العقودُ الصحيحةُ لنسيم شمال أسحاره ، وتمثلت العقول
١٥ الصاحيةُ لتسنيم[3] شَمُولِ عُقَارِه . ووجدت له على قافية الهمزة من قصيدة :

سَدَلَتْ غدائرَ شعرِها أسماء ... وَسَرَتْ فما شَعَرَتْ بها الرُّقَبَاء
والليلُ تحت سَنَا الصباحِ كأسودٍ ... وَضَحَتْ عليـه عِمَامةٌ بيضاء

---

(١) التالى : المفرق فى مديحه (٢) فى الأصل : عم

* عرض له ابن ظافر فى كتابه بدائع البـدائه (طبع بولاق) ص ٢٢٤ وروى أنه هجا للوفق بن الخلال فاشتطن ذلك له وانتهز فرصة إنشاده الحافظ الخليفة الفاطمى ذات مرة ، فلما سأله عنه نوه به ؛ إلا أنه تأسف لشعر له فى هجاء الحافظ ، ألقه للموقف على البديهة ، فكان ذلك سبباً فى قطع صلته وكاد أن يفرط الحافظ فى عقوبته ولم يحصل له انتعاش من جهته — كما يقول ابن ظافر — طول حياته .

(٣) التيمية : الإمتلاء

[٧٠ و] /زارتْ نُعاماها(١) وزارَ خيالها فتيمَّمَتْ بكليهما تَيمـــاء(٢)
ومشتْ تميس يجرُّ فضلَ ذيولها دِعْصٌ بميل ، وبانةٌ غَنَّـــاء
هُنَّ الها يحوى كناسُ قلوبنا منهن ما لا تحتوى السِّيَراء(٣)
يُوحِشْنَ أفئدةً وهنَّ أوانِسٌ ويرُعْنَ آسادًا وهنَّ ظباء
وتحولُ دون قبابها هنـدية بيضـــاء ، أو يَزَنِيَّـةٌ سمراء ٥

ومنها فى المخلص :

لأُمزِّقَنَّ حشا الدُّجُنَّةِ نحوها والليـلُ قد دَهِمَتْ به الدهْناء(٤)
فى متن زنجىِّ الأديمِ كأنمـا صَبَغَتْهُ مما خاضَها الظلمـاء
وكأن حمرَ البروقِ صـوارمٌ سُفِحَتْ على صفحاتِهنّ دماء
أو يَثْنِيَنِّى لا أزورُ خيـامَها ولأسعدَ القاضى الأشمِّ مضاء ١٠

ومنها فى المديح وتقريظه بالقضاء :

قاضٍ له دِينٌ وصـدقُ شهادةٍ ذو الجـاه فيها والضعيفُ سواء
وعدالةٌ حُفِظَتْ بعقـلٍ راسخٍ لا تستميلُ جنـابَهُ الأهواء

وله من أخرى أولها :

لمن الآنســـاتُ وهىَ ظِباء واليعافيرُ(٥) حُجْبُها السِّيَراء ١٥
والشموسُ التى لوينَ غصونًا لمَ تُرَنِّحْ خصورَها صَهْباء
فاختفَى فى القُدودِ أرْىٌ(٦) وَراحٌ وبدا فى الخـدود نارٌ وماء

---

(١) النعامى : ريح الجنوب (٢) تيماء : مدينة فى شمال الحجاز .
(٣) السيراء : نوع من البرود فيه خطوط صفر أو يخالطه حرير .
(٤) الدهناء : الفلاة ، ودهمت : أسودته من الدهمة وهى السواد .
(٥) اليعافير : جمع يعفور وهو الظبى الأورق أو الرمادى . (٦) الأرى : العسل

/ تنثنى قامةً وتجْرَحُ طرْفاً فهْىَ السَّمْهَرِيَّة[1] السَّمْراء [٧٠ ظ]
طرَقَتْ والكِبَاء[2] والمندل[3] الرطـــبُ عليها وحَلْيها رُقَبَاء

ومنهـا :

ودُوَيْنَ الفتاةِ أبيضُ رقرا قُ الحواشى ولأْمَةٌ خَضْرَاء
٥ وفتى لاحَ فوق أدهمَ نهـدٍ قمرًا فى عـــنانه ظلماء
وكماةٌ تجلو الأســـنّةَ شُهْبًا ودُجاها العجاجـــةُ الشَّهْبَاء
تصدُرُ المرهفاتُ عن مورد الها م كما ضرّجَ الخــدودَ حَيَاء
يا لحى اللهُ ريبَ دهرٍ خؤونٍ سادَ فيـه كرامَهُ اللؤماء !
وزمانًا نحبُّـــه ! فكأنا حين يَسْطُو بنا — له أعداء

١٠ ومنها فى المخلص :

بالعلا يُعْرَفُ الكرام ولكنْ عُرِفَتْ بالموَفَّقِ العليـــاء
ماجدٌ لو عرَا الليالىَ داءٌ كان فى رأيه لهنَّ شـــفاء
راحةٌ لاتُراحُ من هَدْمِ جُودٍ بيتانِ لها المعالى بنـــاء
هدم الجود ليس بتقريظ ، وإنما المدح لو قال من هدم المال بالجود .
١٥ فهو والدهرُ حِنْـدِسىٌّ بهيمٌ غُرَّةٌ فى جبينـــه زهْراء
ولو أن الصَّبَا لها منـــه عَزْمٌ نَهضَتْ بالجبال وهْىَ رُخَاء
طَوْدُ حِلْمٍ رسَتْ به الأرضُ لمَّا شمخت منـــه ذِرْوَة شمَّاء

/ ومنها: [٧١ و]

ذكَرتْكَ الراحُ وللذِّكْرُ ساقٍ وكأنَّ المسامعَ النُّـــدَمَاء

(١) السمهرية : الرماح الصلبة (٢) الكباء : عود البخور
(٣) المندل : عود الطيب .

فإذا ما أُدير حمدُك صِرْفاً هزّ أعطافنا عليك الثناء

وله فى جارية رقاصة :

ولطيفةٍ فى الرقص يُعْطَفُ قَدُّها كتعطُّفِ البِزَنيَّـةِ السمراءِ
تختصُّ بالحركات منها سرعةٌ كتخصُّصِ الأرواحِ بالأعضاء
خَفّتْ فلو رقصت بأعلى لُجّةٍ ما بلّ أخمصَها حَبابُ الماء ٥

[الباء] وله :

وأغْيَدَ خدُّه يَنْدَى فيجرى على وَرْدِيّهِ الدرُّ المذابُ
صفا ماء الشبابِ بوَجْنَتَيْهِ فلاحَ عليه من عَرَقٍ حَبابُ

وله فى الأوصاف :

نديمى أفِقْ فالفجرُ قد لاح ضوءهُ كما سَالَ نَهْرٌ أو كما سُلّ مِقْضَبُ ١٠
وذا فلكٌ ساقٍ يديرُ كؤوسَهُ نجوماً إذا وافتْ فمَ الغربِ تُشْرَبُ
وقد شابَ زنجىُّ الدُّجى والذى بدا به من هلالٍ حاجبٌ لاحَ أشيَبُ

وله من قصيدة :

أَوْدَعُوا الزُّهْرَ[1] حُدوجاً وقبابا وسَرَوْا فى شَعَرِ الليلِ فشابا
ولوى الطرفُ سناهُمْ فانبرى يحسب الجُرْدَ اليعابيبَ[2] الرِّكابا ١٥
[٧١ظ] / صيّرُوا الجنحَ سَنَا الصبحِ وما سَفَرُوا عن غُرَرِ الغيدِ نِقَابا
إذ توارى الفجرُ بالليلِ كما وَلَجَ السيفُ اليمانىُّ القِرَابا
وَحَنَى قوسَ هلالٍ رُبّما طَرَدَتْ سهماً رأيناه شهابا

(١) فى الأصل : الزمر .
(٢) اليعبوب : الجواد السريع ، والأجرد : ذو الشعر القصير .

إنَّما ودَّعَ قلبي جَـــلَدِى   يوم ودَّعْتُ سُـــلَيمى والرَّبابا

ومنها :

حُجِبَتْ فى نورها وَجْنَتُهـــا   فرأيتُ الشمسَ للشمس حِجَابا
وَجْنَةٌ حمــراء تندَى عرقاً   مثلما رَقْرَقَتِ الراحُ الحَبابا
٥ نفختْ ريحُ الصــبا جَمْرَتَها   فانبرتْ تُظْهِر فى الماء التهابا
وجرى الصُّدْغُ على أوَّلِهـــا   مثلما طَرَّزْتَ بالسَّطْرِ الكتابا

وله فى العذار :

وأسمرَ ذَنْبِي للعواذلِ حُبُّـــهُ   وذلك ذنبٌ لستُ[1] منه بتائبِ
عُذِلْتُ على حُبِّى له حينَ ذَبَّلَتْ   له الشفةُ اللمياء خُضْرَةَ شارب
١٠ وقد كنتُ أهوى الحاجبين اللَّذَيْ[2] لَهُ   فكيف وقد صارتْ ثلاثَ حواجب

وله :

ألا كلُّ شيء للأنامِ مُحَبَّبٌ   إلىَّ بغيضٌ ، والحبيبُ حَبيبُ
أما عجباً أن هام فيـــه رقيبُهُ   وأنى على ذاك الرقيبِ رقيب
وبما برى جسمِى وأرّق ناظرى   وعلَّمَ قلبي فيه كيف يذوب
١٥ /حبيبٌ أراه سائغا[3] ، كلَّ ساعةٍ   ينال سوايَ وصلَهُ وأخيب   [٧٢ و]
فوا أســفا لى إننى ليثُ غابةٍ   ويظفرُ دونى بالفريسةِ ذيبُ

وله من قصيدة فى أثنائها :

أغارُ على ذيلها بالصَّـــبَا   إذا شَمَّرَتْ منــه ما سحَّبَا
وأخشى على جَمْرَتَىْ خدِّهَا   بمرِّ النــواسمِ أن تَلْهَبَا

---

(١) فى الأصل : ليس   (٢) فى الأصل : التى
(٣) فى الأصل : سائقاً

تَعالَى النقابُ سنا وجهها ... فجلَّتُ النقاب به نُقَّبا
وما احمرَّ من صبغةٍ لونُهُ ... ولكن بوجنتها خُضِّبا
مشى وهو فى خدِّها عقربا ... فنقَّل فى وردةٍ عقربا
سقى اللهُ ليلتنا بالعُذَيْبِ ... غمائمَ من أُمنِه عُذَّبا
فكم بتُّ بين مِراحِ الظباء ... تجاذِبُنى ، وصفاحِ الظُّبا
وقد لاح لى بدرُهَا مَشْرِقًا ... لمحْتُ على مائه(١) طُحْلُبا
إلى أنْ جرَى صُبْحُها أشقراً ... فطاردَ من فجره أشهبا
ولاعبَ فضِّىُّ بَرْدِ الغما ... م برقٌ فصيَّرَه مُذْهَبا

ومنها :

ويمنعُ شمسَهُمُ أنْ تلوحَ ... عجاجُ الوغى ودُخان الكَبا ١٠

وله من قصيدة :

زارَ العقيقُ(٢) بجدٍّ غيرِ مُنتقبِ ... فانى النلالة كالمندىّ مُختضبِ
[٧٢ ظ] / بدرٌ تمزَّقَ عنه الليلُ حين سرى ... كذلك البدرُ يَسْرى غيرَ محتجب
ذو غُرَّةٍ قُنِّعتْ بالحسن من قمرٍ ... ولَبَّةٍ قُلِّدتْ بالحَلْى من شُهُب
خدٌّ ألمَّ لريعانِ الشبابِ به ... سحرٌ تدرَّعَ فيه الماء باللهب . ١٥

ومنها فى المخلص :

لا تُشْعِرَنِّى لكونِ الجسم مُغْتَرِبًا ... فإنَّ فى الجسم عقلاً غيرَ مُغترِب
يَغْنَى اللبيبُ بعقلٍ منه عن فِطَنٍ ... حيث استقرَّ وعن أمٍّ له وأب
وهل أخافُ من الأيام نائبةً ... والسديد يدٌ تَسْطُو على النُّوَبِ

(١) فى الأصل : ما به (٢) العقيق : موضع بالمدينة

ومنها فى المدح :

لو كنتَ إذْ تُوزَنَ الأعمالُ سائلَهُ ... ما حازَ من صالح الأعمالِ لم يُجِبِ
يا مُبْغِضَ الذَّهبِ المحبوب راحته ... حتى كأنَّ ذهابَ الحَمْدِ فى الذهب

وله فى العذار من قطعة :

٥ ولما أشاعَ الحبُّ فى الناس مِلَّةً ... وقادَ قلوباً كيف شاء وألبَابا
جلا الحُسْنُ للعشاق وَجْهَكَ قِبْلَةً ... وصوَّرَ فيه من عِذَارَيْكَ مِحْرابا

وله من قصيدة : [التاء]

تلكَ البـــدورُ العامِريَّاتُ ... لها من الأنْصُـلِ هَامَاتُ
بدورُ أسدافٍ تَثَنَّى بهـا ... فى السَّـيْرِ قُضْبٌ بَشَرِيَّات
١٠ /تشكو نواهُنَّ قـلوبٌ وما ... لها سواهُنَّ سمـاوات [٧٣ و]
كِدْنَ يَكِدْنَ القُضْبَ لو بُدِّلَتْ ... أوْراقُهُنَّ الذهبيَّـاتُ
كلُّ عقيقيَّـةِ خدٍّ لها ... فروعُ فَرْقٍ سَبَجِيَّات(١)

ومنها :

ويُرْعِشُ الرِّدْفُ كأنَّ الذى ... لاعَبَـهُ منهنَّ حيَّاتُ
١٥ يا شَرَكاً صيدَ بها طائرُ الـقَلْبِ أما منكنَّ إفلاتُ
كمْ فتكتْ بى يومَ جِزْعِ اللِّوَى ... بيضٌ وأنتنَّ الحمـالاتُ(٢)
أشفى من الصبح على ناظرى ... لو أنَّكُنَّ الحَلَكِيَّاتُ

ومنها :

حَمَلْتِ جسمًا خلتهُ سـائلاً ... إذْ مَوَّجَتْ عِطْفَيْـهِ لَبَّاتُ

(١) سبجيات : سوداء (٢) الحمالات : علائق السيف

رفٌّ به العَصْبُ(١) اليمانى كما رَفَّتْ على الماء خَيلات
كأنما أعله — طُوِّقَتْ — أسنةُ الطعن خَضيبَاتُ
هل تخبرينا والهوى صارمٌ لنا به عندكِ ثارات
بأىِّ ذنبٍ خُضِّبَتْ من دمى تلك البَنانُ العَنَمِيَّات(٢)
كيفَ ترومينَ دمًا لم تزَلْ تعجزُ عنه اليزنيات ٥

ومنها فى الافتخار :

يرمى بها المُتْرَكَ منى فتى ترْهَبُ ذكراه المَنِيّات
[٧٣ ظ] / يُقدِمُ فى الموتِ كما أَقدَمَتْ على النَّدَى منه سَجِيّاتُ
إنْ لم تكنْ ذى الأريحياتُ لى لِمَنْ تكون الأريحياتُ ؟
لو أنَّ لى فى الدهر من قوةٍ درَتْ عُفَاةٌ ما المُرُوّاتُ ١٠
والدهرُ إنْ أَذْهَبَ قُوتى فلِى من جُود إسماعيلَ(٣) أقواتُ

[الجيم] وله من قصيدة مطلعها :

لنا بين بطنِ الواديين مُعَرَّجُ بحيثُ الغَضَا ريَّانُ والظلُّ سَجْسَجُ(٤)
وفى ملتقى ظلِّ الأراكِ ومائه نسيمٌ بأنفاس الرُّبَى يتأرَّجُ
وتصفيقُ أمواهٍ لرقصِ أمالدٍ عليهن أصواتُ الحمائم تهزِجُ ١٥
وقد نَسَجَ النُّوّارُ بالغيم أبْرُدًا ولم أحْسَبِ الأبرادَ بالغيم تُنْسَجُ

(١) فى الأصل : العضب ، والعصب اليمانى : ضروب من البرود ناصعة البياض يصبغونها بمختلف الألوان .

(٢) العنميات : نسبة إلى العنم وهو شجر لين الأغصان تشبه به بنان الجوارى .

(٣) هو الظافر إسماعيل بن الحافظ الذى ولى الخلافة الفاطمية من سنة ٥٤٤ إلى سنة ٥٤٩ هـ .

(٤) سجسج : لا حار ولا بارد

ودارَ على الأغصانِ زَهْرٌ كأنها ... قدودٌ عليهن المُلاءُ المُدَبَّجُ
خليليَّ من قحطانَ هاجَ لِيَ الأسى ... حمامٌ بأفنانِ الغصونِ مُهَيَّجِ

ومنها :

أحِنُّ إلى البرقِ اليمانيّ لأنه ... كقلبيَ خفَّاقُ الجناحِ مُوَهَّجِ
٥ وقد ضَرَّجَ الدمعَ الذى كان ناصعاً ... بعينيَّ ، خدٌّ بالحياء مُضَرَّجِ
بدا فى بياضِ الشبابِ وحُمْرةٍ ... كأنَّ عليه النارَ بالماء تُمْزَجِ
فأما سوادُ القلب منى فَحَازَهُ ... من الغادةِ الحسناء وسْنانُ أدْعَجِ

/ومنها : [٧٤ و]

وليلٍ تركتُ البرقَ خَلْفِيَ عاثِرًا ... وتحتَ غُبارى راشحُ العِطْفِ دَيْزَجُ[١]
١٠ ولا ناصرٌ إلا قناةٌ وصارمٌ ... ولا صاحبٌ إلا فتاةٌ وهَوْدَجِ
وقد لمعَتْ زُرْقُ الأسنَّةِ أنجماً ... وما إنْ لها غيرُ القنا اللُّدْنِ أبْرُجِ
فأيقظَ جفنَ الحيِّ منِّيَ صاهلٌ ... ورَوَّعَهُ شَخْتُ[٢] الصفيحين أبلَجُ
وقالت هِزَبْرُ الغابِ زارَ خيامَها ... وما زارها إلا كَمِيٌّ مُدَجَّجُ
وأسمرُ مَيَّادٌ وعَضْبٌ كأنما ... يلوحُ عليه الزِّئْبقُ المُترجرِجُ

١٥ ومنها فى الخلص :

أتأنفُ أن تَسْرِى إليها بصافنٍ ... إلى جودِ إسماعيلَ يَسْرِى ويُدْلِجُ

وله :

وَمزَنَّرٍ[٣] كالصبحِ يحمل لِمَّةً ... سحماء مظلمةً كليلٍ داجِ

(١) فى القاموس : الديزج من الخيل معرب ديزه .
(٢) الشخت : الضامر البطن
(٣) مزنر : يلبس الزنار وهو حزام كان يشده النصارى .

يجلو الظلامَ بكأسـه فكأنما ... يَسْعَى على نُدَمائه بسِرَاجِ

[الحاء] وله :

ومهفهفٍ لما رآنىَ ناظراً ... منه إلى وجهٍ كضوءِ صباحِ
أهْوَى لمبسمه البنانَ مُسَلِّمًا ... فكأنما أوْمَى لقطفِ أقاحِ

وله من قصيدة فى الأوصاف والتشبيه :

قلْ لنسيمٍ زار عنـدَ الصباحْ ... من حَلَـكِيَّاتِ الرُّبَى والبِطاحْ
[٧٤ ظ] / عرِّجْ على جسمٍ كأن الضَّنَا[1] ... عِقْدٌ عليه وهْو فيـه نِصَاحْ[2]
أما ترى النجمَ بَجْنَبـاً وقد ... كان قُبَيلَ الصبحِ تِبْرًا صُرَاحْ
والفجرُ قد مـدَّ خليجًا فلو ... تنكسرُ الظلماء عنـه لساحْ
كأنَّما شمَّـرَ عن مِعْصَمٍ ... مُخَضَّبٍ راحتُـهُ بالصَّبَاحْ ١٠
كأنما الروضُ بإشراقهِ ... وجهُ كريمٍ فوقَهُ البشرُ لاحْ
كأنما نرجسُـهُ مُحْجِرٌ ... ضاعَ عليـهِ نومُهُ حين طاحْ
كأنما جاذَبْنَ من دَوْحِهَـا ... ذوائبَ الأغصانِ أيدى الرياحْ
كأنَّ أعطافَ أماليـدها ... رنَّحهـا النَّيمُ بكاساتِ راحْ

ومنها : ١٥

كأنما الآسُ على وردهِ ... سُمْرُ الموالى وخدودُ المِلاحْ
كأنما الجدولُ نشوانُ لا ... ينفكُّ من نشوته غيرَ صاحْ

منها :

كأنما السُّحْبُ رعالٌ[3] بها ... الخيلِ فى كلِّ مَغارٍ جِماحْ

(١) فى الأصل : الصبا (٢) النصاح : السلك والخيط.
(٣) الرعال : جمع رعلة وهى القطعة من الخيل.

كأنَّ أطرافَ بروقٍ هَفَتْ رايات صُفْرٌ ومواضٍ صِفاحْ
كأنما الرعد كَمِىٌّ سَطَا على كَمِىٍّ حين ولّى فصاح
كأنّما الديمةُ[1] مُنْهَلَّةً يمينُ إسماعيلَ يومَ السماح

وله من أخرى :

٥ /أشاقَكَ باللِّوَى برْقٌ ألاحا فجُنَّ به جَنانُكَ حين لاحا [٦٠ و]
هفا هفوَ اللواء الوَرْدِ أرْخَى ذوائبَهُ فلاعَبْنَ الرياحا
كأنّ البرقَ فى الظلماء سِرٌّ تضَمَّنَ غيرَ كاتِمِهِ فباحا
وقاسمنى صَدُوحُ البانِ شَجْوِى فأجريتُ الدموعَ لهُ وناحا

ومنها فى الخروج إلى المدح :

وكم تَعِبٍ بزورةِ ذى نَوَالٍ ولوزارَ المُوَفَّقَ لاستَرَاحا

ومنها فى المدح :

١٠ وبين بنَانه والغَيْضِ خُلْفٌ وما نرجو لخُلْفِهِمَا اصطلاحا

وله فى الخمر :

قم فاسْقِنِى والغربُ يطوى ليلَهُ والشرقُ ينشرُ رايةَ الإصباح
شَفَقاً عَلاه من المِزاجِ كَوَاكِبٌ لكنه شَفَقٌ دَعَوْهُ براحِ
١٥ حلّ المزاجُ بهـا فشَعْشَعَ نورها فعلَ السَّلِيطِ[2] بشعْلَةِ المصباحِ

وله فى ذم صاحب :

ياربِّ أنتَ مَلأتَ عَقْد[3] مصاحبى سَقَماً فهل سببٌ إلى تصحيحه
فبما جعلتَ الطَّوْدَ يُشْبِه ثِقْلَه فى رُوحه بل رأسَه فى رِيحه
٢٠ فاجعل ثقالةَ روحهِ فى عقلِهِ السخاوى وخفّةَ عقلِهِ فى روحه

---

(١) فى الأصل : النعمة .
(٢) السليط : الزيت . (٣) العقد : المزرعة والنية .

وله فى مليح :

[٦٠ ظ] لئن أذللتَ خدَّكَ وهو ليــلٌ   فلِمْ أعززتَ وجهك وهو صبحُ
وكانت مسْحَةٌ للحسن فيــه   فصار من العِــذار عليه مَسْحُ[1]

[الدال] وله من قصيدة مطلعها :

نسيمٌ سرى والفجرُ ينضو مُهنَّدا   فقلَّدَ جيدَ الغصن من جوهرِ النَّدى

ومنها :

وخِلْنا الصَّبا حاكتْ من النَّهر لأْمةً   وهزَّتْهُ هنديًّا وصــاغَتْهُ مِبْرَدَا
فلله نشــوانٌ بغيرِ مُدامةٍ   قويمٌ فلولا النطقُ خِلْناهُ أمْلَدا
سقاه براحِ الحسن راحُ شبابِهِ   فعربدَ من أجفــانه وتأوَّدَا

ومنها :

وشبَّ بماء الراح نارَ مُدامةٍ   فذوَّبَ فى الطَّاسِ اللجينَ عَسْجَدا
جلاها عروسًا عاطلاً فتخفَّرَتْ   فقلَّدها بالمَزْجِ ممــا تقلَّدا

ومنها فى الأوصاف والتشبيهات :

وليــلٍ دجوجيِّ الجناح كأنما   أُمِدَّ بموجِ البحر أو صار سَرْمَدَا
كأنَّ الثريا فيــه للبدرِ عاشقٌ   يَمُدُّ إلى توديعِ محبــوبِهِ يَدَا
مرَقْتُ[2] به[3] فى مَتْن أدهمَ صاهلٍ   أغرَّ إذا أبرقْتُ بالسيف أرْعَدا
كأن الذى فى وجهِــه وإهابه   ظلامُ ضلالٍ فيه ضوءٌ من الهدى

وله من قصيدة خَبَبِيَّة :

[٦١ و] / إما البرقُ يلوحُ توقُّدُهُ   ترتاعُ فليلُكَ سَرْمَدُهُ

(١) المسح : ثوب من الشعر غليظ ... (٢) مرق السهم من الرمية : خرج
(٣) فى الأصل : ...

يهفو فى متن غــلمته ... كالجحفل تخفق أبنده
والقيهب كالزنجى سطا ... وبياض الصبح مهنده

ومنها :

أردى بالصارم أخوره ... وسطا بالضيغم أغيده

٥ ومنها :

أبصفحة خدك طل دمى ... فتعصــفر منه مسوده
أم لحظك أدرج فى كبدى ... فسواد جنــانى إثمده

ومنها فى المخلص :

ما بال زمانى يجهــدنى ... وأذم[1] علاى فأحمــده
١٠ وإذا لم يغض أخو جلد ... للجـــود فأين تجلده
أيجور الدهر على بشر ... وندى ابن[2] سلامة يعضده
ويلين الحق على أحد ... وبإسماعيـــل تشدده
يختال الدين لئن رتقت[3] ... بمعالى المخلص أبرده

ومنها :

١٥ لو أن الدهر له كلم ... لتــكلم أنك أوحــده

وله من قصيدة :

/أدرها كما مج الندى ورق الورد ... وأشرق جيد الجود فى لؤلؤ العقد [٦١ظ]
حباب على صهباء راح كأنه ... فتات من الكافور فى العنبر الورد
تخيلتها مصروعة فى مزاجها ... بما ملأت فاها من الزبد الجعد

(١) هكذا فى الأصل ولعلها محرفة عن : وبلم .
(٢) ستأتى ترجمته وكان كاتباً فى الديوان الفاطمى (٣) فى الأصل : رمقت .

كَواها سِنانُ الماء طعنًا فدَرَّعَتْ — مخافةَ عَوْدِ الطَّعن بالحَبَبِ السَّرْد
نَجيعيّةٌ حمراء ضُمَّ زجاجُها — عليها كما ضُمَّ النقابُ على الخدِّ
إذا قرعَ الإبريقُ جامًا تطايَرتْ — كما طارَ بالقَدْحِ الشَّرارُ من الزَّنْدِ
لها لمعانُ البَرْقِ والكأسُ دونها — غمامٌ وللإبريق قَعْقَعَةُ الرَّعْدِ

ومنها : ٥

وغِمْدِ زُجاجٍ من يَمانى نجادُهُ — لسيفِ مدامٍ لا يمانٍ ولا هِنْدِى
تُجَرِّدَ منه كلّ ماضٍ مُخَضَّبٍ — وما سُفِحتْ منه دماءٌ على حِقْد
إذا جالَ فيه جوهرٌ من حَبَابِهِ — وسُلَّ كما سُلَّ الشَّرارُ من الوَغْد
تقلتاهُ للأجسامِ منّا كأنّما — تضايقَ فى غِمْدٍ فَرُدَّ إلى غمد
يشق جيوبَ الليل عنّا أتقادُهُ — كما شَقَّ ذو الثُّكْلِ الحدادَ على الفقْدِ ١٠

ومنها :

غزالٌ لوَرْدِ الكأس فى ندمائِهِ — إذا ما سقاها بطشةُ الأسَدِ الوَرْد
ثنتْ به راحُ الصّبا تحتَ بُرْده — وَهزَّ لحظنا نشوةَ الراح بالبَرْد
وأبدَى من الجَمْرِ للضَرَّمِ وَجْنَةً — وقام من الماء الزُّلاَل على قَدٍّ
[٦٢ و] / وأبقى عبيرَ الخدّ مسكُ عِذارِهِ — كما احمرّ بُرْدٌ شُقَّ عن نَحْرٍ مُسْوَدِّ ١٥
وحار سوادُ القلبِ فى نارِ حُبِّهِ — فكان الذى أُخفيه مثلَ الذى أُبْدى
وظلَّ يُسَقّى كلَّ ذى صَفْوَةٍ أخٍ — بأصْفى وأحلى من لماهُ ومن وُدِّى

ومنها فى المديح :

ولا يمنعُ المعروفَ عن مُسْتَحِقِّهِ — كمن يَحْجُبُ الحيْرانَ عن طُرُقِ الرشد

ومنها : ٢٠

إذا خانتِ الأيدى حبالٌ تَمَسَّكُوا — بحبلٍ إلى السرّ الإلهىّ مُمْتَدِّ

ومنها فى وصف كتابته وبراعته :

عجبتُ لطِرْسٍ منك لم يَغْدُ مُحْرقًا ... وقد حلَّ ماشبَّ فِكرُكَ من وَقْدِ

ومن أَلْسُنٍ إن قلتَ كلَّتْ كأنما ... جَمَدْنَ بما فى نظمهنَّ من البَرْدِ

ومنها فى وصف صداقته :

ونِعمَ خليلُ المرءِ مثلى يرى الذى ... صفا من ودادِ الخلِّ أغنى من الرِّفْدِ

إذا لم أجِدْ عند الصديقِ تجلُّداً ... على حَمْلِ ثِقْلٍ كانَ واجدهُ عندى

وله فى وصف مغنيين :

ومُغنِّيَيْنِ يُقرِّبانِ لذى الهوى ... ما شئتَ من مَغْنَى الهوى المتباعدِ

نطقا لنسبـــا بلطافةٍ وتوافقٍ ... فكأنما نطقا بصوتٍ واحد

١٠ وله من قصيدة فى القاضى يحيى (١) بن قادوس :

/ أَمِنَ الأَهِلَّةِ والشموسِ خدودُ ... ومن الذوابلِ والغصونِ قدودُ [٢٦٢ ظ]

وعلى معاطفِ كلِّ أهيفَ ناعمٍ ... ـــمن مثل مانَسَجَ الربيعُ ــ بُرُود

أغصانُ بانٍ ما تميدُ بها الصَّبا ... وتمرُّ أنفاسى بها فتميـــد

ومنها :

١٥ مُقَلٌ يُضِئْنَ من الجفون كأنها ... بيضُ الصوارمِ والجفونُ غُمودُ

أحداقُهنَّ الزُّرْقُ زُرْقٌ لُمَّعٌ ... يومَ الكفاحِ ، وسودُهُنَّ أسُود

لولا دماءُ العاشـــقين سَفَحْنَها ... ما احمرَّ فى وَجَناتِها التَّوْريد

لم أدرِ قبلَ شفاهِها وثغورِها ... أنَّ الشقائقَ حَشْوُهُنَّ عقود

(١) فى القصيدة ما يدل على أن اسم الممدوح محمود وإذن فهو أبو الفتح محمود بن قادوس الذى تقدمت ترجمته ، ولعل الخطأ من الناسخ .

ومنها :

وارْفَضَّ من عَرَق الحياء جُمانُهُ ... فتقلَّدَ الدُّرَّيْنِ منها الجيدُ
رقَّتْ معاقدُ أُزْرِهِ فكأنَّما ... تلكَ المعاطفُ ما بها تجعيد
نشوانُ تجرحُ مقلتاه قلوبَنا ... فهو النزيفُ ولحظُهُ العِرْبيد

ومنها فى المخلص : ٥

إنْ كانَ مذمومَ الأذِمَّةِ فى العُلا ... زمَنٌ فمحمودُ العُلا محمودُ

وله من قصيدة :

أمَا وقَوامِ الأَشْنَبِ المتأوِّدِ ... يجاذبُ من أعطافِهِ دِعْصُهُ النَّدِى
لقد رقَصَ البانُ المرنَّحُ بالصَّبا ... فغنَّتْ له الأطيارُ ألحانَ مَعْبَدِ

[٦٣ و] / ومنها فى وصف فرس : ١٠

وكائنْ أخوضُ الليل من مِثْلِ شعرها ... إليها على رَخْوِ العنانين : أجْرَدِ
كأن عتيقاً جسْمُهُ وكأنما ... سنابِكُهُ مخلوقةٌ من زبرجدِ
كأن خدودَ الغانيات أعرْتَهُ ... من الحسن ما فى كل لونٍ مُوَرَّدِ
حمَلْتُ بها سمراء خطٍّ لو انَّها ... وأتهمتا قدودُ البان لم تتأوّدِ
وعضْباً صقيلا مازجَ النارَ ماؤُه ... عليه فلم تخمدْ ولم تتوقَّدِ ١٥
مضاربُهُ تُسْدِى وتُرْدِى كأنَّما ... تُمَرْنَ خلالاً من سجايا محمَّدِ

[الكامل] وله :

يا أُنَيْسَ الأغصان من أوراقهِ ... بُرْدُ الحرير مُحَبَّرٌ واللاذُ
مَهْلاً على دَنِفٍ تَقُدُّ بصارم الـ ... ـلحظات منه لقلبِهِ أفلاذُ
أَفَفِى مدامِعِهِ عليكَ تأسُّفاً ... مِنْهُ بَنَتْ دَمْعٌ وابلٌ ورَذاذُ ٢٠

وألانَ حُبُّكَ منـــه قلباً قاسياً　　كالنارِ لانَ لحرِّها الفولاذُ

وقال من قصيدة مطلعها : [الراء]

سَفَرْنَ ووجهُ الصبح يلتاحُ[1] مُسْتِرا　　فبكّنَ من الإصباح أسنَى وأنْوَرَا

وبسْنَ كأغصانِ الخمائلِ بُدِّلَتْ　　من الزَّهرِ الفَيْنانِ وَشْياً مُحَبَّرَا

٥ أَعِنَّ لعشّاقٍ خــدوداً دَوَامِيًا　　ولــكنْ حماها كلُّ وسْنانَ أحْوَرَا

/ وَجرَّدْنَ حُمْرَ اللُّثْمِ عنها وإنما　　شَقَقْنَ عن الوردِ الشقيقَ المعصفرا [٦٣ ظ]

ومنها :

وكم نمَّ عنها في الدُّجى نَفَسُ الصَّبَا　　فبتنا نخالُ الليلَ مِسْكاً وعَنْبَرَا

وكم أرهفتْ عِطْفاً فلو خــيزرانةٌ　　تميــــل بعطفٍ مَيْلَها لتكسَّرا

١٠ ترى خَصْرَها يَعْيَا بحمل وشاحها　　ويحملُ من كُثْبانِ يَبْرِينَ[2] أعفرا

ومنها :

وليلٍ ركبنا منــــه أدهمَ حالــكاً　　فصارَ بنورِ الفجرِ أبلجَ أشْـــقَرَا

إلى أنْ أطلَّ الفجرُ فيه كأنه　　حسامٌ تلالا أو خليجٌ تفجَّرا

وفضَّضَ نورُ الصبح تبرَ نجومِه　　فدرْهَمَ الظلمـــاء مِرْطاً مُدَنَّرا[3]

١٥ وللمزنةِ الوطفـــاء دمعٌ كأنما　　يَمُدُّ على البطحـاء بالنور أعفرا[4]

وخلنا لشخصِ الريح راجلًا وأنصُلاً　　تحوكُ على زرق المياه السَّنوّرا[5]

ومنها في المخلص :

أسالفةً منا النجيــعَ مُحَجَّرًا　　متى أصبحَ السيفُ اليمانيُّ مُحجِرا

---

(١) يلتاح : يبدو .

(٢) يبرين : موضع بإزاء الإحساء في البحرين　　(٣) مدنرا : متلألئا .

(٤) الأعفر : السحاب المنتشر مطره　　(٥) السنور : ثوب كالدرع .

ألا فاغمِدى صمصامَ لحظٍ سللْتِه كما سَلَّ رضوانُ[1] الحسامَ المظفَّرا
مليكٌ له عَضْبٌ إذا شامَ بَرْقَه رأيتَ المنايا بين غَرْبَيْه جَوْهرا
عَلَتْ ماءَهُ نارٌ فلولا التهابُها لســـالَ ولولا ماؤهُ لتَسَعَّرا
وأرْهَفَهُ حُبُّ الطُّلَا فهْو ناحلٌ ولولا وصالٌ دائمٌ دقَّ أن يُرَى
٥ / وكان يقودُ الخيلَ يَعْثُرْنَ بالظُّبا فينفُضُها فى مُقْلةِ الشمس عِثْيَرا [٢٠ و]
ولولا التحجيـحُ للُّتهمِى فى مجالها صَبَغْنَ سوادَ الليـل بالنَّقْع أغْبَرا

ومنها :

يضمُّ كريمًا منهمُ كلُّ سابغٍ فتلمحُ غــدرانًا تَضَمَّنُ أبْحُرَا

ومنها :

١٠ فقلْ للملوكِ الرومِ أين فِرارُها إذا مَلِكُ الإســلامِ فى الله شَمَّرا
وكيف تنالُ البعضَ من غَمْضِها وقدْ سَرَى رُعْبها فيها سنينَ وأشهُرا

ومنها فى صفة القلم والرمح :

سَطَوْتَ بصَمَّاَيْنِ فى كلِّ مُشْكِل أرَتْنا صَفاء العيش لما تكدَّرا
يراعانِ هذا يملأُ الطرسَ حكمةً وذاكَ يُذيقُ الحتفَ ليثًا غَضَنفَرا
١٥ وإنْ ظَمِأَ أضـــناها يَرِدَا على
نفوس العِدَا — من غير إذنٍ — ويَصْدُرَا
فيشربُ هذا أسوَدَ الليلِ حالكًا ويشرب هــذا قانِئَ الدَّمِ أحْمَرا

وله من أخرى :

لعلَّ نسيمَ الروضِ من خَلَلِ الزَّهْرِ يصـــافِحُنِى بين الخميلة والنَّهْرِ

---

(١) هو رضوان بن ولخشى وزير الحافظ وسبق التعريف به .

فقد شابَ زنجيُّ الدجى حين أشرقَتْ ... على عنبرِ الظلماء كافورةُ الفجرِ
وسال ندى مُزْنٍ على أقحوانةٍ ... كما جال ريقٌ من حبيبٍ على ثغرِ
وما لاحَ دُرٌّ فوق وَشْيٍ وإنما ... ترقرقَ دمعُ الطلِّ في مُقَلِ الزهرِ
/ وفوق احمرار الوردِ رَشْحٌ كأنما ... متونُ الخدودِ الحمرِ طُرِّزْنَ بالعُذْرِ[1] [٢٠ ظ]
فلله روضٌ لفَّ أطرافَ دوحِه ... مُلاءةُ نُورٍ حاكها راقمُ القطرِ
وسنبلُ نبتٍ تحت زهرٍ كأنه ... جناحُ ظلامِ الليل كُلِّلَ بالزهرِ
وأوراقُ آسٍ زعزعَتْ من غصونها ... قدودُ حسانٍ مِسْنَ في حُلَلٍ خُضْرِ
شَمولِيَّةُ الأمواهِ معلولةُ الصبا ... غُلامِيَّةُ الأعطاف مِسْكيَّةُ النَّشْرِ
مذانبها زُرْقُ النطافِ كأنما ... معاطِفُهُنَّ الرُّعْشُ يُهْزَزْنَ من سكرِ
١٠ يجولُ شعاعُ الشمس فوق صقالِها ... كما جالَ إفرندُ اليمانيَّة البُتْرِ
ولما تَمرَّرْنا بالرسوم التي بَدَتْ ... كما سالَ ماءٌ في سِجِلٍّ على سَطْرِ
تَنَسَّمْتُ رَيَّا زهرةٍ فوق نُضْرةٍ ... فقلتُ خَلوقٌ في حُلِيٍّ على نَحْرِ
ولاحت ذُكاءُ في جناحَيْ غمامةٍ ... فقلت سليمى ضُمِّنَتْ كِلَّةَ[2] خِدْرِ
وَدَارَ بغُصْنٍ نرجسٌ فكأنه ... لُجَيْنٌ وتِبْرٌ في نطاقٍ على خَصْرِ

١٥ ومنها:

وأعلنتُ أشواقي وناحتْ حمامةٌ ... فلم أدرِ حقًّا أيُّنا العاشقُ العُذْرِي

ومنها:

لأَدْرِعَنَّ الليلَ نحو خيامها ... على ظهرِ خوّارِ[3] العنانين مُزْوَرِّ
بوهْنٍ كأنّ البدر تحت جَنَاحِه ... مُحَيَّا فتاةٍ لاحَ في غَسَقِ الشَّعْرِ

(١) العذر: بتحريك الذال جمع عذار وسكن الذال للشعر
(٢) الكلة: الستارة. (٣) خوار: ضعيف، ورقيق.

[٢١ و] / ولى يمينى بحرُ سيفٍ تموّجتْ مياهُ المنايا بين غَرْبيه والأثْرِ (١)
سرى رَوْعُهُ فى السلم والحرب مثلما سرى ذِكرُ إسماعيلَ فى البرّ والبحر

وله من قصيدة :

يا وردَ خدٍّ خالُهُ عنبرُ وغمدَ جفنٍ سيفُهُ أحْوَرُ
ما خالُك النَّدُّ وماذا الذى ضُرِّجَ من وجنتِه مُجْمَر ٥
لكنه أسودُ عينى وقد فاض من الدمع دمٌ أحْمَرُ
ما تبعثُ الموتَ بماتيةٌ وإنما يبعثُهُ المَحْجِرُ

ومنها :

ناشدتك الله قضيبَ النَّقا أما بوصلى أبدًا تثمِرُ
هِجرانُكَ الليلُ ، وما ينجلى ووَصلكَ الصبحُ ، وما يُسْفِر ١٠
خُلِقْتَ ماء وأحال (٢) الهوى جسمى نارًا فلذا تهْجُر
لو لم يكن ثغرُكَ فى ساكنٍ عذب لقلنا إنه جَوْهَر
زعزعتَ موجَ الردف فى مِئْزَرٍ يكادُ فيه يَغْرقُ المِئْزَر

وله :

لا تُمِى فى قمرٍ بتُّ له ساجدًا إذ لاح فى ليل الشَّعَرْ ١٥
لك دينٌ ولناسٍ غيرُهُ ولبعضِ الناسِ أديانٌ أُخَرْ
وكما للشمس قومٌ سجدُوا فكذا يسجدُ قومٌ للقمَرْ

[٢١ ظ] / وله من أخرى :

عطفَ القضيبَ على الكثيبِ الأعْفَرِ (٣) وجلا الظلام على الصَّباح المُسْفِر

(١) الغرب : حد السيف ، والأثر : فرنده . (٢) فى الأصل : وأجال .
(٣) الأعفر : الأحمر .

ومنها :

أتميسُ قامتُهُ ويعبَثُ طَرْفُهُ بِدَمِى كمادات الوَشيج[1] الأسْمَرِ

ومنها :

أجرى لنا عصرُ الصِّبَا فى جسمهِ ماء الشبيبة صافياً لم يُعْصَرِ

٥ وأراكَ منه الوَشْىَ فى حُلَلِ القَبَا طىَّ الجبلةِ فى عَرِينِ القَسْوَرِ

وبدا لماء الورد فى أبرادهِ ما الحدائق فى الغمام الممطر

وألاحَ تحت مراشفٍ بمباسمٍ دراً مَصُوناً فى عقيقٍ أحمرِ

فعلمتُ لمّا خضتُ فى بحرِ الهوى أنَّ المراشفَ من بحارِ الجوهر

ومنها فى المدح :

١٠ ما زلتَ تبلغُ فى العُداة خَطابَةً والطِّرْفُ[2] منتصبٌ مكانَ المنبر

أشْمَمْتَهُمْ عَرْفَ الحِمام بمِجْمَرٍ كانتْ رماحُك عودَ ذاك المِجْمَرِ

وبسطتَ من كفَّيك عشرَ أسنةٍ فى الحرب ، بل فى السلم عَشرة أبحرِ

وله من أخرى :

مَشَتْ فحكتْ مِشيةَ الجُؤذرِ[3] وأشْبهتِ الصبحَ فى المَنْظَرِ

١٥ وماسَتْ وقد جاذبتها الصَّبَا ذيولاً من السندس الأخضر

/ فقلتُ قضيبُ النَّقَا يانعٌ يميسُ على حِقْفِه الأعْفَرِ [٢٢ و]

ومنها :

لقد فَضَلَتْ كلَّ ممشوقةٍ تتيهُ على القمرِ الْمُقمِرِ

---

(١) الوشيج : شجر الرماح

(٢) الطرف : الكريم من الخيل (٣) الجؤذر : ولد البقرة الوحشية .

كما فضلَ النــــاسَ فى مجدهمْ   أبو جعفــــرِ بن أبى جعفرِ
فتًى إن دجَا حادثٌ حالكٌ   فرآه كالفَلَقِ المُسْـــــفِرِ

وله :

لله درُّ عَشِيــــــيَّةٍ نادَمْتُها   والعَيْشُ من[1] مُقَلِ الشبيبة ينظرُ
غرّاء ضُعِّفَ نورُها فكأنّما   أمسى يُشَعْشِعُها صباحٌ أنْوَر   ٥
خطَّ البهارُ بها بحَلة وَشْيه[2]   خدَّ الغمام فبات وهو مُعَصْفَرُ
ما كان أحسنها بصُفَّةِ[3] بِرْكةٍ   باتت بخَفْقِ الريح وهى سَنَوَّرُ
بيضــــاء جال بها الربيعُ كأنه   ذَوْبُ اللُّجَيْنِ جرى عليه الجوهر
طاف الربيعُ بمائهـــا فكأنه   خـــدٌّ أطافَ به عِذارٌ أخضر

[البين]   وقال من قصيدة مطلعها :   ١٠

يا حادىَ العيسِ من نجدٍ قِفِ العِيسَا   وأجعلْ لنا بمغانى الأَيْكِ تعريسا

ومنها :

فاجنحْ بهنّ إلى حيثُ الربيعُ كَسَا   مناكبَ الأرضِ من نَوْرٍ طياليسا
والهُضْبُ تحت ذيولِ للمُعصِرات[4] كما   عايَنْتَ فى الخَلَقِ البُرْدَ الكرابيسا[5]
[٢٢ ظ]   / والسَّرْحُ تحت مُوَشَّى النَّوْرِ تحسِبُها   إذا نظَرْتَ إليهنّ الطواويسا   ١٥
وفى بروجِ القِبابِ الحمرِ شُهْبُ مهاً   صَيَّرْنَ أفلاكَها البُزْلَ القناعيسا[6]

---

(١) فى الأصل : فى   (٢) فى الأصل : سه بدون واو .
(٣) الصفة : الموضع المظلل ، ومنه أهل الصفة لأنهم كانوا يبيتون فى موضع مظلل من مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم .
(٤) للمصرات : السحب
(٥) الكرابيس : جمع كرباس بالكسر وهو ثوب من القطن الأبيض ، فارسى معرب .
(٦) البزل القناعيس : الإبل الكبيرة الضخمة .

وله :

ومهفهفٍ أبدى الشباب بخدِّهِ صُدْغاً فورَّقَ وَرْدَه فى آسهِ
تتلهَّبُ الصهباء فى وَجَناتِهِ فتسيرُ من عينيه فى جُلاَّسه
حتى إذا ملأ الزجاجةَ خدُّهُ نُورًا وفاحَ الخمرُ من أنفاسهِ
٥ خالَ الزجاجَةَ أُفعِمَتْ بمدامةٍ فدنا ليشرب نُورَهُ من كاسه

وله ، وأحسن ، وأتى بتشبيه فى تشبيه ، يعجز عن مثله كل ذى رويَّةٍ وبديه .

ومُعَذَّرٍ أجفـــانُهُ وعذارُهُ يتعاضدان على فَناء الناسِ
سفكَ الدماء بصارمٍ من نرجسٍ كانت حمائلُ غمدِهِ من آسِ

وله فى ذم الصبح حين فرق بينه و بين محبوبه : [الصاد]

١٠ عَشِقْتُ الظلامَ وعِفْتُ الصباحَ[1] إذا كان أفلَتَ منِّى قَنَصْ
كأنَّ الدُّجَى وجهُ زنجيَّـــةٍ مليحٌ بدا الصبحُ فيه بَرَصْ

وله : [الضاد]

يا من يريدُ على الإساءة وُدَّنا طَرْفُ الوداد عن المسىء غَضِيضُ
/ ليس الودادُ عن الإساءة ظاهراً كالماء ليس عن الضِّرام يفيض [٢٣ و]
١٥ أنتَ الحبيبُ لنا بكونك محسناً فإذا أسأْتَ لنا فأنت بغيض

وله من قصيدة : [الطاء]

ومحجوبةٍ لو أبْرِزَتْ دون مِرْطها رأيتَ عليها من سَنَا نورِها مِرْطَا
تخالُ هلالَ الأُفْقِ نصفَ سوارها إذا لاح والجوزاء فى نَحْرِها سِمْطا
وتحملُ بدرَ التمِّ وجهاً وشِـــنْفَها سِمَا كَا وشُهبانَ[2] الثريا لها قرطا

(١) فى الأصل : الصلاح (٢) فى الأصل : شهبان

ويضحى بماء الوَرْدِ ورديُّ خدِّها ... لِمَا مزَجَ الساقى لندْمانه أسْفِنْطَا[1]

فينثرُ منـــه لؤلؤاً عُدَّ جامداً ... بصولجِ لامٍ لاحَ بالصُّدْغ مُخْتَطّا

[العين] وله من قصيدة :

خليلىّ عوجا باللِّوَى ، ها هُوَ الجِزْعُ ... نَشِمْ بارِقاً بالرقمتين له لَمْعُ

ومنها : ٥

أشارَ علينـــا بالسلامِ فكلُّنا ... له بَصَرٌ يدنو فيحسده سَمْـــعُ

وأسهرنى لما سَرَى البرقُ مَوْهِنًا ... حمـــامٌ بأفنانِ الغصونِ له سَجْعُ

وما شـــاقنى إلا تأوُّدُ بانةٍ ... ومرُّ نسيمٍ لا طُـــلولٌ ولا رَبْعُ

وطيفُ خيالٍ حين كاد يزورنى ... بَدَا لعمودِ الفجر فى ليله صَـدْعُ

فما للهوى بل ما لدرٍّ مـــدامعى ... تحوّلَ مرجاناً وعهدى به دَمْعُ ؟ ١٠

وما للمطايا الراسماتِ[2] كأنما ... لوصلِ السهوبِ الفيح[3] مِن وجدها قَطْعُ

[٢٣ظ] / ظعنّ بمن عندى وإن نَزَحَتْ لها ... هَوًى بين أحْناء الضلوع له لَذْعُ

ومنهـا :

غلاميّةٌ مال الشبابُ بعطفهـــا ... فلم يكُ للصهباء فى مثـــله صُنْعُ

تفوح بلا طيبٍ كما أنّ جيـــدها ... تحلّى بلا حَلْيٍ ، وفعـــلاهما طَبْعُ ١٥

وتكسرُ أحياناً محاجرَ نَرْجِسٍ ... كأن الذى ما بين أهدابها[4] الجِزْعُ

ومنها فى المخلص :

يضاهين من رضوانَ سيفاً مؤيّداً ... يُرَى فوقَ أعناقِ الأعادى له وَقْعُ

(١) الإسفنط : الخمر .

(٢) رسمت الناقة رسيماً : أثرت فى الأرض أثناء سيرها .

(٣) الفيح : الواسعة .

(٤) الجزع : الخرز اليمانى فيه سواد وبياض ، وتشبه به العيون .

ومنها فى وصف السيف :

والنصرِ مَثْوًى فوقَ حـدِّ حُسَامِهِ إذا حانَ من هام الـكماةِ به فَرْعُ
وليس الذى يبـدو عليهِ فِرِنْدُهُ ولـكنّها الأَرواحُ فيـهِ لها جمع

وله :

٥ وقائلةٍ مالى أرى الحظَّ وافراً بكلِّ دَنِىٍّ فى الرجال وضيعِ
فقلتُ لها : لا يُتحفُ الدهرُ ماجداً أنافتْ بِهِ علياؤه بصَـنيع
يضيقُ بماء النيل مُنْخَفِضُ الثرى ويُحْرَمُ منه الرِىَّ كلُّ رفيع

وله من قصيدة فى الفراق :

لولا الفراقُ لما بكيتُ نجيعاً ولما حَرَمْتُ المقلتين هجوعا
١٠ ولما حنيتُ على ضِرامِ تشوُّقٍ يأبَى الخمودَ ، جوانحا وضلوعا
/ أمّا العزاء لأجْلِ مَنْ فارقتُهُ فقـد استحال مع الفؤاد دموعا [٦٤ و]
ولـكم شكوتُ، فما شكوت لراحمٍ ولـكم دعوتُ ، فما دعوت سميعا
أَسْتَوْدِعُ الرحمنَ مَنْ ودَّعتُ يو مَ وداعه قلباً به مفجوعا

وله : [النين]

١٥ لو أنَّ يوماً قتيلَ الحبِّ طالبَهُ بالثَّأرِ منهُ طَلَبْتُ اللَّحْظَ وَالصُّدُغَا
هما استعانا على قَتْلِى فصار لذا قدُّ الفؤادِ ، وهـذا صِلُّهُ لَدَغَا
لم تبلغِ البيضُ والسمر النحافُ على أيدى الفوارسِ منّى ماهما بَلَغا
يا حاملَ اللحظ والأَصداغ أسلحةً ماتَ الـكمىُّ فلا تُحْدِثْ عليهِ وَغَى
ويا مُرِيقَ دمى ظلماً وجاحِـدَهُ هل لونُ خدِّكَ إلا من دمى صُبِغا

قد يعلمُ اللهُ أنى غيرُ مُنْعَجِمٍ ... فما لمودىَ مُنذ فارقتنى مُضغا(١)
ويعلمُ الليلُ أن الشوقَ هيَّجنى ... حتى غرقتُ بماء الدمع حين طغى
سعى إليكَ بىَ الواشى فأبعدنى ... يا ليت شيطانَ ذاكَ السَّعىَ ما نزَغَا
وفازَ منكَ بما قد كنت أحرُسُهُ ... من أين ذا الذئبُ فى أمواهنا وَلَغا
أقالكَ ذا لثَغٍ فى القول من دَهَشٍ ... وما عرفتُ لسانى يعرف اللَّثَغا ٥
أنتَ الذى لو رآه الغصنُ ما انعطفتْ ... أعطافُه ، وجبينُ الشمس ما بزغا
لم يبدُ غيرَكَ شخصٌ فى الورى حسنٌ ... كأنَّ فيكَ جميعَ الحسن قد فُرِغَا

[٦٤ ظ] / وله من قصيدة :

[القاف] ماسَتْ بدعصٍ نَقًا يجاذبُ أهْيَفَا ... ولوتْ عليه الخيزرانةَ معْطِفا
خودٌ حَوَتْ مُقَلَ المهاة وجيدَها ... وحوَى الوشاحُ له هضيمًا مُخطَفَا ١٠
بيضاء ترفُلُ بالكثيبِ مُهيَّلاً ... والبدرِ أنوَرَ والقضيبِ مهفهفا
أبدى الوداعُ لنا برَخْصٍ بنانِها ... عنَمًا بيعضِ دمِ القلوبِ مُطرَّفا(٢)

منها فى المخلص :

ما للتى ظَعَنَتْ وتتخذُ القنا ... والبيضَ سَجْفًا بالكماةِ مسجَّفا
سَرَتْ على صدِّ الوفاء ببَيْنِها ... كرورِ إسماعيلَ فى طُرُقِ الوفا ١٥

وله من قصيدة :

أما وحميَّا الكأسِ هزَّتْ لنا عِطْفا ... وبدرِ تمامِ الحسنِ يسعى بها صِرْفَا
وساقٍ يكادُ السكرُ يُسقِطُ نِصفَهُ ... مزاحًا ويُبقِى فى مآزره النصفا
ومخضوبةٍ قبَّلتُها ولثمْتُهُ ... فأتبعتُ ثغرَ الراحِ من ثغره رَشْفا
وخَلْقٍ له مثلَ الحميَّا ووفرةٍ ... تمازجُ أرواحَ النَّدامى به لُطْفا ٢٠

---

(١) فى الأصل هكذا : مصغا.   (٢) مطرفا : مخضبا .

وَغُصْنِ قوامٍ يحملُ الحِقْفَ ناعمًا ... ولم أرَ غصنًا قبلها يحملُ الحقفا
وخصرٍ كأن الظِّمأَ يَهْوَى فكلما ... جرتْ فيه أمواهُ الشباب سَقَى الردفا
وخدٍّ إذا ما خُطَّ عنه لثامُهُ ... كسوناه من ديباجة الخَجَلِ الطَّرْفا
وشعلةِ راحٍ كلما شاب نورَها ... لُجَينيّةٌ من عَبْرة المُزن لا تُطْفا
٥ /وميدانِ لهوٍ راهنَتْنِى كُماتُهُ ... فلم تُجْرِ إلاّ من أباريقنا طِرْفا [٦٥ و]
وشادٍ يروق السمعَ حلْىُ رنينه ... كما زان أُذْنَ الخود أن تحمل الشَّنْفا
لقد بَسِمَ الإصباحُ عن ثغرِ أغيدٍ ... وفاحَ نسيمُ الرَّوح من فوره عَرْفا
ورنَّ حمامُ البانِ حتى كأنما ... تلَتْ خطباءٌ فى منابرها صُحْفَا
كأنّ عليلَ الريح فى الغُصْنِ عاشقٌ ... يجـــاذبه فرعًا ويثنى له عِطْفا
١٠ كأنّ الدجى يخشى رقيبًا لجسمهُ ... يكادُ إذا لم يُسْفِرِ الصبحُ أن يخفَى

ومنها :

كأنّ الحديقاتِ المُنوِّق(١) نَوْرُها ... دَرَانِكُ(٢) باتَ الدوحُ فيهنّ ملتفًّا
كأن قُنُوءَ(٣) الوردِ فوق غصونهِ ... أديمُ خـدودٍ عن نجيعاتها شَفَّا
كأن عيونَ النرجسِ الغضّ قلّبتْ ... من الوردِ فى خدَّيْ تبسُّمِها طَرْفَا
١٥ كأن بها تَفْتيرَ أجفانِ وامقٍ ... رعَى النجمَ حتى كاد يُغْفِى وما كُفَّا
كأن الذى من سَوْسَنِ النَّوْرِ بينه ... قيانُ دُمًى حاوَلْنَ من زَهْره قَطْفا
كأنّ شذَا الخِيرِىِّ ، مرَّ ، محدِّثٌ ... تخوّفَ أن تَسْمَعَى له الشمسُ فاستخفى
كأنّ ثغورَ العـــامريّاتِ كلما ... تبسَّمْنَ نَوْرُ الأقحوانِ الذى رفَّا
كأن شقيقًا ، يحملُ الطلَّ ، أعينٌ ... رَمِدْنَ وزاد الدمعُ حُمْرتَها ضِعْفا
٢٠ كأن غصونَ الآسِ تحت اخضرارها ... قدودُ مَهًى يَحْمِلْنَ من سندسٍ لُحْفَا

(١) المنوق : المصفف (٢) الدرانك : جمع درنوك وهو ضرب من البسط والثياب .
(٣) قنوء : احمرار

كأن اليراعَ[1] النَّضْرَ أوراقُه قَنًا ... له العَذَبُ[2] الخفّاق يستأنفُ الرَّجْفا
[٦٥ ظ] / كأنَّ خليجَ الماء أوجسَ طَعْنةً ... فدرَّعَ أجنادًا وجدَّلها صَفَّا
كأن اعتناقَ القُضْبِ والنيمُ دالجٌ ... وداعُ خليطٍ ذَرّ من دمعه وَكْفا
كأن اخضرارَ الدوحِ ، والنهرُ ضاحكٌ ... غياهبُ شقَّ الفجرُ من جُنْحها سَجْفا
كأن رياضَ النهرِ مَدْحِيَ باسطٌ ... له الحَسَنُ الوهّابُ يومَ النَّدى كَفَّا ٥

وله :

كلُّ من أعرِفُهُ يَظْلِمُنى ... وسوى ذاكَ فتًى يُنْصِفُ
فعــدوّى كلُّ من أعرفهُ ... وصديقى كل من لا أعرف

[القاف] له من قصيدة مطلعها :

ليتها إذ فاسمعتك العِناقا ... علّمتكَ الصبرَ لا الاشتياقا ١٠

ومنها :

لِتُســائِلْ مِعْصَمَيْنا فإنّا ... ما نطقنا مذ عرفنا الفراقا
كم على جيدٍ وخصرٍ أُدِيرا ... مرّةً عِقْــدًا وأخرى نِطاقا

ومنها :

وكأنَّ الحُسْنَ آلاتُ خَرْطٍ ... أبرزَتْ فى الصَّدْرِ منها حِقَاقا ١٥
سَفَرَتْ عن بدرِ تِمٍّ فلما ... نُقِّبَتْ كان النِّقابُ المِحَاقا

ومنها :

[٦٦ و] / وجرت فى قمرِ الخدِّ منها ... عبرةٌ كانت عليه انشقاقا

ومنها فى الممدوح وهو قاض :

حاكمٌ أظهرَ العَدْلَ فينا ... كلَّ ما لاقَ بعقلٍ وراقا ٢٠

---

(١) اليراع : القصب (٢) العذب : شجر .

حكمةٌ لو عاقها الدهرُ عنها | كان عن حكمةِ لقمانَ عاقا
نثرَ التأويلَ دُرًّا ولكن | غاصَ من علمٍ بحارًا دقاقا

ومنها :

يدُهُ للمال إلفٌ غَضُوبٌ | كلما واصَلَ شاء افتراقا
تأبِقُ الأموالُ عن راحتيهِ | بندًى علّمهنَّ الإباقا

وله من قصيدة مطلعها :

سَرَى وقد عنَّ لعينيَّ الأرَقْ | وأشمطَ[1] بالفجر قذالُ الغَسَقْ
مزنٌ يهزُّ البرقُ فى أرجائهِ | مثلَ اليمانيّاتِ فى أيدى الأُفُقْ
بكى فللنُّوّارِ منهُ ضَحِكٌ | كهزءِ معشوقٍ [بحبِّ[2] قد] عَشِقْ
١٠ والزُّهْرُ[3] مثل الزَّهْر فى أغصانهِ | أو كالغوانى تحت أبراد السَّرَق[4]

وله من قصيدة :

لك اللهُ من برقٍ بنَعْمانَ أبْرَقا | وصافحَ رِئمًا بالكثيبين والنّقا
ألاحَ وعمرُ الفجرِ فى أُخْرَياتِهِ | فغادرَ الظلماء جَيْبًا مُشَقَّقا
سرى ، وظلامُ الليل يجلو صباحَهُ | فلاحَ إلينا أدهمُ الليلِ أبْلَقا
١٥ / وما هاجنى إلا رنينٌ مطوّقٍ | أقامَ على الأغصانِ يدعو مُطوَّقا [٦٦ ظ]
ولله نَشْوَى جاذبَ الدعصُ خصْرَها | هضيمًا بما دونَ السِّوارِ مُمَنْطَقا

ومنها فى المدح :

ويُخشَى لديهِ اليأسُ من حيثُ يُرتجى | ويُرْجَى لديهِ الجودُ من حيث يُتّقى
مُحيّا يريكَ الشمسَ نورُ جبينهِ | فكلُّ مكان حلَّهُ كانَ مَشْرِقا

---

(١) اشمط الشعر : اختلط أبيضه بأسوده
(٢) ساقطة من الأصل وزدنا الكلمة ملاءمة السياق
(٣) الزهر : النجوم (٤) السرق : الحرير .

ومنها :

وإنك لو أومأت دون تجنّه ... إلى الحجَر القاسي بيمناك أورقا
إذا ما ملكتَ المالَ ملّكتَه الورى ... كأنّك لم تُرزَقْه إلا ليُرزَقا

ومنها في القلم :

تهزّ يراعًا كالرديني ذابلاً ... يَفُلّ سنانًا حين يسطو ومِخفقا[1]
ترى العلق القاني مدادًا لخطِّه ... وجانحة القِرْنِ للدجّج مُهرَقا
صحائفُه تَفْـرِى الصفائحَ كلما ... نُشِرْنَ ، وتحكى الروضَ فيها منمّقا
فلولاحظتْ عينُ ابنِ[2] أوسٍ متونَها ... رأى أيّها كُتْبًا من السيف أصدقا

يعنى ابن أوس حيث يقول : السيف أصدق إنباء من الكتب

وله من قصيدة مطلعها : ١٠

عزَّ المنامُ لجفنى جائلُ الرّمَقِ ... وبات قلبيَ لايشكو سوى الحَدَقِ

ومنها[3] :

كالخيزرانة مالاحتْ لهـا وَرَقٌ ... إلا من الوَشْى بين التِّبْر والوَرِقِ
فالغصنُ ما ماس ريعانُ الشباب به ... سُكْرًا وغيرُ مدام الحسن لم يَذُقِ

ومن قصيدة : ١٥

يَنثُرُ الطَّلّ كما يُنثَرُ مِنْ ... وَجْنة المشوق رَشْحُ العَرَقِ

ومنها :

ذو وقارٍ مازجَ البِشْرَ كما ... مازجَ الصُّبحَ عَبوسُ الغَسَقِ

(١) هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائى
(٢) المخفق : السيف العريض .
(٣) هنا خرم وقد نقلنا بقية ترجمة ابن هانئ وعنوان ترجمة ابن جوشن من مختصر الخريدة وأصلحنا النص فى مواضع كثيرة .

ومن شعره :

يامن أراهُ الخير يكتمُ ضِدَّهُ(١) خَدٌّ عليـهِ من حَيَاءٍ رَونَقُ
احذرْ مكايد وَجْنَـةٍ محمَّرةٍ فالجمرُ محمرُّ الغـلاة محرِقُ

[الكاف]

ومن شعره :

٥ يحكى الغمائمَ جودُهُ ولربما قصرتْ عن المَحكى فقالَ الحاكِى
ما بالهُ يَهَبُ النَّدى مُتبَسِّماً والمُعصِراتُ(٢) كأنهن بواكى

[اللام]

ومن شعره :

إيهًا لصائلِ حَلْيها ولِثامِها هـذَا يُعانقها وذاكَ يُقبِّلُ

ومنها :

١٠ ولقد يُجيشُ الشَّوقُ راكدَ عَبْرَتى فكأنَّه لَهَبٌ وجَفْنى مِرْجَلُ
نَجْدِيَّةٌ وَافاكَ من لحظاتِهـا نظرٌ بسفحِ دم القلوبِ موكَّلُ

ومن شعره :

ومهنَّدٍ سَبَحَ الفرندُ بصفحهِ وطَفَا فيُحسَبُ مُغْمَدًا مسـلولا

ولهُ فى الخال :

١٥ ياناظرًا فى خدِّ أغْيَدَ مائسٍ خالاً يَرِقُّ نضارةً وجَمـالا
سكن الفؤادَ وحلَّ بعض سوادِهِ فى وَرْدِ جنتهِ فسُمِّىَ خالا

وله فى صفة الروض والنهر :

وناصعِ ماءٍ كان كالبدرِ مائلا ولمّه ظلٌّ فلاحَ هـلاله

وله فى ذم الخمر :

٢٠ فأيسرُ مافيها لذى العقلِ أنها إذا وَلَجَتْ فى رأسه خَرَجَ العَقْلُ

---

(١) يريد أن خيرا يحمل شراً وسيفسره. (٢) المعصرات : السحب

[الميم] . ومن شعره :

قُمْ فاسقنى بالكأس إنْ أمكنتْ كأسٌ وإلا فاسقنِى بالفَمِ
أما ترى النجم الذى كان كالــدِّينارِ قد أصبحَ كالدرهمِ
والفجرُ فى رَوْض الدُّجى جدولٌ سارَ ليسْقى زَهَــرَ الأَنْجُمِ

ومن شعره : ٥

قضيبٌ لُجَيْنٍ نَوَّرَ الوَرْدُ فوقَهُ ولكنَّهُ ماشَقَّ عنــهُ كِمَامَهُ
أرى الحبَّ دِينًا والمحبِّين أُمَّةً وصُدْغَيْه مِحْرابًا وقلبى إمَامَهُ
لِذى وَجْنَةٍ قد خطَّ للشَّعْر فوقها بِجَنٍّ على نونٍ يعانقُ لَامَهُ

ومن شعره :

قد غارتِ[1] الصهباء منك بوجنةٍ خجــلا فعادت للبنان من الفَمِ ١٠

ومنها فى المدح :

إنا لنطلبُ من سِواهُ سَمَاحةً كالشُّهْدِ يُطْلَبُ فى مُجَاجِ العَلْقَمِ
وإذا رجوتَ من البخيل يَدًا فقد طالبْتَــهُ بلزومِ ـ مالم يلزَمِ

ومن شعره :

ياكعبــةً لِى خالُها[2] حَجَرٌ لو أنِّى أسْـتَلِمْ ١٥

ومن شعره :

رَشَأٌ تعلَّق[3] خَصْرُهُ من ردْفِه فَهُوَ الظلومُ وخَصْرُهُ : المَظْلومُ

ومنها :

لا تستبينُ كأنَّما أرواحُهــا خُلِقَتْ وما خُلِقَتْ لهنَّ جسومُ

(١) غارت : من الغيرة .

(٢) فى الأصل : يا كعبة حسن خالك لى ، وهو تحريف . (٣) فى الأصل : بقلوب .

ومن شعره فى وصف الفرس : [النون]

هل يُدْنِيَنِّى من جَنَاب خيامها بَرْقٌ تقلّد جيـــدُه بعنانِ

ومنها فى صفة السيف :

ومهنّـــــدٍ متموّجٍ متضرّمٍ من صفحتيه بمثله فَجْرانِ
٥ عَضْبٌ ترقرقَ ماؤه فى ناره فَعَجِبْتُ كيف تألّفَ الضّدّانِ
يَنْدَى ويَدْمَى تارةً فكأنما لَمَسَتْ مضاربَهُ يدا رِضْوانِ

ومنها :

وتَسُلُّ أيدى الدارعين قَوَاضِبًا مثل الجداول سِلْنَ من غُدْرَانِ

ومن شعره :

١٠ وأحْسَنُ من قنوٍّ خضابِ خودٍ دَمٌ يَحْمَرُّ فى زُرْقِ السِّنَانِ

ومن شعره :

فإن كان بعضُ الناس مشتبهاً به فذا ملكٌ هادٍ وذلك شَيْطَانُ

وله فى كبير الأنف :

أَعْجِبْ بمن إن حلّ فى بيتٍ له فلأنفِهِ فى الدار بَيْتٌ ثانِ
١٥ وتكادُ تُخْفِيهِ ضخامةُ أنفـــهِ فكأنّه أنفٌ بلا إنســـانِ

ومن شعره : [الياء]

أقولُ والـــبرقُ لمّاعٌ يمانىٌّ أجدولٌ أم صفيحٌ هنـــدوانىٌّ
والفجر يسعى على آثار غَيْهبِهِ مثل الغُدَاف[1] سعى يتلوه بازىٌّ
والشمسُ فى المزنة الحمراء تحسبها خَـــدًّا حواهُ قناعٌ أرْجُوانىٌّ

(١) الغداف : غراب كبير .

ومنها :

أهوى ببغدادَ من بالخَيْفِ منزلُهُ ... فالحب منى حجازىٌّ عراقىُّ

ومنها :

تَحْوِى المعالىَ ويحويك الزمانُ بها ... كالقلب يَحْوِى المعانى وهْوَ مَحْوِىُّ

ووجدت فى ديوانه قصيدة لكنها فى ديوان ابن خفاجة الأندلسى فمنها : ٥

ومشَى النسيم يجرُّ فَضْلَ ردائهِ ... بين الحدائق مِشْيَةَ الُخيَلاَء

نشوانَ يعبثُ بالغصون وَيَنْثَنِى ... مَرَحاً فيعثُرُ فى غـــديرِ الماء

ومنها :

قمرٌ يمدُّ من الثريَّا راحـــةً ... ضُمَّتْ على قدحٍ كنجم سَماء

يَسْقِى فأســقيه فيشربُ حُسْنُهُ ... عَقْلِى ويشربُ راحُه أعضائى ١٠

ومنها فى العذار :

كأسٌ لها حَبَبٌ يدور بها كما ... دارَ السِّوَارُ بمعصمِ الحسناء

صفراء نَمَّ بها الزجاجُ كأنها ... شَمْسٌ مُحَجَّبَةٌ بجسمِ هَـــواء

ومنها :

سَمْحٌ يوكَّل بالخطوب سماحُهُ ... إنَّ الدواء موكَّلٌ بالداء ١٥

ومنها :

وتراه أصدقَ من رأيتَ مواعدًا ... والصدقُ بعضُ مواهبِ الكرماء

تَنْدَى أناملهُ ويُشرق وجهُهُ ... فيجـــود بالآلاء واللألاء

٢٩ — ابن جوشن

من شعره(١) :

/ لعلّ الذى أتى بما هو أهلُهُ وتوّجنى من كلِّ فخرٍ بتاجِهِ [٥١ و]
سيقبلُ عُذْرى فى الجواب لأننى غدوتُ كمن ضاهى اللُّجَيْن بماجه
٥ رآنى وأياهُ كثمْدٍ قرارةٍ وموجِ خضمٍّ يرتمى بارتجاجهِ
لقد زارنى منــــه كلامٌ كأنما تمثّل فيه الروض عنـــد ابتهاجه
ومعنًى تجلّى تحت معقول لفظهِ كما لاحَ صِرْفُ الراحِ تحت زجاجه
وإنِّى بالبرِّ اليسير مُوَاجِــــهٌ وإنك بالفضل الكثير مواجهى

٣٠ — الشريف أبو محمد الحسن بن الشريف الجليس

١٠ وجدت فى ديوان أبى عبد الله بن هانئ مكتوباً قطعة كتبها إليه ابن الشريف الجليس فى جواب شعر له :

أهديتَ لى منك شعراً كما تجلّتْ عقودُ
فلستُ أدرى بماذا أجزيك عما تجــود
لأنّ رفدِى إذا ما أجزَأْتَ شىءٌ يَبيدُ
١٥ وإنّ شكركَ فضلٌ مع الزمانِ خَلُود
علىّ كلُّ مزيدٍ وما عليك مَزيدُ

تمّ شعره .

---

(١) إلى هنا ينتهى الخرم والنقل عن المختصر .

[٥١ ظ]

٣١ — / أبو التقى صالح بن الخال

وجدت له فى ديوان أبى عبد الله بن هانئ قصيدة كتبها إليه وهو موعوك يقتضى زيارته ، منها :

يا ناقضاً فى قوافيه عرى النقض ... يُنير مسودها منه بمبيض

قل لابن هانئ عن ابن الخال محتسباً ... مما يؤديه نقل القول القرض ٥

أمسيت بدر نجوم الشعر أجمع مذ ... أصبحت لى نير الآداب فى الأرض

فاجنح لزورة شلو مشحن وصبا ... ألهى انتظارك بعضاً منه عن بعض

لا ترج لى فى تلافى مهجتى سبباً ... فإنه إن تراخى خفت أن أقضى

ومنها :

أخى لا تتقاضانى مكافأة ... على يد عضلت عن منتهى النهض ١٠

ومنها :

إن القطوع إذا استولت على أحد ... رمته فى سائر الأحوال بالبغض

سل كاسرات صروف الدهر هل سلمت ... جنوبها حين عضتنى من العض

إن النوائب لما آثرت عرضى ... سامحتهن به بقيا على عرضى

لا تأمننى وإن دارت دوائرها ... على بالجور أن أمضى كما تمضى ١٥

/ أقسمت لو يممت حماى منك حمى ... ماخاض إنسان عينى جدول الغمض . [٥٢ و]

لا يحرجنك تحريكى لأثرة ... نسيم برق علاها صادق الومض

فالعضب يهز قبل الضرب مفتقر ... والسهم يحتاج قبل الرمى للنبض

إذا أنبساطى لم يُحدِثْ مُجاذَبةَ ... القبضِ منك وهبتُ البسطَ للقبض
هب ذنبَ عَتْبِيكَ الحقّى فإنّ لها ... وساوسًا لدواعى اللسِّ قد تُفْضِى

فأجابه أبو عبد الله بن هانئ عنها بقصيدة منها:

لبيك لبيك من داعٍ إلى فَرْضٍ ... يدعو فأقضى وفرضُ الحجِّ ما أقضى
٥ إن كان جفنُ ودادى عنك غَمَّضَه ... ما قد زعمتَ، نَبَا جفني عن الغُمْضِ
لكن أصابك أمرٌ لو علمتُ به ... مضتْ تَعُودُكَ روحي قبل أن أمضي
فكيف أصبحتَ من عَظٍّ[1] الزمان فقد ... أصبحتُ بين نيوب الهم فى عَضٍّ

ومنها:

الله يعــلم أنى مذ علمتُ بما ... حُمِّلْتَ أبكى[2] بقلبٍ فيك مُرْفَضٍّ[3]
١٠ كأنما الأرضُ ضاقتْ بى مذاهبها ... وهىَ الرحيبةُ بين الطول والعرض
أمسِي وأضحى ولا أنفكُّ مضطربًا ... كأنَّ جسمىَ عِرقٌ خافق النبْضِ
قد فُضَّ مُجْمَعُ عُزَّاى فيك عن كبدى ... فما لجمعِ هوى غــيرُ مُنفَضٍّ
إن تستفقْ فظلامى أبيضٌ يَقَقٌ ... أوْلا فثغرُ صــباحى غيرُ مبيضٍّ

ومنها:

١٥ /وكيف ماخافتِ الحُمَّى؟ أما خَشِيَتْ ... من مِقْوَلٍ كذباب[4] السيف إذ يمضى؟ [٥٢ ظ]

ومنها:

أو صادفت فيكَ نار الهمِّ فانجذبتْ ... والجنسُ بالجنس مُستَبْذِنٍ ومُسْتَقْضٍ
والخطبُ طِرْفٌ جموحٌ لا لجامَ لهُ ... يأتى الـكريمَ بلا سَوْطٍ ولا رَكْضِ

(١) عظ: عض.
(٢) فى الأصل هكذا: إتاك قلب.
(٣) مرفض: متحطم.
(٤) ذباب السيف: حده.

فلا يروّعكَ ما تلقاهُ من ألَمٍ   فكلُّ سُهْدٍ إلى طيبِ الكَرَى يُفْضِى

وذكر أنه أرسلها إليه ، وتوفى ابن الخلال بعد أيام يسيرة .

٣٢ — أبو الفمر* الإسناوى

له فى مرثية أبى التقى ابن الخلال :

سقى الله قبرًا جاورَ المزنَ من أسًى   على من حَوَاهُ دمعُ كلِّ أديبِ ٥

فأوفتْ له حزنًا كرامُ معاشرٍ   بشقِّ قلوبٍ لا بشقِّ جُيُوبِ

وقلَّ على ماضى الضريبة ، نُزِّهَتْ   له شِيَمٌ ، من مُشْبِهٍ وضَرِيبِ

٣٣ — ابن الضيف*

[٥٣ و] / هو حيدرة بن عبد الظاهر بن الحسن بن على الربعى الضيف .

كان من دعاة الأدعياء ، الغلاةِ لهم فى الولاء ، وكان فى حدود سنة خمسمائة ، ١٠
فى عهد آمرهم ، وله فيه مدائح كثيرة ، لدواعى المنائح مثيرة . وقع إلىّ ديوانه بخطه ،
وكنت عازمًا لفرط غلوه على حطِّه ، لأنه أساء شرعًا وإن أحسن شعرًا ، بل أظهر
فيه كُفْرًا ، فلم يستحق لأساءته كَفْرًا ولا غُفْرًا . لكننى لم أر أن أترك كتابى
منه صِفرًا ، لأن البحر الزاخر ، يركبه المؤمن والكافر ، ويقصده البَرُّ والفاجرُ ،
يحمل الغُثَاء كما يحمل الدرّ ، والمركب فيه يجمع العبد والحر . وقد أوردت من ١٥
مستحسناته كلَّ ما يعفِّى على سيئاته ، ويغضى به على هفواته . فما عنيت بإثباته ،
من قصائده ومقطوعاته ، قوله [من] قصيدة يعارض بها ابن هانئ المغربى :

(*) ترجم له صاحب الطالع السعيد ص ٣١٥ وقال : إنه توفى سنة ٥٤٤ هـ وانظر حسن المحاضرة ١/٣٢٤ .

(*) ترجم له ابن سعيد فى الجزء الثانى من المغرب نسخة دار الكتب المصرية الورقة ١٧٢ وقال : إنه كثير المعارضة لطريقة ابن هانئ الأندلسى فى الغلو وصقل الألفاظ وقعقعتها .

طَلَعَتْ صباحًا مشرقًا يتهلَّلُ وو وراءها بالوَحْفِ[١] ليلٌ أليَلُ

ودنَتْ بها شمسُ الظهيرةِ تجتلى نورًا وما للشمس طَرْفٌ أكْحَلُ

وثنتْ قضيبَ الخيزرانة تحتــهُ حِقْفٌ يكاد تسرُّعًا يتهيَّلُ

/ ومنها : [٥٣ ظ]

٥ فالخدُّ ضمَّخَهُ حريقٌ مُشْعَلٌ والثَّغرُ عطَّرَه رحيقٌ سَلْسَلُ

وقوله من أخرى :

هَزَّتْ كثيبا بالقوامِ مَهيلَا وثنتْ قضيبًا فوقهُ مجدولا

ورنتْ بمقلةِ جُؤْذَرٍ هاروتُها بالسحر ينفثُ بكرةً وأصيلا

ورمتْ بأسهمها فؤادًا مُدْنَفًا منّى ، وقلبًا لايزالُ عليلا

١٠ ومضتْ مودِّعةً فعطَّرتِ الرُّبَى أرجًا تجرُّ به الرياحُ ذُيولا

تُهدِى الصَّبا منها لطيمةَ عنبرٍ ونسيمُ أنفاس الشمال شَمولا

من ذمَّ أيامَ الفراق فإنَّ لى صبرًا على يومِ الفراق جميلا

إن ودَّعتْ فلثمتُ ثغرًا أشنبًا ورشفتُ ريقًا باردًا معسولا

وقوله من أخرى فى الشيب :

١٥ لبــاسُ المشيبِ لخلع الشبابِ وقربُ القتيرِ بعيــدُ الذهابِ

ونَشْرُ الزمان بأحــــداثه لسطورِها[٢] طىٌّ هــذا الكتاب

وجــــدَّةُ أثوابه أخلقتْ بأثوابِ عُمْــــرٍ بطىءِ الإياب

مناسِرُهُ اختطفتْ مهجـــتى وأظفــاره أنشَبَتْ فى إهابى

أرقِّعُ منـــــه قميصَ البياضِ وأســـــترُهُ بسوادِ الخضاب

٢٠ فإن قيلَ هذا سُخامُ المشيبِ فقلتُ : على فقدِ عصرِ الشباب

(١) الوحف : الشعر الطويل الأسود .

(٢) فى الأصل : لها بدلا من ها .

[٥٤ و] /ومنها :

حنانيكَ من زائرٍ ليتهُ يبدِّلنى وَصْلَهُ باجتنابِ
حِبالةُ إعراضِه صَيَّرتْ سكونَ الحياة إلى الاضطراب

وقوله من أخرى :

فتأمَّلْ ربمَّا إذا ما خلا أهلوهُ فالوجدُ منه ليس بخالِ ٥
ذاك[1] مَغنًى يُغنيك مَرْأَى عن السمع بتجديده الهوى وهو بالِ
طالما أمكنَتْ به فُرَصٌ جا ذَبتْهُ فيها مغازلاتِ الغزال
بين وردٍ كوردِ خدَّيه فى الحسن وروضٍ كوجهه فى الجمال
ونَدًى كالدموع فى مُقَلِ النر جس أو فيضِ عَبْرةٍ فى دلال
يا لقومى من سحر تفتير طَرْفٍ وقعُهُ فى القلوب وقعُ النبال ١٠

ومنها :

كلما بَلْبَلَتْهما راحةُ التجميشِ هاجتْ سوا كنَ البلبالِ
تحت ريحانِ طُرَّةٍ جَمَعتْ ما بين شمسِ الضحى وبدرِ الليالى
فلهذا بالخال نقطةُ ذالٍ ولذاك الحُلىُّ صورةُ دال

ومنها : ١٥

لهف نفسى على قضيبِ نُضَارٍ يستميلُ القضيبَ بالإعتدال
[٥٤ ظ] / يتجلَّى أعلاهُ عن بَدْرِ تِمٍّ ويبارى ردفاهُ دِعْصَ رِمال
وعليه مجاسدٌ ألبسته الـحسنَ من فَرْقِهِ إلى الخلخال
فإذا لاح فى السواد رأينا شمسَ دَجْنٍ أو هالةً فى هلال

(١) فى الأصل : ذا بدون الكاف .

ومنها :

ذابَ قلبي بنارهِ فجرى في الـدَّمع كالنارِ في سليطِ الذُّبَالِ
وتلافُ الكريم في خلقِ اللو عةِ عزٌّ وراحةٌ في كَلاَل
مثلما يُتلِفُ الأجلُّ جمالُ الـمُلكِ أموالَه بحفظ المعالى
٥ ذو اعتزامٍ لو أنّه في فرندِ السيفِ طبعًا أضاء قبل الصَّقال
رَجَلٌ يسترُ الأيادى فتبديـها سِماتٌ على وجوهِ الرجال
وله أسهمٌ حدادٌ إذا طِشْـنَ يُحَرِّكْنَ راسياتِ الجبال

وقوله من أخرى :

لله أجراعُ[1] اللّوى ما أعجبا ولقاء أبناء الهوى ما أعذبا

١٠ ومنها :

وأوانسٌ غيدٌ كأسْرابِ المَها وفوارسٌ صيدٌ كأسْهابِ الدَّبا[2]
جعلوا حشاياهمْ متونَ جيادِهِمْ قد ذلَّلوها فاستلانوا المركبا
لمعتْ بروقُ جيادِهِمْ بطرادهم حتى كأنَّ على العيون بها هَبا[3]
واستمطروا دِيَمَ الدماء حوافلاً بأسنَّةٍ رَوّتْ[4] بهنَّ الأكعُبا
١٥ / تلك المنازلُ لو هَتَفْتُ بها يُرَى بعليلها نَفَسُ الرياحِ مُطَيِّبًا [٥٥ و]
فيها تُهزُّ قَنًا بأشباه النَّقَا[5] وبها تُسلُّ ظُبًا بأجفان الظِّبا
وبها كواعبُ لو تَسنَّمن[6] الرُّبَى طلعتْ لنا الأقمار من تلك الرُّبَى

(١) أجراع : كثبان (٢) الدبا : النمل ويريد بأسهاب : جموع .
(٣) هبا : هباء وهو الغبار (٤) في الأصل : ردت .
(٥) هكذا في المغرب وفي الأصل : القنا .
(٦) في المغرب تبسمت .

ومنها :

بتنا بهـا نجلو عروسَ زجاجةٍ قد أُلبِسَتْ ثوبَ الرحيقِ المُذْهَبَا
نَثَرَتْ عليـه بالمزاجِ لآلئاً عامتْ فعادتْ كالبُرِينِ[1] تَسَرُّبا
فصفاؤه يفترُّ عنـه ترقرقاً وبرودُه يزدادُ منـه تلهبا
ومغرِّدٍ ، لى من فتورِ جفونهِ سُكْرٌ ، وسكرٌ إن شدا وتطرَّبا ٥
نَبَّهتُهُ ويدُ النعيـمِ توَسِّدُهُ ليناً وتكسو وجنتيهِ تخضُّبا
لأَرُوضَ روضاً بالتدانى مُمْرِعاً وأزورَ مَغْنًى بالغوانى مُعْشِبا
وأَشُمَّ ريحانَ الشعورِ مُطَيَّباً وأَعَلَّ خمـراً بالثغور مُشَنَّبا
وأَمُصَّ رمَّانَ الصدورِ مُشَرَّباً[2] وأَعَضَّ تفَّاحَ الخدودِ مُكَثَّبَا[3]

وقوله من قصيدة : ١٠

قد أطيلتْ قوادمُ الْمَكْنِ للجا هل لكنْ جناحىَ المحصوصُ[4]

ومنها :

كيف طَيَّرْتُموه فى سعةِ الآ فاقِ وهو للذلَّةُ المقصـوصُ

ومنها :

[٥٥ ظ] / أو ليس العقودُ تجمع أسبا[5] جاً ودُرًّا واسمُ الجميعِ فصوصُ ١٥

ومنها يصف الشعر :

فتأملْ بظاهرِ العـدلِ والرأ فةِ مدحاً ما شأنُهُ التنغيصُ
لفظه الشهدُ والقـريحةُ نارٌ وللمعانى دُهْنٌ فنِعْمَ الخبيصُ

(١) البرين : جمع برة وهو الخلخال وحلقة توضع فى أنف البعير.
(٢) المشرب : الضامر .
(٣) المكثب : الممتلىء .
(٤) المحصوص : المقصوص .
(٥) الأسباج : الخرز.

ومن مراثيه قوله من قصيدة يرثى بها والده .

عادَ جفنى من الدموعِ كَليلاً قبْلَ أن أشتفى وأشْفِى عليلا

ومنها :

وعظيمُ المصابِ يَنْشِفُ ماءَ الـ ـقلبِ حتى يعودَ يَبْسًا مَحِيلا

• طاحَ صـبرى مع الرقاد فَعَوَّضْـ ـتُ غرامًا مع السُّهاد طويلا

لفقيدٍ قد كان قرَّةَ عينِ الـ ـدَّهْرِ فضـلاً وريقةَ المسولا

إنّ خطباً أصابنا فى أبى الفتـ ـح لخطبٌ أفاد حُزْنًا طويلا

وكذا عادةُ الزمانِ إذا عا دى أصابَ الجليلُ منه الجليلا

صاحِ لا تغترِرْ بعيشك فى الدنيـا ونكِّبْ عنها بزهدٍ سبيلا

١٠ فهْىَ أمٌّ تُذِلُّ كلَّ عزيزٍ من بَنِيها كما تُعِزُّ ذليـلا

وقوله من قصيدة :

غيومُ غمومٍ لا يَرِمْنَ عن الجفْنِ ومُزْنُ دموعٍ هنَّ أسخى من المُزْنِ

/ ومنها : [٥٦ و]

ومن عجبٍ إرسـالُ عينٍ سخينةٍ على لوعةٍ هل يُطفَأُ السُّخْنُ بالسُّخْنِ؟

١٥ وأعجبُ منها أنْ تفيض شـئونُها على ظمإٍ منهـا بمنبجسٍ هَتْنِ

وقوله من أخرى :

أرى الشوقَ مُسْوَدًّا كقلبى من الأَسَى وإنْ كانَ محمرًّا فمن أدْمُعِى الحُمْرِ

وقد حالَ دمعى بين نوْمِى وناظرى وحال غرامى بين قلبىَ والبِشْرِ

كأنكَ حُلْمٌ كنتَ فاستيقظتْ لهُ جفونُ الردى واستأثرتْ منك بالعُمْرِ

وقوله من أخرى :

كذا أبِكَ فى الصبر يا ابنَ النُّهَى ... فكلُّ الأمورِ إلى مُنْتَهَى

وكل امرئٍ مُسْلِمٍ نَفْسَهُ ... إلى الموتِ إن شاءه أَوْ أَبَى

نُعِدُّ ، لتسبقَهُ ، العادياتِ ... فيدركنا بيسيرِ الخُطَى

ونأملُ عمرانَ أعمارنا ... فيهدمُ آمالنــا والرَّجا ٥

وما العيشُ إلا كحُلْمٍ مضى ... وبرقٍ سرى ، أو كظلٍّ أَرَى

حياةُ الفتى مركبُ الحِمام ... وجثمانُهُ هَـدَفٌ للبِلى

نروحُ ونغدو به ضاحكين ... وضِحْكُ القضاء علينا بُكَا

وإنَّ مُنَى المرء طولُ الحيا ... ةِ فى نِعْمَةٍ كانَ أو فى شَقَا

[٥٦ ظ] / ألا إنَّما الدهرُ يُعلى لنا ... ومن يأمنُ الدهرَ أنَّى سَطَا ؟ ١٠

ومن مقطوعاته فى معانٍ شتى قوله فى طول الليل :

يا ليلةً عُمْرُ الزما ... نِ بطولها مِثْلُ القُلَامَهْ

يُثْنِي علىَّ ظَلَامُهَا ... وغمامها يثْنِي الغَمامَهْ

حتى كأنَّ نهــارها ... يبدو به فجرُ القيامَهْ

وقوله فى المعنى : ١٥

أَرَّقَ عينى شادنٌ دَنِفُ ... بهجره . فالرقادُ مُخْتَطَفُ

والليلُ من طوله كدائرةٍ ... لا آخِرٌ عنده ولا طَرَفُ

وقوله أيضاً فى طول النهار وقصر الليل :

طال النهار على المحب كأنَّهُ ... يومُ الحسابِ بآخرِ الدهرِ

وكأن ليلته وقد طلعت ... عُقِدَ العِشَاء بها مع الفجر ٢٠

وقوله فى أسرد التحى :

كنتَ حيًّا فى المُرْدِ حتى إذا عَـــذَّرْتَ جاء المماتُ والتعذيرُ
مثلُ سطر العنوانِ يبدو وتُطْوَى منه فى باطنِ الـكتابِ سطور

/ وقوله فى عوّاد ، وزعم أنه عمله فى المنام : [٥٧ و]

٥ ومسمعٍ مبـدعٍ بصَنْعَتِهِ يريكَ من فَضْلِ حُسْنِه عَجَبَا
حَرَّكَ عودًا كالرعد مُقْتَرِنًا بالبرق من كفِّه إذا ضَرَبَا
تَسرى قواه فى نفسِ سامعهِ فيكتسى كلُّ مَفصِلٍ طَرَبا

وقوله :

أَكْرِمْ بنفسكَ إن أَرَدْ تَ العزَّ عن ذلِّ السُّؤالْ
١٠ واستغنِ عن عِدَةِ البخيــلِ أَتَتْ بعذرٍ واعتلال
فالطبــعُ أغلبُ للفتى والبخلُ من لؤم الرجال
كم بين مختلفِ المقا لِ وبين متَّفق الفعال
ومباعِدٍ طُرُقَ النَّــدى ومقرِّبٍ طُرُقَ النوال
هذا يســـابقُ بالعطا ءِ وذا يُعَلِّلُ بالمِطال
١٥ حاز الغِــنى من لا يجو دُ وجاد ذاك بغيرِ مال

وقوله يصف عَدْوَ الفرس فى الميدان :

كم سابحٍ أعددتُهُ فوجــدتُهُ عند الـكريهةِ وهْوَ نسرٌ طائرُ
لم يَرْمِ قطُّ بطرفهِ فى غايةٍ إلاّ وســابَقَهُ إليها الحــافر

/ وقوله فى المعنى : [٥٧ ظ]

٢٠ كم جوادٍ يسبقُ الوهْمَ فمــا يقتضيـهِ الوهمُ إلاّ تَبِعــا

راهنت أوظافه[1] الحافظه ثم جاءا غاية السبق معا

وقوله:

قمر لاث عليه مطرفا لا زوزديا رقيق الحاشيه

وعليه صبغة من حسنه فهى فى كل فؤاد ساريه

يضحك القلب إذا عاينه[2] ولكم عين عليه باكيه ٥

طرفه جنة عدن أزلفت وبخديه جحيم صاليه

تنم الشدغان فيها طررا كتبت من ذهب فى غاليه

شبهته العين لما أن بدا روضة ذات قطوف دانيه

أو قضيبا فوقه سوسنة أو هلالا فى سماء صاحيه

وقوله: ١٠

آذن قلبى بالهوى شادن أيقظه من طرفه الناعس

ألبسته الحسن وداه له نفسى فداه القمر اللابس

غرست فى وجنته وردة من نظرة المسترق الخالس ٥

فخاف أن أقطفها خفية بقبلة والغرس الغارس

فر فى ميدانه مسرعا يا ليتنى فارس ذا الفارس ١٥

---

(١) أوظاف: جمع وظيف وهو مستدق الساق من الخيل.

(٢) فى الأصل: عاينه.

تصحيحات

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٣٠	١٢	مسلّطا	مسلّطا
٣٥	٢١	حلى	حلّ
٤٧	٩	ذَكاءه	ذُكاءه
٤٨	١٦	السكرام	لسكرام
٥١	٢	للمتحترش	للمتحرش
٥٢	٣	يوسيفية	يوسفية
٥٨	٤	اسفراراً	اسفرارُ
٦٢	١١	عدا	غدا
٦٧	١٦	وتعزر	وتغزر
٧١	١٧	أربى	أربِى
٧٣	١٠	فبعدكَ	فبعدكِ
٧٧	١٤	مئزز	مئزر
٧٨	٣	العقلُ	العقلَ
٨٠	١٦	تمينها	تمينها
٨٤	١٥	ققل	قفل
٨٧	١٠	راق	لاق
٩١	٥	فرس	فرش
٩١	٥	الوانى	الوأنى
٩٦	٧	حَدّها	خَدّها
١٤٥	١٣	وتوفى	وفى
١٦٠	٢	يُمْنِ	يُمْنَ
١٦٥	٣	حبُّ	حبّ
١٦٨	١٥	بولاق	مصر
١٦٩	٥	قصيدتين	قصيدة
١٧٢	١٠	أبدا	أبدا
١٧٢	١٥	تصفّحوا	تصفّحوا
١٧٧	٧	(٥)	(١)
١٨٦	١	العقل	العقيلى
١٨٨	٧	الإعتاء	الأعناء
١٩٠	٧	زياد	ذياد
١٩٢	٩	أَسرته	أُسرته
٢١٢	١٠	فظلته	نطلته
٢١٤	١٣	الأربَع	الأربُع
٢١٤	١٣	بها	به
٢٢٤	١٢	أصدُّق	أصَدّق
٢٢٩	١١	وأمّلا	وأمّ لا
٢٣٧	١	خذلت	أجزلت
٢٣٧	١	وجدت	أوجدت
٢٤٣	٥	لريقةً	لريشةٍ
٢٦٠	١٣	لئن	لأنّ
٢٦١	٧	نجرِدَ	نجردُ
٢٦٨	١٦	الأغْفَر	الأعْفَر
٢٧١	٤	بالنّوى	بالنّوَى
٢٧٣	٣	السعْىَ	السعْىِ
٢٧٦	٨	الأرقْ	الأرقْ
٢٧٧	٢٠	(٢)	(١)
٢٧٨	٣	مَحْرِق	مُحْرِق

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٣٧٠ هـ — ١٩٥١ م

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٩٥١

